تفسير

سورة النحل

بسم الله الرحمن الرحيم

١ . ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ ، قال ابن عباس : يريد أتى عذابُ الله[١] ، وقال الحسن وابن جريج أي عقابُه لمن أقام على الإشراك به والتكذيب لرسوله[٢] ، وهذا القول في معنى :﴿أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ هاهنا هو اختيار الزَّجَّاج ، قال : ﴿أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ : ما وعدهم الله من المجازاة على كفرهم من أصناف العذاب ، واحتج بقوله : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [هود :٤٠]؛ أي جاء ما وعدناهم به ، وبقوله : ﴿أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا﴾[٣] [يونس :٢٤] . وفسَّر آخرون هذا العذاب ، فقال : هو الأمر بالسيف ، وقالوا : هذا

---

(١) ورد في تفسير السمرقندي ٧/ ٢٢٧ ، بنصه ، والثعلبي ٢/ ١٥٣ب ، بمعناه ، وانظر : تفسير ابن عطية ٨/ ٣٦٥ ، وتنوير المقباس ٢٨٢ .

(٢) أخرجه الطبري ١٤/ ٧٥ بمعناه عن ابن جريج ، وورد في تفسير الطوسي ٦/ ٣٥٨ ، عنهما ، وتفسير الماوردي ٣/ ١٧٨ ، عن ابن جريج ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٦٥ ، عنهما .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٨٩ ، بنصه .

جواب النضر بن الحارث حين قال : ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً﴾ الآية [الأنفال :٣٢] ، فأنزل الله : ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾[١]؛ أي لا تطلبوه قبل حينه ، وهذا كما تقول لمن يطلب أمراً يستعجل فيه : أتاك الأمر فلا تستعجل .

وقال جماعة من المفسرين : ﴿أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ هاهنا الساعة[٢]؛ وذلك أن المكذبين بها استعجلوها ، فقيل لهم : ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ . قال أبو إسحاق : استبطؤوا[٣] أمْرَ الله ، فأعلم اللهُ أن ذلك عنده في القرب بمنزلة ما قد أتى ، كما قال : ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر :١] ، وكما قال : ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾[٤] [النحل :٧٧] ، وعلى هذا ، إنما قال لِمَا لَم يأت بعد أتى؛ لأنه آت لا محالة ، والعربُ إذا ذكرت شيئاً قَرُبَ وقوعه أخرجته مخرج الواجب ، كقوله تعالى : ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف :٤٤] ، وقد مر .

وقوله تعالى : ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ . قال ابن عباس : نَزَّه نفسه[٥] ، وقال الزَّجَّاج : تنزيه له وبراءة من السوء[٦] ، ﴿وَتَعَٰلَىٰ﴾؛ أي ارتفع وتعاظم بأعلى صفات المدح عن أن يكون له شريك ، و(ما) في قوله : ﴿عَمَّا﴾ يجوز أن تكون (ما) المصدر ، والتقدير : عن إشراكهم ، والمعنى عن إشراكهم به غيره ، فحُذف للعلم ، ويجوز

---

(١) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٣ب ، بنحوه ، وذكره المؤلف في أسباب النزول له : ٢٨٤ ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٧ـ٨ .

(٢) ورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٢٧ ، بنحوه ، والثعلبي ٢/ ١٥٣ب ، بلفظه ، وتفسير الماوردي ٣/ ١٧٨ ، عن الكلبي ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٧ ، عن الكلبي وغيره ، وابن عطية ٨/ ٣٦٥ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٦٦ ، والخازن ٣/ ١٠٥ ، وأبي حيان ٥/ ٤٧٢ ، وقال : هو قول الجمهور .

(٣) في (أ) و(د) : (استبطلوا) ، والمثبت من (ش) ، وهو موافق للمصدر .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٨٩ ، بنصه تقريباً .

(٥) انظر : تنوير المقباس ٢٨٢ ، وورد غير منسوب في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٠أ ، وهود الهواري ٢/ ٣٥٩ ، والسمرقندي ٢/ ٢٢٨ ، والفخر الرازي ١٩/ ٢١٨ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٩٠ ، بنحوه .

أن تكون بمعنى الذي؛ أي ارتفع عن الذي أشركوا به[١]؛ لأنهم ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ .

٢. قوله تعالى : ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ . روى عطاء عن ابن عباس قال : يريد جبريل وحده[٢] ، وذكرنا في ما تقدم جوازَ تَسْمِيةِ الواحد باسم الجمع إذا كان ذلك الواحدُ رئيساً مقدماً ،كقوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾[٣] [آل عمران :١٧٣] .

وقوله تعالى : ﴿بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ . قال ابن عباس : بالوحي[٤] ، وهو كلام الله ، هذا قول الربيع والحسن[٥] ، وهو الاختيار في معنى الروح هاهنا ، قال الزَّجَّاج : الروح ما كان فيه من أمر الله حياةً للنفوس بالإرشاد إلى أمر الله[٦] .

---

(١) في النسخ جميعها : (أشركهم به) ، ولا يستقيم بها المعنى ، فلعلها تصحفت عن المثبت ، أو التبست على النساخ بما قبلها .

(٢) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٢٨ ، والفخر الرازي ١٩/ ٢١٩ ، وورد غير منسوب في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٠أ ، والسمرقندي ٢/ ٢٢٨ ، وفي تنوير المقباس ٢٨٢ ، قال : «جبريل ومن معه من الملائكة» .

(٣) قال الفرَّاء : الناس في هذا الموضع واحد ، وهو نُعيم بن مسعود الأشجعيُّ ، بعثه أبو سفيان وأصحابُه ، فقالوا : ثبط محمداً ﷺ أو خوفه حتى لا يلقانا ببدر الصغرى ، وكان ميعاد بينهم يوم أحد . معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٢٤٧ ، وهو اختيار الزَّجَّاج في معانيه ١/ ٤٨٩ ، وانظر : تفسير الزمخشري ١/ ٢٣١ .

(٤) أخرجه الطبري ١٤/ ٧٧ ، بلفظه ، من طريق ابن أبي طلحة صحيحة ، وورد بلفظه في تفسير الماوردي ٣/ ١٧٨ ، والطوسي ٦/ ٣٥٩ ، وانظر : تفسير ابن عطية ٨/ ٣٦٨ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٢٨ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٦٧ ، وأبي حيان ٥/ ٤٧١ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٠٥ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

(٥) ورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٥٣ ، عن الحسن بلفظ : بالنبوَّة ، وورد في تفسير الماوردي ٣/ ١٧٨ ، عن الربيع بن أنس قال : هو القرآن ، وعن الحسن أيضاً قال : الرحمة ، والطوسي ٦/ ٣٥٩ ، عن الربيع قال : كلام الله ، وانظر : تفسير ابن عطية ٨/ ٣٦٨ ، عن الربيع ، وابن الجوزي ٤/ ٤٢٨ ، عن الحسن ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٦٧ ، عن الحسن ، وأبي حيان ٥/ ٤٧١ ، عن الحسن ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٠٥ ، ونسبه إلى ابن أبي حاتم عن الحسن قال : بالنبوة .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٩٠ ، بنصه .

وقال أبو العباس في هذه الآية وفي قوله : ﴿ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ ﴾ [غافر :١٥] ، ولقوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ [الشورى :٥٢] هذا كله معناه الوحي[١] ، سُمِّي روحاً لأنه حياةٌ من موت الكفرِ ، فصار يحيا به الناس؛ كالروح الذي يحيا[٢] به الجسد .

وقال أبو عبيدة : الروح هاهنا جبريل[٣] ، وعلى هذا الباء في بالروح بمعنى (مع) كقولهم : خرج بثيابه؛ أي ومعه ثيابه ، وركب الأمير بسلاحه ، والأول الوجه ، ومعنى ﴿ مِنْ أَمْرِهِۦ ﴾؛ أي من فعله في الوحي[٤] .

وقوله تعالى : ﴿ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ ﴾؛ يريد النَّبيِّين الذين يختصهم من عباده بالرسالة والوحي بقوله : ﴿ أَنْ أَنذِرُوٓاْ ﴾ ، قال الزَّجَّاج : ﴿ أَنْ ﴾ بدل من الروح ، المعنى : ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ﴾ بأن أنذروا[٥] .

---

(١) تهذيب اللغة (روح) ٣/ ١٧٦٨ ، بنصه .

(٢) في النسخ جميعها : (يحي) ، ويستقيم السياق بالمثبت ، وهو موافق لما في المصدر .

(٣) ليس في مجازه ، وورد منسوباً إليه في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٤أ ، بنحوه ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٨ ، والفخر الرازي ١٩/ ٢٢٠ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٦٧ ، وهو قول ضعيف جداً ، والصحيح هو الأول كما ذكر .

(٤) قال القاسمي : ﴿ مِنْ أَمْرِهِۦ ﴾ بيان للروح ، أو حال منه ، أو صفة ، أو متعلق بـ ﴿ يُنَزِّلُ ﴾ ، وقال الفخر الرازي : وقوله : ﴿ مِنْ أَمْرِهِۦ ﴾ إن ذلك التنزيل ، والنزول لا يكون إلا بأمر الله تعالى ، ونظيره قوله تعالى : ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ [مريم :٦٤] ونحوها ، فكل هذه الآيات دالة على أنهم لا يقدمون على عمل من الأعمال إلا بأمر الله تعالى وإذنه . انظر : تفسير الفخر الرازي ١٩/ ٢٢٠ ، والقاسمي ١٠/ ٧٨ .

(٥) هذا المقطع ليس في معانيه ، فلعله ساقط من النسخة المتداولة ، بدليل أن النحاس قد نسبه إليه في إعرابه ٢/ ٣٩١ ، وقال بهذا مكي في مشكل الإعراب ٢/ ١٢ ، والزمخشري في تفسيره ٢/ ٣٢١ ، وابن الأنباري في البيان في غريب الإعراب ٢/ ٧٥ ، والمنتجب في الفريد ٣/ ٢١٤ .

والمعنى : أنــذروا أهل الكفر بأنه لا إله إلا أنــا؛ أي مروهم بتوحيدي وأن لا يشركوا بي شــيئاً[١] ، والخطاب للنَّبِيِّين المعنيين بقوله : ﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ ، وهذا يدل أن معنى الروح هاهنا الوحي ، إذا بُدِّلَ منه الإنذار ، ومعنى إنذارِهم بأنه لا إله إلا هو إعلامهم بذلك مع تخويفهم لو لم يقروا ، ثم ذكر ما يدل على توحيده ، فقال :

٣. ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ . ومعنــى هذا مذكــور في قوله : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام :٧٣] .

وقوله تعالى : ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ذكرنا معناه آنفاً[٢] .

٤. وقوله تعالى : ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ ، قال أبو إسحاق : اختصر هاهنا ، وذكر تقلبَ أحوال الإنسان في غير مكان من القرآن[٣] .

قال ابــن عباس : يريد إني خلقت ، قال المفــسرون : نزلت هذه الآية والتي في آخر ســورة يــس : ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [يــس :٧٧] في قصة أُبي بن خلف وإنكاره البعث[٤] .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٩٠ ، بنصه .

(٢) في سورة الأعراف : الآية [١٩٠] .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٩٠ ، بنصه .

(٤) ورد في تفســير مقاتل ١/ ٢٠٠أ ، والســمرقندي ٢/ ٢٢٨ ، والثعلبي ٢/ ١٥٤أ ، وتفسير الماوردي ٣/ ١٧٩ ، عن الكلبي ، وأورده المؤلف في أســباب النزول ٢٨٥ ، بلا ســند ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٩ ، والزمخــشري ٢/ ٣٢١ ، وابن عطيــة ٨/ ٣٧٠ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٢٨ ، وتفســير القرطبي ١٠/ ٦٨ ، وتفسير الخازن ٣/ ١٠٦ .
ولا خلاف أن آية (يس) لها سبب نزول ثابت ، وإن اختُلِفَ في مَن نزلت؛ في أبي بن خلف ، أم العاص بن وائل ، والصحيح أنها نزلت في العاص بن وائل . انظر : المستدرك للحاكم ٢/ ٤٢٩ ، وصححه . لكن هذه الآية ليس لها ســبب نزول مسند ، وهو شرط في إثبات أسباب النزول ، ويكفي لرد هذه الدعوى أنه ورد من طريق الكلبي وحاله معروف ، وتشــابه الآيتين لا يسوغ إثبات نزول إحداهما للأخرى ، إلا إذا لم يُقصد بإطلاق لفظ نزلت هذه الآية المعنى الاصطلاحي لأســباب النزول ، وأريد التوسع في اللفظ كما فعلوا في النسخ .

وقوله تعالى : ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ ، الخصيم بمعنى المخاصم ، ذكرنا ذلك عند قوله : ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء :١٠٥] ، هذا قول أهل اللغة .

قالوا : خصيمك الذي يخاصمك ، وفعيل بمعنى مُفَاعل معروف ،كالنسيب بمعنى المناسب ، والعشير بمعنى المعاشر ، والأكيل والشريب ، ويجوز أن يكون خصيم فاعلاً من خَصِم يَخْصِم بمعنى اختصم ، وبه قرأ حمزة[١] قوله : ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾[٢] [يس :٤٩] .

وقوله تعالى : ﴿مُّبِينٌ﴾؛ أي ظاهر ، ومعناه : ظاهر الخصومة ، ويجوز أن يكون مبين؛ أي يُبيِّن عن نفسه الخصومة بالباطل ، وذكر أهل المعاني لهذه الآية معنيين؛ أحدهما : أنه عرَّفنا قدرته في إخراجه من النطفة ما هذه حاله وصفته ، والثاني : أنه ذَكر فاحشَ ما ارتكب من تضييع حق نعمة الله بالخصومة في الكفر به[٣] .

٥. قوله تعالى : ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا﴾؛ يعني الإبل والبقر والغنم ، وتم الكلام ، ثم ابتدأ فقال : ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ ، ويجوز أن يكون تمام الكلام عند قوله : ﴿لَكُمْ﴾ ، ثم يبتدئ فيقول : ﴿فِيهَا دِفْءٌ﴾ .

قال صاحب النظم : أحسن الوجهين أن يكون الوقف عند قوله : ﴿خَلَقَهَا﴾؛ لقوله في النسق على ما قبلها : ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾[٤] .

---

(١) قرأ حمزة : (يَخْصِمون) ساكنة الخاء خفيفة الصاد . انظر : السبعة ٥٤١ ، والمبسوط في القراءات ٣١٢ ، وتلخيص العبارات ١٤١ ، وقال في شرح الهداية ٢/ ٤٨٦ ، ومن قرأ : (يَخْصِمون) فالمعنى : يخصم بعضهم بعضاً .

(٢) نقل الفخر الرازي هذا المقطع بنصه ونسبه إلى الواحدي . تفسير الرازي ١٩/ ٢٢٦ .

(٣) ورد بنحوه في تفسير الماوردي ٣/ ١٧٩ ، عن الحسن ، والطوسي ٦/ ٣٦١ .

(٤) أي أنه نسق ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ على ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ ، ولو وقف على ﴿خَلَقَهَا لَكُمْ﴾ لتعذر هذا العطف . وقد نقل الفخر الرازي ١٩/ ٢٢٧ ، والخازن ٣/ ١٠٦ ، قول صاحب النظم ، وعزياه إلى الواحدي رحمه الله .

وأمـــا الدفء ، فقال الفرَّاء وجميـــع أهل اللغة : هو ما انتفـــع به من أوبارها وأشعارها وأصوافها ، أراد ما يلبسون منها ويبتنون[١] ، فالدفء عند أهل اللغة : ما يُستدفأ به من الأكسية والأبنية[٢] ، قال الأصمعي : ويكون الدفء السخونة ، يقال : اقعـــد في دفء هذا الحائط؛ أي في كنِّه[٣] ، وقـــال الفرَّاء في المصادر : يقال للرجل : دَفَيْت فأنت تدفأ دَفْأً ، ساكنة الفاء مفتوحة الدال ، ودِفْآء بالكسر والمد ، وزاد غيرُه دَفاءةً ودَفاءً .

وروى الحرَّاني عن ابن السِّكِّيت : يقال : هذا رجل دَفْآنُ وامرأة دَفْأى ، ويوم دَفِيءٌ وليلة دفيئةٌ ، وكذلك بيت دَفِيء ، وغرفة دَفيئةٌ ، على فَعيل وفعيلة ، وما كان الرجل دَفْآن ، ولقد دَفِئَ ، وما كان البيت دَفِئاً ، ولقد دَفُؤَ[٤] . الفَراء : دَفُؤَتْ ليلَتُنا ويومُنا دفأةً ، ويقال : أدفأه فَدَفِئَ[٥] ، وإبل مُدْفِئة : كثيرة؛ لأن بعضَها يُدْفِئُ بعضاً بأنفاسها[٦] ، وإبل مُدْفأَةٌ ومدفآت : كثيرات الأوبار[٧] ، قال الشماخ :

وكيفَ يضيعُ صاحِبُ مُدْفَآتٍ ... عـــلى أثْباجِهِـــنَّ مِـــنَ الصَّقِيعِ[٨]

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٩٦ ، مختصراً ، وورد بنصه في تهذيب اللغة (دفأ) ٢/ ١٢٠٣ ، وهذا يؤكد نقله من التهذيب لا المعاني ، وانظر : مقاييس اللغة (دفأ) ٢/ ٢٨٧ ، والصحاح ١/ ٥٠ ، واللسان ٣/ ١٣٩٣ .

(٢) انظـــر : المحيط في اللغة (دفـــأ) ٩/ ٣٦٩ ، ومقاييس اللغة ٢/ ٢٨٧ ، والصحاح ١/ ٥٠ ، واللســـان ٣/ ١٣٩٣ ، وعمدة الحفاظ ٢/ ١٣ .

(٣) ورد في تهذيب اللغة (دفأ) ٣/ ١٢٠ ، بنصه ، وانظر : تفسير الفخر الرازي ١٩/ ٢٢٧ .

(٤) لم أجـــده في الإصـــلاح ، وورد في تهذيـــب اللغة (دفـــأ) ٢/ ١٢٠٣ ، بنصه . وانظر : اللســـان (دفأ) ٣/ ١٣٩٣ .

(٥) لم أجده في معانيه .

(٦) ورد في الإصلاح ٣٧٩ ، بنحوه ، والتهذيب (دفـــأ) ٢/ ١٢٠٣ ، بنصه ، وانظر : مقاييس اللغة (دفأ) ٢/ ٢٨٧ ، واللسان ٣/ ١٣٩٣ .

(٧) وهو قول الأصمعي كما في التهذيب (دفأ) ٢/ ١٢٠٣ ، وقال نحوه ابن السِّـــكيت في الإصلاح ٣٧٩ ، وانظر : المحيط في اللغة (دفأ) ٩/ ٣٦٩ ، واللسان ٣/ ١٣٩٣ ، والتاج ١/ ١٥٣ .

(٨) ديوان الشـــماخ ٢٢٠ ، وفيه : (مُدْفِئَات) ، وورد في إصـــلاح المنطق ٣٧٩ ، والمعاني الكبير ١/ ٤٢٩ ، وجمهرة اللغة ٣/ ١٣١٣ ، والأضداد لابن الأنبـــاري ٦٦ ، وأمالي القالي ١/ ١٠٦ ، وتهذيب إصلاح =

ونحو هذا قال عامة المفسرين في الدفء[١] ، إلا ما روي عن ابن عباس من طريق عكرمة : ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ﴾ . قال : النسل[٢] ، وروى الأزهري عن ابن هاجك[٣] بإسناده عن ابن عباس : ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ قال : نسل كل دابة[٤] .

قال[٥] الأزهري : وهذا يوافق قول الأموي[٦] ، روى أبو عبيد عنه : الدفءُ[٧] عند العرب : نتاج الإبل وألبانها والانتفاع بها[٨] ، قال الفرَّاء : وكتبت

= المنطق ٧٨١ ، وأساس البلاغة ١/ ٢٧٤ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٦٩ ، واللسان (دفأ) ٣/ ١٣٩٣ ، (ثبج) ١/ ٤٦٨ ، (ضيع) ٥/ ٢٦٢٥ ، والتاج (دفأ) ١/ ١٥٣ . أثباجهن : جمع ثبج ، وهو الوسط ، قال الأصمعي : ثبج كل شيء : وسطه . الصقيع : البرد والنَّدى ، ويقال : الجليد . والشاعر يمدح إبله أنها لن تهلك من البرد؛ لأن أوساطها مغطاة بوبر كثير يقيها البرد .

(١) انظر : تفسير مقاتل ١/ ٢٠٠ب ، والطبري ١٤/ ٧٨ـ٧٩ ، والسمرقندي ٢/ ٢٢٨ ، وهود الهواري ٢/ ٣٦٠ ، والثعلبي ٢/ ١٥٤أ ، والماوردي ٣/ ١٧٨ ، والطوسي ٦/ ٣٦١ .

(٢) ورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٥٤ ، وتفسير الماوردي ٣/ ١٧٩ ، وقد روي عن ابن عباس تفسيرها بتفسير العامة ، أخرجه الطبري ١٤/ ٧٩ بروايات عدة ، وانظر : تنوير المقباس ٢٨٢ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٠٦ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم ، ولذلك حمل النحاس تفسير ابن عباس : بالنسل ، على المنافع لا الدفء ، مع أن قوله التالي الذي رواه عنه ابن هاجك يؤكد تفسيره لـ﴿دِفْءٌ﴾ بالنسل .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) لم أقف عليه في التهذيب ، وأخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٢/ ٣٥٣ ، بنصه ، والطبري ١٤/ ٧٩ ، بنصه من طريق عكرمة جيدة ، وورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٢٨ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٧٠ ، وانظر : اللسان (دفأ) ٣/ ١٣٩٣ ، وعمدة الحفاظ ٢/ ١٣ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٠٦ ، وزاد نسبته إلى الفريابي وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٥) (قال) ساقط من (ش) و(ع) .

(٦) أبو محمد ، عبدالله بن سعيد الأموي اللغوي ، لقي العلماء ، ودخل البادية ، وأخذ عن فصحاء الأعراب ، وأخذ عنه العلماء مثل أبي عبيد ، وأكثروا في كتبهم ، كان حافظاً للأخبار والشعر وأيام العرب ، وكان ثقة في نقله ، من كتبه : النوادر ، ورحل البيت . انظر : طبقات النحويين واللغويين ١٩٣ ، وإنباه الرواة ٢/ ١٢٠ ، والبلغة ٣٠٩ ، والبغية ٢/ ٤٣ .

(٧) في النسخ جميعها : (الدفؤ) ، والمثبت موافق للمصادر جميعها .

(٨) لم أجده في غريبه ، وورد في تهذيب اللغة (فاد) ٢/ ١٢٠٣ ، بنصه ، وانظر : مقاييس اللغة (دفأ) ٢/ ٢٨٧ ، واللسان ٣/ ١٣٩٣ ، وعمدة الحفاظ ٢/ ١٣ .

دفء بغير همز؛ لأن الهمزة إذا سَكن ما قبلها حُذفت من الكتاب؛ وذلك لخفاء الهمزة إذا سُكِتَ[١] عليها ، فلما سَكَنَ ما قبلها ولم يَقْدِروا على هَمْزِها في السَّكْت ، كان سكوتهم كأنه على الفاء ، وكذلك قوله : ﴿يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ﴾ [النمل :٢٥] و﴿مِلْءُ ٱلْأَرْضِ﴾[٢] [آل عمران :٩١] .

وقوله تعالى : ﴿وَمَنَٰفِعُ﴾ يعني النسل والدَّر والركوب ، ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ . قال ابن عباس : يريد من لحومها[٣] .

٦. قوله تعالى : ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾؛ أي زينة ، كما قال : ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف :٤٦] ، والمال ليس يخص الورق والعين ، وأكثر مال العرب الإبل ، كما أن أكثر أموال أهل البصرة النخل .

وقوله تعالى : ﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾ ، الإراحة : ردُّ الإبل بالعَشي إلى مُراحِها حيث تأوِي إليه ليلاً[٤] ، قال ابن عباس : يريد حِينَ خروج العرب أيام الربيع بالماشية إلى الخِصْب ، يعني أن الإراحة أكثر ما تكون أيام الربيع إذا سقط الغيث ، وكثر الكلأ ، وخرجت العرب للنجعة ، وتركت مياهها ، وأحسنُ ما تكون النَّعم في ذلك الوقت[٥] ، ولذلك ستر رسولُ الله ﷺ وجَهه لـمَّا رأى نَعَمَ بني المصطلق ، وقد عَبِست في أبوالها ، وذكرنا هذا في آخر سورة الحجر .

---

(١) في النسخ جميعها : (سكنت) ، والصحيح المثبت ، وهو موافق للمصدر ، وبه يستقيم الكلام .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٣/ ٩٦ ، بنصه .

(٣) ورد غير منسوب في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٠ب ، والسمرقندي ٢/ ٢٢٨ ، والثعلبي ٢/ ١٥٤أ ، والبغوي ٥/ ٩ .

(٤) تهذيب اللغة (راح) ٢/ ١٣٠٩ ، بنصه ، وهو قول الليث ، وانظر : تفسير الطبري ١٤/ ٨٠ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ٥٥ ، وتفسير الفخر الرازي ١٩/ ٢٢٨ ، واللسان (روح) ١/ ١٧٧٠ .

(٥) انظر : تفسير الفخر الرازي ١٩/ ٢٢٨ ، والخازن ٣/ ١٠٧ ، أورداه بنصه غير منسوب ، والظاهر أنهما نقلاه عن الواحدي .

وقوله تعالى : ﴿ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ . يقال : سَرَّح القومُ إبِلَهم سَرْحاً إذا أخرجوها بالغداة إلى الـمَرْعَى ، واسم ذلك المال السَّرْحُ ، وسَرَح المالُ نفسُه سُرُوحاً : رَعَى بالغَدَاة[١] .

٧. قوله تعالى : ﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ ﴾ جمع الثقل ، وهو متاع المسافر وحَشَمُه ، ﴿ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَـٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ﴾ . قال ابن عباس : يريد من مكة إلى اليمن ، وإلى الشام ، وإلى مصر[٢] ، هذا قوله ، والمراد : كل بلد لو تكلفتم بلوغه على غير الإبل شق عليكم[٣] ، وخص ابن عباس اليمن والشام؛ لأن متاجر أهل مكة كانت إلى هذه الوجوه ، وليس قول من خص البلد بمكة بشيء[٤] ، والشِّقُّ الـمَشَقَّةُ ، والشِّقُّ : نصفُ الشيء ، وكِلا المعنيين في الشق سائغ في معنى الآية ، ذكرهما الفرَّاء ، وقال : أكثر القراء على كسر الشين[٥] ، ومعناه إلا بِجَهْدِ الأنفس ، وكأنه الاسم ، وكأن الشِّقَّ فعلٌ ، قال : ويجوز في قوله :

---

(١) تهذيب اللغة (سرح) ٢/ ١٦٦٥ ، بتصرف ، وانظر : تفسير الطبري ١٤/ ٨٠ .

(٢) انظر : تفسير الفخر الرازي ١٩/ ٢٢٨ ، مع زيادة المدينة ، والخازن ٣/ ١٠٧ ، والألوسي ١٤/ ١٠٠ ، وورد غير منسوب في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٢٩ ، والشوكاني ٣/ ٢١٢ .

(٣) أخرجه الطبري ١٤/ ٨٠ ، بنحوه ، عن عكرمة ، وانظر : تفسير الماوردي ٣/ ١٨٠ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٣٠ .

(٤) وهو ابن عباس والربيع بن أنس وعكرمة ، وقد أخرجه الطبري ١٤/ ٨٠ عن عكرمة ، وورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٢٩ ، عن عكرمة ، وابن عطية ٨/ ٣٧٣ ، عنهم ، وابن الجوزي ٤/ ٤٣٠ عن عكرمة ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٧١ ، عن عكرمة ، وأبي حيان ٥/ ٤٧٦ ، عنهم ، وتنوير المقباس ٢٨٢ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٠٦ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم وابن المنذر عن ابن عباس ، وصديق خان ٧/ ٢١٠ ، عن ابن عباس ، والصحيح حمله على العموم؛ لعدم وجود مخصص ، كما أشار الواحدي رحمه الله .

(٥) قرأ أبو جعفر المدني وحده في العشر بفتح الشين . انظر : تفسير الطبري ١٤/ ٨١ ، والقراءات الشاذة لابن خالويه ٧٦ ، والمحتسَب ٢/ ٧ ، والمبسوط في القراءات ٢٢٣ ، وإعراب القراءات الشاذة ١/ ٧٥٦ ، والنشر ٢/ ٣٠٢ .

﴿ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ﴾ أن يذهب إلى أن الجَهْدَ يُنْقِص من قوةِ الرجل ونَفَسِه حتى يجعله قد ذهب بالنصف من بدنه أو قوته ، فيكون الكسر على أنه كالنصف ، ويقال : المال بيني وبينكم بشَِّق الشعر ، وشِقِّ الشَعَر ، وهما متقاربان ، فإذا قالوا : شَقَقْتُ عليك شقَّاً ، نصبوا[١] .

وقال في المصادر : شققت عليه شقَّاً ، وشقَّ الصبح ، وشقَّ بابه إذا طلع ، شقوقاً منهما ، وشققت الثوب شقَّاً لا غير .

قال ابن شميل : شَقَّ عليَّ ذلك الأمر مشقة؛ أي ثقل عليَّ[٢] ، فجاء من هذا أنَّ الشَّق بالفتح مصدر شَقَّ عليه الأمر؛ أي أثقله عليه ، ومنه قوله ﷺ : «لولا أن أَشُقَّ على أمتي»[٣] ، شَقَّ الأمْرُ عليه مَشَقَّةً ، فهو واقع ومطاوع[٤] ، والشق : الاسم منه ، وشَقَّ الشيءَ شقَّاً ، وشق بنفسه شُقوقاً .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ يريد أنه مَنَّ عليكم وتفضَّل بإنعامه بالنعم التي لكم فيها هذه المنافع والمرافق[٥] .

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٩٧ ، بتصرف يسير ، وورد في تهذيب اللغة (شق) ٢/ ١٩٠٦ ، بنحوه .

(٢) ورد في تهذيب اللغة (شق) ٢/ ١٩٠٦ ، بنصه .

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٢٥٠ ، ٢٨٧) بنصه عن أبي هريرة ، والبخاري ، كتاب : الجمعة ، باب : السواك يوم الجمعة ، ومسلم ، كتاب : الطهارة ، باب : السواك ١/ ٢٢٠ ، وأبو داود ٤٦ ، كتاب : الطهارة ، باب : السواك ١/ ١١ ، والترمذي ٢٢ ، كتاب : الطهارة ، باب : ما جاء في السواك ١/ ٩ ، والنسائي ، كتاب : الطهارة ، باب : الرخصة في السواك بالعشي للصائم ١/ ٤ ، ومعجم الطبراني الكبير ٥/ ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، وأورده الهيثمي في المجمع ١/ ٢٢١ ، وورد في تهذيب اللغة (شق) ٢/ ١٩٠٦ .

(٤) الوقوع في اصطلاح النحويين : التعدِّي ، والمطاوعة : هو الفعل المتعدي الذي يصير لازماً إذا تحوَّل إلى صيغة (انفعل) مثل : كَسَرَ الولدُ الزَّجَّاج ، تقول : انكسر الزَّجَّاج . انظر : المعجم المفصل في النحو العربي ٢/ ١٠١٢ ، ١١٨٩ .

(٥) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٣١ .

٨. قوله تعالى : ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ . قال الفرَّاء : نُصبت ﴿وَزِينَةً﴾ على : وجعلها زينة ، مثل قوله : ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا﴾[١] [فصلت :١٢] المعنى : وحفظناها حفظاً ، ولو لم يكن في (الزينة) ولا في ﴿وَحِفْظًا﴾ وَاوٌ لنصبتَها بالفعل الذي قبلها لا بالإضمار ، ومثله : أعطيتك درهماً ورغبة في الأجر ، المعنى أعطيتكه[٢] رغبةً ، فلو ألقيت الواو لم يحتج إلى ضمير ؛ لأنه متصل بالفعل الذي قبله[٣] ، وقال أبو إسحاق : نُصبت ﴿وَزِينَةً﴾ على أنها مفعول لها ، المعنى : وخلقها للزينة[٤] .

قال أصحابنا : والآية لا تدل على تحريم لحوم الخيل ، وإن ذكرت البغال والحمير ؛ لأن القصد بهذه الآية بيانُ إباحةِ الركوب وإظهار المنَّة بأنْ خَلق لنا من الحيوان ما نقضي عليه حوائجنا ونتجمَّل به ، وكيف تدل على تحريمها والسورة مكية؟ ولحوم الحُمُر الأهلية حُرِّمت عام خيبر[٥] ، فلو دَلَّت على تحريم لحم الخيل

(١) الآية التي أورد الفرَّاء غير هذه ، وهي : ﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ ﴾ [الصافات :٧] .

(٢) في النسخ جميعها : «أعطيتكه هو» بزيادة ضمير الفصل ، وأدى إلى اضطراب المعنى ، والتصويب من المصدر .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٩٧ ، بتصرف يسير .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٩٢ ، بنحوه .

(٥) وقد وردت أحاديث عدة في ذلك ، منها : ما رواه علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ نهى عن المتعة عام خيبر وعن لحوم حُمُرِ الإنسيَّةِ . أخرجه البخاري (٥٥٢٣) ، كتاب : الذبائح والصيد ، باب : لحوم الحمر الإنسية ٥/ ٢١٠٢ ، ومسلم (١٤٠٧) ، كتاب : الصيد والذبائح ، تحريم أكل الحمر الإنسية ، وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال : نهى النبي ﷺ عن لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر . رواه البخاري (٥٥٢١) ، ومسلم ٥٦١ .

لَدَلَّت على تحريم لحم الحُمُر حتى[١] تُحَرَّم عند نزولها ، ولحوم الخيل حلال بالسنة والأخبار فيها كثيرة[٢] .

وقوله تعالى : ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ . روي عن ابن عباس أنه قال : لم يسمه . فالله أعلم[٣] . وروى عطاء عنه ، ومقاتل عن الضحاك عنه ، قال : يريد أنَّ عن يمين العرش نهراً من نور؛ مثل السموات السبع والأرضين السبع والبحار السبع يدخل جبريل فيه كل سحر فيغتسل فيزاد نوراً إلى نوره وجمالاً إلى جماله ، وعِظَماً إلى عِظَمِه ، ثم ينتفض فيخلق الله من كل نفضة تقع من ريشه كذا وكذا ألف ملك ، يدخل منهم كل يوم سبعون ألفاً البيت المعمور ، وفي الكعبة سبعون ألفاً ، لا يعودون إليه إلى أن تقوم الساعة[٤] . وقال آخرون : يعني مما أعد في

---

(١) هكذا في النسخ جميعها ، والعبارة مضطربة ، فلعل (حين) تصحفت إلى (حتى) ، وبها يستقيم السياق .

(٢) وهو مذهب الشافعية والحنابلة ، وقد استدلوا على إباحته بما رواه الشيخان عن جابر بن عبدالله ـرضي الله عنهما ـ قال : نهى النبي ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحمر ، ورخص في لحوم الخيل ، وفي رواية مسلم : وأذن في لحوم الخيل . أخرجه البخاري (٥٥٢٠ـ٥٥٢٤) ، كتاب : الذبائح ، باب : لحوم الخيل ، ومسلم (١٩٤١) ، كتاب : الصيد والذبائح ، باب : في أكل لحوم الخيل ، واستدلوا أيضاً بما روته أسماء ـرضي الله عنها ـ قالت : نحرنا فرساً على عهد رسول الله ﷺ فأكلناه . أخرجه البخاري (٥٥١٩ ، ٥٥٢٠) ، كتاب : الذبائح والصيد ، باب : النحر والذبح (١٩٤٢) ، ومسلم (١٩٤٢) ، كتاب : الصيد والذبائح ، باب : في أكل لحوم الخيل ٣/ ١٥٤١ ، والمشهور عن الحنفية والمالكية تحريمه ، وروي عنها الكراهة ، والقول بالإباحة هو الراجح؛ لصحة أدلته وصراحة دلالتها ، ومع أن الشرع يُجوِّز أكله ، فإن أكله غير مشهور في بلاد المسلمين اليوم ، ولعل سبب ذلك استخدامه في المعارك العسكرية في الأجيال السابقة ، لذلك لم يألف الناس أكله ولا بيعه ولا تسويقه لذلك الغرض . انظر : بداية المجتهد ١/ ٤٦٩ ، وشرح الزرقاني ٣/ ٩١ ، وحاشية الرهوني على عبدالباقي ٣/ ٣٩ ، والمبسوط ١١/ ٢٣٣ ، وحاشية ابن عابدين ٦/ ٣٠٥ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٧٦ ، والمجموع ٩/ ٤ ، والمغني والشرح الكبير ١١/ ٦٩ ، وفتح الباري ٩/ ٥٦٦ ، وأضواء البيان ٢/ ٢٥٤ ، وأحكام الأطعمة في الشريعة الإسلامية ١٢٦ .

(٣) انظر : تنوير المقباس ٢٨٢ ، بنحوه .

(٤) ليس في تفسير مقاتل ، وأخرجه أبو الشيخ في العظمة ١٥٤ ، بنحوه من طريقين؛ مرفوعاً إلى النبي ﷺ من رواية أبي سعيد ، وموقوفاً على وهب بن منبه ، لكن ليس في الروايتين أنه تفسير لقوله تعالى : =

الجنة لأهلها وما أعد في النار لأهلها[١] . وقال السدي وقتادة : يعني السوس في الثياب ، والدود في الفواكه[٢] .

٩. قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ ﴾ . القصد : استقامة الطريق ، يقال : طريق قصد وقاصد إذا أداك إلى مطلوبك ، وقصد بك ما تريد[٣] ، واختلفوا في معنى هذه الآية ، فأكثر المفسرين على أن المعنى : وعلى الله بيان قصد السبيل بالكتب والرسل والحجج[٤] ، وهو قول

= ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ، وورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٤ب ، بنصه ، وانظر : تفسير الفخر الرازي ١٩/ ٢٣١ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٨٠ ، وأبي السعود ٥/ ٩٨ ، وتفسير الألوسي ١٤/ ١٠٢ ، وورد غير منسوب في تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٣٢ مختصراً .

وعلى هذا التفسير مأخذان؛ الأول : أنه حدد ما أبهم الله خلقه وخصصه بأمور بعيدة عن سياق الآية ، الثاني : أن الحديث الوارد موضوع ، فقد أورده السيوطي في اللالئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ١/ ٨٤ ، عن أبي هريرة مرفوعاً . وأغلب الظن أن الأثر من الإسرائيليات ، يؤكده أنه ورد عن أحد مصادر الإسرائيليات ، وبذلك جزم محقق كتاب العظمة ١٥٤ ، رقم (٣) ، وقد أورده ابن الجوزي بنحوه في كتاب الموضوعات ١/ ٢١٨ .

(١) انظر : تفسير الطبري ١٤/ ٨٣ ، والبغوي ٥/ ١١ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٣٢ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٨٠ ، والخازن ٣/ ١٠٨ ، وأبي حيان ٥/ ٤٧٧ .

(٢) ورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٥٧ ، عن السدي ، وتفسير الثعلبي ٢/ ١٥٤ب ، بنصه عن قتادة ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٨٠ ، وعنهما في الخازن ٣/ ١٠٨ ، عن قتادة ، وأبي حيان ٥/ ٤٧٧ ، وهو قول غريب وتخصيص عجيب من دون داعٍ أو مناسبة ، وهذا التفسير لا يليق بهذا المكان؛ لأن السياق في النعم والمنن ، وحتى تخصيصه بما أُعدَّ في الجنة غير مناسب للسياق؛ فالحديث في معرض الامتنان على العباد مؤمنهم وكافرهم بالمركوبات ، لذلك فالإطلاق أولى من كل هذه التخصيصات البعيدة عن السياق ، وإن لزم الأمر إلى تخصيص ،فينبغي أن يكون التخصيص بجنس الممتن به؛ لقوة القرينة ، فيكون المقصود بـ ﴿ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ؛ أي من جنس المركوبات ، ويؤيد هذا التخصيص ما ألهم الله البشر من اختراع وسائل النقل المتعددة لم تكن موجودة بل ولا متصورة يومئذٍ ، مثل السيارات والقطارات والطائرات والمركبات الفضائية ، وقد أشار إلى ذلك جماعة من العلماء المعاصرين . انظر : تفسير سيد قطب ٤/ ٢١٦١ ، والطاهر بن عاشور ١٤/ ١١١ ، والشنقيطي ٣/ ٢١٨ .

(٣) انظر : المحيط في اللغة (قصد) ٥/ ٢٥٦ ، والمفردات ٦٧٢ ، واللسان ٣٦٤٢ .

(٤) انظر : تفسير مقاتل ١/ ٢٠٠ب ، والطبري ١٤/ ٨٤ ، والسمرقندي ٢/ ٢٢٩ ، وتفسير =

جابـــر وقتادة والســـدي[١] ، ورُوي ذلك عن ابن عبـــاس[٢] واختاره الفـــرَّاء[٣] والزَّجَّاج[٤] ، وعلى هذا : الآية من باب حذف المضاف؛ لأن التقدير : وعلى الله بيان قصد الســـبيل ، ثم قال : ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾؛ أي عادل مائل ، ومعنى الجور في اللغة : الميل عن الحق[٥] ، والكناية في منها تعود على الســـبيل ، وهي مؤنثة في لغة الحجاز ، يعني : ومن السبيل ما هو جائر غير قاصد للحق[٦] . قال الكلبي : يعني اليهودية والنصرانية والمجوسية[٧] . وقال ابن المبارك : يعني الأهواء والبدع[٨] .

روى عطاء عـــن ابن عباس في هذه الآيـــة ، قال : من أراد أن يهديه ســـهَّل له طريق الإيـــمان ، ومن أراد أن يُضلَّه وعَّر عليه طريـــق الإيمان[٩] ، يعني المنافق والكافر؛ شَدُدَ عليه الغُسْلُ من الجنابة والوُضوءُ للصلاة ، ويَثْقُلُ عليه صيام شهر

= المـــاوردي ٣/ ١٨١ ، وتفســـير البغوي ٥/ ١١ ، وتفســـير ابـــن عطية ٨/ ٣٧٦ ، وتفســـير القرطبي ١٠/ ٨١ ، وتفسير الخازن ٣/ ١٠٨ ، وتفسير أبي السعود ٥/ ٩٨ .

(١) أخرجه الطبري ١٤/ ٨٤ ، بمعناه عن قتادة ، وأورده الســـيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٠٩ ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة بمعناه ، ولم أقف عليه عن جابر والسدي .

(٢) أخرجـــه الطـــبري ١٤/ ٨٥ ، بمعناه ، من طريق ابـــن أبي طلحة صحيحة ، ومـــن طريق العوفي غير مرضية ، وورد في تفسير الطوسي ٦/ ٣٦٣ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٩٧ ، بمعناه .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٩٢ ، بمعناه .

(٥) انظر : المحيط في اللغـــة (جور) ٧/ ١٧٢ ، ومجمل اللغة ١/ ٢٠٢ ، والصحاح ٢/ ٩١٧ ، واللســـان ٢/ ٧٧٢ .

(٦) نقله الفخر الرازي بنصه ، ونسبه إلى الواحدي ١٩/ ٢٣١ .

(٧) روي عن ابن عباس في تفسير ابن كثير ٢/ ٦٢٠ ، وتنوير المقباس ٢٨٣ ، وورد غير منسوب في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٤ ، من دون ذكر المجوسية ، والبغوي ٥/ ١١ ، وابن عطية ٨/ ٣٧٧ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٨١ ، والخازن ٣/ ١٠٨ .

(٨) ورد في تفســـير الثعلبي ٢/ ١٥٤ب ، بنصه ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ١١ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٣٣ ، والخازن ٣/ ١٠٨ .

(٩) انظر : تفسير القرطبي ١٠/ ٨٢ ، بنصه .

رمضان من اثني عشر شـــهراً ، ثم بين أن المشيئة إليه ، فقال : ﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ، يريد : فلو شـــاء لأرشـــدكم أجمعين حتى لا يختلـــف عليك يا محمد أحد ، هذا كلامـــه ، والذي ذكرنا في هذه الآية هي طريقـــة المفسرين . وفي الآية وجه آخر ، وهو أن المعنى : أن قصد الســـبيل الذي هو الحنفية والإسلام على الله؛ أن يؤدي إلى رضا الله وثوابه وجزائه[١] ، كقوله : ﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الحجـر :٤١]؛ أي إنه يؤدي إلى جزائي وكرامتي ، فهـــو طريق عليٍّ ، وهذا مذهب مجاهد ، قال : على الله طريق الحق[٢] ، وبـــه قال عبدالله بن المبارك[٣] ، وهو أقوى القولين؛ لأنه صح من غير إضمار ولا شبهة للقدرية[٤]؛ لأنهم يقولون على التفسير الأول : أضاف قصد السبيل إليه .

ثم قـــال : ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾ وهو ضده ، فلم يضف إلى نفســـه[٥] ، وجوابهم عـــن هذا أن الجائر أيضـــاً منه ، وإن لم يضف إلى نفســـه ، ولكنـــه ذكر ذلك على الإطلاق[٦] ، وابن عباس قد بَيَّنَ ذلك كما حكينا ، ولا شبهة لهم في الآية على القول الثاني .

---

(١) انظر : تفسير ابن عطية ٨/ ٣٧٦ .

(٢) تقدم توثيق قوله .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) القدريـــة هم نفاة القدر ، يزعمون أن الأمر أنـــف ، كان أول ظهورهم في نهاية جيل الصحابة ، عندما ظهـــر معبد الجهني ، وقد تبرأ منهم ابن عمر رضي الله عنهما ، وخلف الجهمية في هذه البدعة المعتزلة ، وأضَّلوها ، وجعلوها من أصولهم الخمسة . انظر : الفرق بين الفرق ١١٤ ، والفصل في الملل والأهواء ٣/ ٨٢ ، والملل والنحل ١/ ٤٣ ، والاستقامة ١/ ١٧٩ ، والتعريفات ١٧٤ .

(٥) هذه إشـــارة إلى مذهبهم الفاســـد في إخراج أفعال العباد عن قدرة الله وخلقـــه ، والمذهب الحق في هذه القضية هو مذهب أهل الســـنة والجماعة ، وقد ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية ـرحمه اللهـ وغيره ، فقال : وأما جمهور أهل السنة فيقولون : إن فعل العبد فعل له حقيقة ، ولكنه مخلوق لله ومفعول لله؛ لا يقولون : هو فعل الله نفسه ، ويفرقون بين الخلق والمخلوق ، والفعل والمفعول . منهاج السنة النبوية ٢/ ٢٩٨ .

(٦) لذلك فإن من كمال الأدب ألَّا ينســـب إلى الله إلا الخير ، وأما الشر فإما أن يذكر مطلقاً غير منســـوب إليه ، وإما أن ينسب إلى السبب الظاهر ، ومن أمثلته في القرآن : ما ورد على لسان إبراهيم عليه السلام : =

١٠. قولــه تعــالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ﴾ إلى قولــه : ﴿ وَمِنْهُ شَجَرٌ ﴾ . قال أهل اللغة : الشــجر أصناف ، فأما جِلُّ الشجر فعظامه التي تبقى على الشتاء ، وأما دِقُّ الشجر فصنفان : أحدهما يبقى له أَرُومَةٌ[١] في الشتاء ويَنْبت في الربيع ، ومنها ما لا يبقى له ســاق في الشــتاء ، كالبقول[٢] ، وقال أبو إسحاق : كلُّ ما يَنْبُت على الأرض فهو شجر :

نُطْعِمُها[٣] اللَّحْمَ إذا عَزَّ الشَّجَرْ[٤]

= ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشــعراء :٧٨ـ ٨٠] ، وقال على لسان الخضر : ﴿ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ﴾ [الكهف :٦٣] ، في حين نسب الخــير إليــه في قولــه : ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ﴾ [الكهف :٨٢] ، وقال على لســان الجن : ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ [الجن :١٠] ، ومن هنا قال رسول الله ﷺ : «والخير كله بيديك ، والشر ليس إليك» . [مسلم ٧٧١ ، كتاب : المسافرين ، باب : الدعاء في صلاة الليل] .

(١) الأَرُومَةُ : أصلُ كلِّ شــجرة ، والجميعُ الأَرُومُ والأَرُومَات ، وأَرَمْتُ الشيءَ : ذهبتُ بأَرُومَته وقَلَعْتُه . انظر : المحيط في اللغة (أرم) ١٠/ ٢٩٠ .

(٢) ورد في تهذيب اللغة (شــجر) ٢/ ١٨٣٠ ، بنحوه ، وانظر : جمهرة اللغة (شجر) ١/ ٤٥٨ ، ومقاييس اللغة ٣/ ٢٤٦ ، واللسان ٤/ ٢١٩٨ .

(٣) في النســخ جميعها : (يعظمها) ، ولا معنى لها ، والصحيح أنها تصحيف من (نطعمها) ، كما في بعض المصادر .

(٤) البيت للنمر بن تَوْلَب ، وهو مخضرم ، توفي ١٤هـ . وعجزه :

والخَيْلُ في إطْعامِها اللَّحْمَ ضَرَرْ

ديوانه ٣٥٥ ، وفيه : (عَسَرْ) بدل (ضَررْ) ، وورد في الشــعر والشعراء ١٩١ (الشحم) بدل (اللحم) الأولى ، والأغاني ٢٢/ ٢٧٩ ، واللســان (هشــش) ٨/ ٤٦٦٧ ، وورد غير منسوب في تهذيب اللغة (لحم) ٤/ ٣٢٤٨ ، واللسان (علف) ٥/ ٣٠٧٠ ، وتفسير الألوسي ١٤/ ١٠٥ ، في الأخيرين برواية : «نعلفها» بدل «نطعمها» ، وورد صدره في تفســير الرازي ١٩/ ٢٣٣ ، والخازن ٣/ ١٠٨ ، وأبي حيان ٥/ ٤٧٨ ، وسمَّى اللبن لحماً؛ لأنها تسمن على اللبن .

ويعني أنهم يُسقون الخيل اللبن إذا أجدبت الأرض[١] ، وقال ابن قتيبة في هذه الآية : يعني الكلأ[٢] ، ومعنى الآية : أنه ينبت بالماء الذي أنزل من السماء ما يرعاه الراعيةُ من ورق الشجر وجلِّها؛ لأن الإبل يرعى جِلَّ الشجر . قال ابن السِّكِّيت : يقال : شاجرَ المالُ ، إذا رعى العُشبَ والبَقْلَ فلم يَبْق منها شيء ، فصار إلى الشجر يَرْعاه[٣] .

وقوله تعالى : ﴿ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾؛ أي في الشجر تَرْعَون مواشيكم ، يقال : أَسِمْت الماشية إذا خليتها ترعى ، وسَامَت هي تَسُومُ سَوْماً إذا رَعَتْ حيثُ شاءت ، فهي سَوَامٌ وسَائِمَةٌ[٤] ، قال الزَّجَّاج : أُخِذَ ذلك من السومة ، وهي العلامة ، وتأويلها أنها تُؤثِّر في الأرض برَعْيِها علامات[٥] ، وقال غيره : لأنها تُعَلَّمُ الإرسالَ[٦] في المرعى[٧] .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٩٢ ، بنحوه .

(٢) الغريب لابن قتيبة ٢٤٣ ، بلفظه .

(٣) إصلاح المنطق ٣٠٩ ، بنصه ، وانظر : تهذيب اللغة (شجر) ٢/ ١٨٣١ بنصه ، والصحاح ٢/ ٦٩٤ ، بنصه .

(٤) ورد في تهذيب اللغة (سام) ٢/ ١٦٠٢ ، بنحوه ، وانظر : جمهرة اللغة (سوم) ٢/ ٨٦٢ ، والمحيط في اللغة ٨/ ٤٠٣ ، والصحاح ٥/ ١٩٥٥ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٩٢ ، بنصه .

(٦) في تفسير الفخر الرازي ١٩/ ٢٣٤ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٨٢ : (للإرسال) ، وهو قريب من الأول .

(٧) انظر : تفسير الفخر الرازي ١٩/ ٢٣٤ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٨٢ .

١١. قوله تعالى : ﴿ يُنۢبِتُ لَكُمُ ﴾ قراءة العامة بالتاء[١] ، وقرأ أبو بكر عن عاصم بالنون[٢] والياء أشكل لما تقدم من الإفراد[٣] ، والنون لا يمتنع أيضاً ، ويقال : نبت[٤] البقل [وأنبته الله ، وقد روي : أنبت البقل][٥] ، والأصمعي يأبى إلا نَبَتَ ، ويزعم أن قصيدة زهير التي فيها :

حتى إذا أنبت البَقْلُ[٦]

متَّهمة[٧] .

وقوله تعالى : ﴿ ٱلزَّرْعَ ﴾ . قال ابن عباس : يريد الحبوب[٨] ، ﴿ وَٱلزَّيْتُونَ ﴾ جمع زيتونة ، يقال : الشجرة نفسُها زيتونة ، ولثمرها زيتونة ، والجميع الزيتون ، ﴿وَٱلنَّخِيلَ ﴾ يقال : نخلة ونخل ونخيل .

وقوله تعالى : ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾؛ أي وينبت من كل الثمرات ، فحُذف لأن ما سبق يدل عليه .

---

(١) انظر : السبعة ٣٧٠ ، وعلل القراءات ١/ ٣٠١ ، والحجة للقراء ٥/ ٥٤ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٣٤ .

(٢) أي (نُنْبِتُ) ، انظر : المصادر السابقة .

(٣) وقد رجحه الأزهري ، فقال : والياء أجودهما ، وقال ابن خالويه : فالحجة لمن قرأه بالياء : أنه أخبر به عن الله ـعز وجلـ لتقدم اسمه أول الكلام ، والحجة لمن قرأه بالنون : أنه جعله من إخبار الله ـعز وجلـ عن نفسه بنون الملكوت . انظر : علل القراءات ١/ ٣٠١ ، والحجة في القراءات ٢٠٩ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٣٤ .

(٤) في (ش) و(ع) : (أنبت) ، والصحيح المثبت ليستقيم السياق ، وهو موافق للمصدر .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(د) .

(٦) البيت كما في الديوان ٤١ :

رأيتُ ذَوِي الحاجاتِ حولَ بُيوتِهم قطيناً لهم حتَّى إذا أنبتَ البقْلُ

أي نبت .

(٧) ورد في تهذيب اللغة (نبت) ٤/ ٣٤٩١ ، بمعناه ، والحجة للقراء ٥/ ٥٤ ، بنصه .

(٨) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٣٣ ، والخازن ٣/ ١٠٨ ، بلا نسبة .

١٢. قوله تعالى : ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ إلى قوله : ﴿مُسَخَّرَٰتُۢ﴾ ، قراءة العامة بالنصب في هذه المنسوقات كلها[١] ، وهو الوجه لاستقامتها في المعنى ، وإذا استقامت في معنى واحد استقامت في إعراب واحد ، وقد جاء التسخير في الشمس والقمر والنجوم ، وهو قوله : ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِ﴾ [إبراهيم :٣٣] ، وقوله : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ﴾ [الأنعام :٩٧] ، فكما حملت على التسخير في هاتين كذلك وجب أن يحمل على التسخير في هذه السورة .

وقوله تعالى : (مُسَخَّراتٍ) حال مؤكدة؛ لأن تسخيرها قد عُرف بقوله : ﴿وَسَخَّرَ﴾ فجاءت الحال مؤكدة ، ومجيء الحال مؤكدة في التنزيل وغيره كثير ، كقوله : ﴿وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا﴾ [البقرة :٩١] . و :

أنا ابنُ دارَة معروفاً[٢]

و :

كَفَى بالنأيِ من أسماءَ كافٍ[٣]

---

(١) انظر : السبعة ٣٧٠ ، وعلل القراءات ١/ ٣٠٢ ، والحجة للقراء ٥/ ٥٥ ، والمبسوط في القراءات ٢٢٣ ، والتيسير ١٣٧ .

(٢) جزء من بيت لسالم بن دارة ، مخضرم ، وتمامه :

أنا ابنُ دارةَ معروفاً بها نَسَبي وهلْ بدارةَ يا للنَّاسِ منْ عارِ

وهو من شواهد سيبويه ٢/ ٧٩ ، وورد في الخصائص ٣/ ٦٠ ، وأمالي ابن الشجري ، وتفسير ابن عطية ٨/ ٣٨٢ ، والخزانة ٢/ ١٤٥ ، ٣/ ٢٦٦ ، ودارة : أمُّه ، سميت بذلك لجمالها ، تشبيها بدارة القمر .

والشاهد : قوله : «معروفاً» حال مؤكِّدة لمضمون الجملة قبلها : «أنا ابن دارةَ» .

(٣) البيت لبشر بن أبي خازم الأسدي ، جاهلي ، وعجزه :

وليسَ لِحبِّها ما عشتُ شافِ

ديوانه ١٤٢ ، وفيه : «إذا طال شافي» بدل «ما عشت شافي» ، وورد في أمالي ابن الشجري ١/ ٢٨٢ ، ٤٣٢ ، =

وقرأ ابنُ عامـــر : ﴿ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ ﴾ رفعاً[١] ، كأنه قطعها عن ســـخر لئلا يجعل الحال مؤكدة ، فابتدأ الشـــمس والقمر والنجوم ، وجعل مســـخرات خبراً عنها؛ لأنه لا يقال : ذللت هذا الشيء مُذللاً ، ووهبت لك هذا موهوبـــاً ، إلا في التأكيد النادر ، وروى حفص عن عاصم : ﴿ مُسَخَّرَٰتُۢ ﴾ بالرفع وحدها[٢] ، ووجه ذلك أنه لم يجعلها حالاً مؤكدة ، وجعلها خبر ابتداء محذوف ، كأنه قال بَعدُ : هي مســـخراتٌ ، فحذف المبتدأ وأضمـــر لدلالة الخبر عليه ، وقد عُلم التســـخير بما تقدم ، وكون (مُســـخَّراتٍ) حالاً مؤكدة أسوغ من كونها خبرَ مبتـــدأ محذوف؛ لأن الخبر ينبغي أن يكون مفيداً ، لم يجئ إلا كذلك ، والحالُ تجيء مؤكِدة[٣] ، ألا ترى إلى قوله :

إذا كان يومٌ ذو كَواكِبَ أَشْنَعَاً[٤]

= والخزانة (عجز) ٤/ ٤٣٩ ، ١٠/ ٤٧٧ ، وورد غير منسوب في الكامل ٢/ ٩١٠ ، والمقتضب ٤/ ٢٢ ، والخصائص (صدر) ٢/ ٢٦٨ ، والمنصف ٢/ ١١٥ ، والموضح في وجوه القراءات (صدر) ٢/ ٧٣٢ ، وشرح المفصل ٦/ ٥٠ ، ١٠/ ١٠٣ . النأي : البعد ، أسماء : امرأة ، يريد كفى النأي من أسماء كفايةً . والشاهد قوله : «كافٍ» على أنه حال مؤكدة؛ لأنه إذا كفى فهو كافٍ لا محالة .

(١) انظر : الســـبعة ٣٧٠ ، وعلل القـــراءات ١/ ٣٠١ ، والحجة للقراء ٥/ ٥٥ ، والمبســـوط في القراءات ٢٢٣ ، والتيسير ١٣٧ .

(٢) انظر : المراجع السابقة .

(٣) نقل القراءات في الآية وتوجيهها من الحجة للقراء ٥/ ٥٥ ، بتصرف ، وانظر : كذلك التوجيه النحوي للقـــراءات في علل القراءات ١/ ٣٠٢ ، والحجة في القراءات ٢٠٩ ، والكشـــف عن وجوه القراءات ٢/ ٣٥ ، والـمُوضح في وجوه القراءات ٢/ ٧٣٢ .

(٤) البيت لعمرو بن شَأس مخضرم ، المتوفى سنة ٢٠هـ ، وصدره :

بَنِي أسدٍ هلْ تعلمونَ بلاءَنا

شـــعر عمرو بن شـــأس ٣٦ ، وورد في الكتاب ١/ ٤٧ ، والحجة للقراء ١/ ١٤٨ ، والأزهية ١٨٦ ، والخزانة ٨/ ٥٢١ ، ويروى : «يوماً ذا كواكـــب» ، أراد إذا كان اليوم يوماً ، وأضمر لعلم المخاطب ، ومعنـــاه : إذا كان اليومُ الذي يقع فيه القتال ، و(كان) في الوجهين بمعنى وقع . الشـــناعة : الفظاعة ، والتشـــنيع : التشمير ، وشنَّعَ النجم : ارتفع في السماء ، والشـــاعر يصف حرباً وشدةً ، والعرب تقول لليوم الذي تلقى فيه شِدَّة : يومٌ مظلمٌ ، حتى إنهم ليقولون : يومٌ ذو كواكب؛ أي اشتدَّت ظُلْمته حتى صار كالليل . انظر : المحيط في اللغة (شنع) ١/ ٢٨٨ ، والصحاح ٣/ ١٢٣٩ ، واللسان ٤/ ٢٣٣٩ .

حمله على الحال ولم يحمله على الخبر[١] .

١٣. قوله تعالى : ﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ ﴾؛ أي لأجلكم ، وهو عطف على ما قبله من المسخرات .

وقوله تعالى : ﴿ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ﴾؛ أي هيأته ومناظره ، يعني الدواب والأشجار وغيرها ، ونصب مختلفاً على الحال ، وذو الحال : ﴿ وَمَا ﴾ العامل فيها قوله : ﴿سَخَّرَ ﴾ .

١٤. قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ ﴾؛ أي ذلَّله للركوب والغوص ، ﴿ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾ . قال ابن الأعرابي : لحم طري غير مهموز ، وقد طرو طرواة .

وقال الفرَّاء في المصادر : ماكان طريّاً ، ولقد طري يطرى طراءً وطراوةً ، كما يقال : شقي يشقى شقاءً وشقاوةً ، قال ابن عباس : يريد السمك والحيتان[٢] ، ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ ، قال : يريد الدر واللؤلؤ والمرجان والزبرجد والياقوت ، وربما وجدوا فيه الذهب .

قال أبو علي : الحِلْيَة والحُلِي واحد ، كما يقال : بِرْكَة للمصدر وبِرَك[٣] .

وقوله تعالى : ﴿ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ ﴾ . يجوز أن يكون هذا فصلاً مبتدأً غير معطوف على ما قبله ، ويجوز أن يكون معطوفاً على ما قبله .

---

(١) قال أبو علي : فجعل ـ أي سيبويه ـ (أشنعاً) حالاً ولم يجعله خبراً؛ لأن في ما تقدم من صفة الاسم ما يدل على الخبر ، فيصير الخبر لا يفيد زيادة معنى . الحجة للقراء ١/ ١٤٨ .

(٢) ورد غير منسوب في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٠ب ، والسمرقندي ٢/ ٢٣٠ ، والثعلبي ٢/ ١٥٥أ ، والبغوي ٣/ ٦٤ .

(٣) لم أقف على مصدره ، وانظر : اللسان (حلا) ٢/ ٩٨٥ ، بنحوه منسوباً إليه .

واختلف ألفاظ المفسرين في تفسير الماخر ، فروى ابن عباس أنه قال : جواري[١] ، وقال في رواية عطاء : يريد ملججين فيه ، وأهل البحر يقولون : مَخَرْنا ، يريد لججنا؛ إذا انقطع البر عنهم فلم يروه ، وقال قتادة ومقاتل : مقبلة ومدبرة[٢] .

قال الكلبي : يذهب ويجيء[٣] .

وقال الحسن : مواقر[٤] .

وقال أبوعبيدة : صوائح[٥] ، ونحو هذا قال الفرَّاء[٦] ، وكل هذا معان وليس بتفسير ، وتفسير المواخر ما ذكره أهل اللغة .

قال المنذري : سمعت أحمد بن يحيى يقول وسئل عن المواخر ، فقال : الماخرةُ السفينةُ التي تَمْخَرُ الماءَ؛ تدفعه وتدفع الموج بصدرها[٧] ، قال : وأنشدني الحرَّانيُّ عن ابن السكيت أنه أنشده للراجز في صفة نساء ضرائر :

وصارَ أمثالَ الفغا ضرائري مُقَدِّماتٍ أَيْدِيَ المَواخِرِ[٨]

---

(١) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٥أ ، بلفظه ، وورد غير منسوب في البغوي ٣/ ٦٤ .

(٢) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٢/ ٣٥٤ ، بلفظه عن قتادة ، والطبري ١٤/ ٨٩ ، بلفظه عن قتادة من طريقين ، ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٥أ ، بلفظه عنهما ، والماوردي ٣/ ١٨٢ ، عن قتادة ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ١٢ ، عن قتادة .

(٣) ورد بلا نسبة في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٣١ ، وابن عطية ٨/ ٣٨٦ ، وورد منسوباً إلى الضحاك في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٥٩ .

(٤) أخرجه الطبري ١٤/ ٨٨ ، بلفظه ، وورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٥أ ، وتفسير الماوردي ٣/ ١٨٢ .

(٥) مجاز القرآن ١/ ٣٥٧ ، بمعناه ، قال : من مخرت الماء ، شقَّته بجآجئها .

(٦) قال : واحدها ماخرة ، وهو صوت جري الفلك بالرياح . معاني القرآن ٢/ ٩٨ .

(٧) ورد في تهذيب اللغة (مخر) ٤/ ٣٣٥٦ ، بنصه .

(٨) نُسب إلى ابن السِّكِّيت في التهذيب واللسان . ورد في التهذيب (مخر) ٤/ ٣٣٥٦ برواية :

يافيَّ مالِي عَلِقَتْ ضَرَائري مقدماتٍ أيديَ المواخِرِ

وورد صدره في تهذيب اللغة (فغا) ٣/ ٢٨٠٩ ، واللسان ٦/ ٣٤٤٢ ، وورد عجزه في مقاييس اللغة ٥/ ٣٠٣ ، ومجمل اللغة ٢/ ٨٢٥ ، بلا نسبة فيهما ، واللسان (مخر) ٧/ ٤١٥٢ .

قال : الماخِرُ : الذي يَشقُّ الماءَ إذا سَبحَ ، يصف نساءً تَصْخَبْنَ وتَسْتعِنَّ بأيديهن كأنهن سـوابح[١] ، والفغا : ضرب من التمر غليظ[٢] ، يقال : ما الذي أفغاك؛ أي أغضبك وورَّمك .

وقال أبو الهيثم : مَخْرُ السفينةِ : شَقُّها الماءَ بصدرها[٣] .

وقال الفرَّاء : يقال : مَخَرَتْ تَمْخُرُ وتَمْخَرُ[٤] مَخراً ومُخُوراً .

قال الأزهري : والقول في تفسير المواخر ما قاله ثعلب وأبو الهيثم؛ أنها تشق الماء شـقاً[٥] ، وسمعت أعرابياً يقول : مَخَرَ الذئبُ شاةً ، أي شقَّ بطنَها[٦] ، وأصل المخر الشق ، ومنه الحديث : «إذا أراد أحدكم الخلاء فليتمخر الريح»[٧] . قال أبو عبيد : يعني أن ينظر مجراها فلا يسـتقبلها[٨] ، فأما ما ذكره المفسرون فإنه يصح في المعنى؛ لأنها لا تشـق الماءَ إلا إذا كانت جارية موقرة ويسـمع لجريها وشقها الماءَ صوتٌ ، وهي تشق الماء مقبلةً ومدبرةً ، وذاهبةً وجائيةً .

---

(١) ورد في تهذيب اللغة (مخر) ٤/ ٣٣٥٦ ، بنحوه .

(٢) وهـو قول الليث ، ورد في تهذيب اللغة (فغا) ٣/ ٣٨٠٩ ، وقـد خطأه الأزهري ، فقال : هذا خطأ ، والفغا : داءٌ يقع عـلى البُسر مثل الغُبار ، ويقال : ما الذي أفغـاك؛ أي أغضبك وأورمك ، وقال أبو عبيد : إذا غَلُظت التمرةُ وصار فيها مثل أجنحة الجراد فذلك الفغا مقصور ، وقد أفغت النَّخلة .

(٣) ورد في تهذيب اللغة (مخر) ٤/ ٣٣٥٦ ، بنصه .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٩٨ ، بنصه ، وهو في تهذيب اللغة بنصه .

(٥) تهذيب اللغة (مخر) ٤/ ٣٣٥٦ ، وعبارته : قلت : والمخْرُ أصله الشَّقُّ .

(٦) ورد في تهذيب اللغة بنحوه .

(٧) ورد في تهذيب اللغة ، بنحوه ، وورد في تفسـير الثعلبـي ٢/ ١٥٥أ ، برواية : «البول» بدل «الخلاء» ، وأورده الطبري بهذه الرواية ونسـبه إلى واصـل مولى ابن عيينة ١٤/ ٨٩ ، وورد في تفسـير البغوي ٥/ ١٣ ، وفي النهاية برواية : «إذا بال أحدكم فليتمخر الريح» ٤/ ٣٠٥ ، وورد بمعناه في المجروحين لابن حبان ٣/ ١٠٨ ، قال : «إذا أراد أحدكم الخلاء فلا يستقبل الريح» .

(٨) الغريب لأبي عبيد ١/ ٣١٢ ، بنصه ، وانظر : تهذيب اللغة (مخر) ٤/ ٣٣٥٦ ، بنصه .

وقوله تعالى : ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ يعني لتركبوا للتجارة فتطلبوا الربح من فضل الله .

١٥. قوله تعالى : ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾ يريد جبالاً ثابتة ، ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ يعني لئلا تميد على قول الكوفيين ، وكراهة أن تميد على قول البصريين ، وذكرنا هذا عند قوله : ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟﴾ [النساء :١٧٦] ، والميد : الحركة والاضطراب يميناً وشمالاً ، ماد يميد ميداً[١] ، قال ابن عباس : يريد أُوَتِّدُها بالجبال لئلا تميد بأهلها .

وقوله تعالى : ﴿وَأَنْهَٰرًا﴾ . قال يريد : النِّيل[٢] والفُرات ودِجلة[٣] وسَيْحَان[٤] وجَيْحَان[٥] ، ونصب : ﴿وَأَنْهَٰرًا﴾ بتقدير : وجعل ، ودلَّ (ألقى)

---

(١) انظر : جمهرة اللغة (ميد) ٢/ ٦٨٥ ، والمحيط في اللغة ٩/ ٣٨٣ ، ومجمل اللغة ٢/ ٨٢٠ ، وعمدة الحفاظ ٤/ ١٥٠ .

(٢) النِّيل : بكسر أوله ، نهر مشهور بأفريقيا وبمصر خاصة ، يعد ثاني أنهار العالم طولاً ، يبلغ طوله (٦٥٠٠) كلم ، ينبع من بحيرتي فكتوريا وتانا ويصب في المتوسط ، ويمر بدول عدة ، هي : كينيا وأوغنده وأثيوبيا والسودان ومصر ، ويتفرع في جداول عدة فيها . انظر : الروض المعطار ٥٨٦ ، ومعجم البلدان ٥/ ٣٣٤ ، وأطلس العالم الصحيح ١٢١ .

(٣) دجلة والفُرات : من الأنهر المشهورة ، ينبعان من هضبة أرمينية ، ويمران بدول عدة ، هي : أرمينية وتركية والعراق وسورية ، ويجتمعان في شط العرب جنوب العراق ويصبان في الخليج العربي . انظر : الروض المعطار ٤٣٩ ، ومعجم البلدان ٤/ ٢٤١ ، وأطلس تاريخ الإسلام ١١٤ ، وأطلس العالم الصحيح ٦٨ .

(٤) سَيْحان : نهر كبير بالثغور من نواحي المصيصة ، منطقة في جنوب تركيا ، وهو نهر أذنة ـ أضنة ـ بين أنطاكية والروم تركيا ، يمر بأذنة ثم ينفصل عنها نحو ستة أميال فيصب في بحر الروم؛ البحر المتوسط ، وهو غير سيحون ، وذكر صاحب الروض المعطار أنه واحد . انظر : الروض المعطار ٣٣٣ ، ومعجم البلدان ٣/ ٢٩٣ ، وأطلس تاريخ الإسلام ١٤٢ ، وأطلس العالم ٣٩ .

(٥) جَيْحَان : نهر عظيم بالمصيصة بالثغر الشامي ، جنوب تركيا ، ومخرجه من بلاد الروم ، ويمر حتى يصب بمدينة تعرف بكَفَرْبَيَّا بإزاء المصيصة؛ الإسكندرونة ، ويخرج إلى البحر الرومي البحر المتوسط . انظر : الروض المعطار ١٨٥ ، ومعجم البلدان ٢/ ١٩٦ ، وأطلس تاريخ الإسلام ١٤٢ ، وأطلس العالم ٣٩ .

عليه ، قال أبو إسحاق : لأن معنى ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ﴾ : جعل فيها رواسي ، يدل عليه قوله : ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾[١] [النبأ :٧] .

وقوله تعالى : ﴿وَسُبُلًا﴾ . قال ابن عباس : يريد طُرقاً إلى كل بلاد[٢] ، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ : لكي تهتدوا إلى مقاصدكم من البلاد فلا تضلون .

١٦. قوله تعالى : ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾ منسوقة[٣] على ما قبلها ، والعلامة صورة يعلم بها المعنى من خط أو لفظ أو إشارة أو هيئة ، وأصلها مشتق من العلم ، واختلفوا في معناها ، فقال الكلبي والقرظي : يعني الجبال[٤] ، وهي علامات للطرق بالنهار كالنجوم بالليل ، وعلى هذا تَمَّ الكلام هاهنا ، وبقية الآية ابتداء مع خبره ، وهذا قول الأخفش[٥] ، وقال ابن عباس في رواية عطاء : يريد نجوم السماء ، والوجه هو الأول[٦]؛ لأنها[٧] معطوفة على ما خلقت في الأرض ، والنجوم لم تخلق في

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٩٣ ، بنصه .

(٢) انظر : تنوير المقباس ٢٨٣ ، بنحوه .

(٣) في النسخ جميعها : «منسوخة» بالخاء ، والصواب المثبت؛ لانسجام المعنى ، فالكلام هنا عن العطف لا النسخ .

(٤) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٢/ ٣٥٤ بلفظه عن الكلبي ، والطبري ١٤/ ٩٢ بلفظه عن الكلبي ، والسمرقندي ٢/ ٢٣١ ، بلفظه عن الكلبي ، والثعلبي ٢/ ١٥٥ب ، بلفظه عنهما ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ١٣ ، عنهما ، وابن عطية ٨/ ٣٨٩ ، عن الكلبي ، وابن الجوزي ٤/ ٤٣٦ ، عن الكلبي ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٩١ ، عن الكلبي ، والخازن ٣/ ١١٠ ، عنهما ، والدر المنثور ٤/ ٢١٢ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر عن الكلبي .

(٥) ليس في معانيه ، وانظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١٠ ، وصديق خان ٧/ ٢٢٢ .

(٦) وقد ورد عن ابن عباس قولاً لم يورده أعمَّ وأولى مما رجحه ، وهو ما رجحه الطبري ، قال : العلامات : معالم الطرق بالنهار . انظر : تفسير الطبري ١٤/ ٩٢ ، وورد في الدر المنثور ٤/ ٢١٢ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه .

(٧) في (أ) و(د) : (لا) ، والمثبت من (ش) و(ع) وهو الصحيح ، وبه يستقيم الكلام .

الأرض ، ولأنــه لو كان المراد بالعلامات النجوم لقال : وبها يهتدون ، فلما قال : ﴿وَبِٱلنَّجْمِ﴾ دَلَّ أن المراد بالعلامات غيرُ النجم .

وقوله تعــالى : ﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ . قال مجاهــد وإبراهيم : أراد جميع النجوم[١] ، واختاره الزَّجَّاج ، فقال : النجم والنجوم في معنى واحد ، كما يقال : كثــر الدِّرهم في أيدي النــاس والدَّراهم[٢] ، وقال عطاء عــن ابن عباس : يعني الجَدْي[٣] ، وقال الســدي : يعنــي الثُّريا وبَنات نَعْش[٤] ، وقــال الكلبي : يعني الفَرْقَدين والجَــدْي[٥] ، وهو اختيار الفــرَّاء[٦] ، ﴿هُمْ يَهْتَدُونَ﴾؛ أي إلى الطريق والقبلة في البر والبحر .

---

(١) الــذي ورد عن مجاهــد وإبراهيم ، قالا : منها ما يكون علامة ، ومنها مــا يهتدى به . أخرجه الطبري ١٤/ ٩١ ، عنهــما من طريقين ، لكن هذا تفســير لـ ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾ ، وليــس لـ ﴿وَبِٱلنَّجْمِ﴾ كما في الطبري ، وانظر : تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٥ب .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٩٣ ، بنصه ، وهو الأَوْلَى من التخصيص الوارد في الأقوال التالية .

(٣) انظر : تنوير المقباس ٢٨٣ ، قال : بالفرقدين والجدي . الجدي : هو الكوكب الذي يتوخى الناس بها القبلة؛ لأنه لا يزول ، وتُسَمِّيه العرب : جدي بنات نعش . انظر : الأزمنة والأمكنة ٥٤٦ .

(٤) ورد في تفســير الثعلبي ٢/ ١٥٥ب ، بنصه ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ١٣ ، والزمخشري ٢/ ٣٢٥ ، وابن الجــوزي ٤/ ٤٣٦ ، والفخر الــرازي ٢٠/ ١٠ ، والخازن ٣/ ١١٠ . الثريــا : من الكواكب ، ســميت لغزارة نَوْئها ، والنوء : هو سقوط نجم بالغداة مع طلوع الفجر وطلوع آخر في حياله في تلك الســاعة ، وقيل : سميت بذلك لكثرة كواكبها مع صغر مرْآتها ، لا يتكلم بها إلا مصغراً ، وهو تصغير على جهة التكبير . بنات نعش : ســبعة كواكب؛ أربعة منها نَعْش؛ لأنهــا مُربعة ، وثلاثةٌ بناتُ نعش؛ الواحد ابــنُ نَعْش؛ لأن الكواكب مذكر فيذكرونه على تذكيره ، وإذا قالوا : ثلاث أو أربع ، ذهبوا إلى البنات . انظر : المحيط في اللغة (نوأ) ١٠/ ٤١٩ ، والأزمنة والأمكنة ١٣٩ ، ٥٤٧ ، واللسان (نعش) ٧/ ٤٤٧٤ ، (ثرا) ١/ ٤٨٠ .

(٥) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٣٦ ، ورد غير منســوب في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٣١ ، الفرقدان : نجمان منيران في بنات نعش ، يضرب بهما المثل في طول الصحبة في التساوي والتشاكل ، وقيل : نجمان في السماء لا يغربان ولكنهما يطوفان بالجدي ، وقيل : كوكبان في بنات نعش الصغرى . انظر : اللسان (فرقد) ٦/ ٣٤٠٢ ، جنى الجنتين في تمييز نوعي المثنيين ٨٦ .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٩٨ ، بلفظه .

١٧. قوله تعالى : ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴾ . قال ابن عباس : يريد ما ذكر في هذه السورة ، ومن يخلق هو الله عز وجل ، ﴿ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴾ يريد الأوثان؛ كقوله : ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ ﴾ [لقمان :١١] ، وإنما قال : ﴿ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴾ للوثن لاقترانه في الذكر مع الخالق ، كقوله : ﴿ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ ﴾ [النور :٤٥] . قال الفرَّاء : والعرب تقول : اشتَبه عليَّ الراكبُ وجمله ، فلا أدري مَنْ ذا ومنْ ذا ، حيثُ جَمَعَها وأحدُهما إنسان ، صَلحت (مَنْ) فيهما[١] ، وقيل : إنهم لما عبدوها ذُكرت بلفظ (مَنْ)[٢] ، كقوله : ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ ﴾ [الأعراف :١٩٥] ، وقد مر .

وقوله : ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ . قال ابن عباس : يريد المشركين ، يقول : أفلا تتعظون كما اتعظ المؤمنون[٣] ، قال أصحابنا : وهذه الآية دليل على أن الخالق واحد ، وإنما يتميز الخالق من المخلوق بالقدرة على اختراع الخلق ، فمن جعل نفسه خالقاً لأفعاله التي يفعلها فقد نصب نفسه خالقاً شريكاً لله في الخلق[٤] ، وقال أهل التأويل : معنى هذه الآية : إنكار تشبيه من يخلق بمن لا يخلق بالتسوية بينهما في العبادة ، كما[٥] لا يجوز أن يُسوَّى بين من ينعم ومن لا ينعم في الشكر[٦] .

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٩٨ ، بنصه ، وانظر : تفسير الطبري ١٤/ ٩٣ .

(٢) ذكر هذين القولين توجيهاً لاستخدام (منْ) وهي للعاقل ، كما يقول النحويون للتعبير بها عن غير العاقل ، وهي الأصنام ، وحقها (ما) عندهم؛ لأن الأصنام غير عاقلة .

(٣) انظر : تنوير المقباس ٢٨٣ ، بنحوه .

(٤) هذا ردٌّ على المعتزلة في زعمهم أن العباد خالقون لأفعالهم .

(٥) في النسخ جميعها : «كمن» ، وبالمثبت يستقيم الكلام .

(٦) ورد بمعناه في تفسير الطبري ١٤/ ٩٢ ، وهود الهواري ٢/ ٣٦٣ ، والطوسي ٦/ ٣٦٨ .

١٨. قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾. ذكرنا تفسيره في سورة إبراهيم[١]، وقال ابن عباس في هذه الآية: يريد أنَّ نِعمي أكثر مما يُحصى أو يُعرف؛ منها ظاهر ومنها باطن.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ﴾؛ أي لِما منكم من تقصير شكر نعمه، ﴿رَّحِيمٌ﴾: بكم حيث لم يُقْصِها عنكم بتقصيركم.

٢٠. وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ قراءة العامة بالتاء[٢]؛ لأن ما قبل هذه الآية كلها خطاب للكفار، وقرأ عاصم بالياء في: ﴿يَدْعُونَ﴾[٣] إخباراً عن المشركين الذين يعبدون الأصنام من دون الله، ثم وصفها.

٢١. فقال: ﴿أَمْوَٰتٌ﴾، قال الزَّجَّاج أي وهم أموات[٤]، وقال الفرَّاء: وإن شئت رددت على أنه خبر للذين، كأنه قال: والذين تدعون من دون الله أموات، والأموات في هذا الموضع يعني بها أنها لاروح فيها[٥].

وقوله تعالى: ﴿غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾ تأكيد[٦]؛ إذ قد يقال للحي: هو كالميت في البعد من أن يعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾. قال ابن عباس: وذلك أن الله تعالى يبعث الأصنام لها أرواح ومعها شياطينها فيتبرؤون من عابديهم، ثم

---

(١) عند الآية [٣٤].

(٢) انظر: السبعة ٣٧١، وعلل القراءات ١/ ٣٠٢، والحجة للقراء ٥/ ٥٨، والمبسوط في القراءات ٢٢٢٤، والتيسير ١٣٧.

(٣) المصادر السابقة.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٩٣، بلفظه.

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٩٨، بنحوه.

(٦) ساقطة من (د).

يؤمر بالشياطين والذين كانوا يعبدونها إلى النار[١] ، وقال أبو إسحاق أي وما يشعرون متى يبعثون ، و﴿ أَيَّانَ ﴾ في موضع نصب بقوله : ﴿ يُبْعَثُونَ ﴾ ، ولكنه مبني غيرُ مُنَوَّن[٢] لأنه بمعنى الاستفهام ، ولا يُعرب كما لا يُعرب متى وكيف وأين ، إلا أن النون فتحت لالتقاء الساكنين[٣] ، واختير الفتح على الكسر ؛ لأن الفتح أشبه بالألف وأخف معها ، وذكرنا معنى أيَّان عند قوله : ﴿ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴾ [الأعراف :١٨٧] ، وقد تضمنت هذه الآية البيان عما تُوْجِبه صفة من ليس بحي من الامتناع أن يكون منه فعل لاستحالة ذلك ، ذكر الله ذلك في الآية الأولى ؛ أن أصنامهم مخلوقة غير خالقة ، وذكر في هذه الآية أنها مع كونها مخلوقةً مواتٌ غيرُ ذات روح وأنها مبعوثة ، وهي لا تعلم متى وقت بعثها ، وكل هذا يدل على جهل من عبدها أو أشركها بالله تعالى .

٢٢. قوله تعالى : ﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ . مضى الكلام في هذا في [البقرة :١٦٢] .

وقوله تعالى : ﴿ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ﴾ الآية . دخلت الفاء للإتباع دون العطف ، ذكر الله تعالى دلائل وحدانيته ، ثم أخبر أنه واحد لا نظير له ولا كفء ولا شريك ، ثم أتبع هذا إنكار الكفار وحدانيته ، وقال : ﴿ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ ﴾ ؛ أي جاحدة غير عارفة ولا مُقِرَّة بالحق من توحيد الله ، وقال ابن عباس : منكرة لهذا القرآن[٤] ، وذكرنا معنى الإنكار عند قوله : ﴿ نَكِرَهُمْ ﴾ في سورة هود [٧٠] .

وقوله تعالى : ﴿ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ ؛ أي ممتنعون من قبول الحق ، والاستكبار : الترفع بترك الإذعان للحق ، قال ابن عباس : ﴿ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ : عن عبادة الله .

---

(١) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٣٨ ، والفخر الرازي ٢٠/ ١٦ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٩٤ .

(٢) في (ش) و(ع) : (معرب) .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٩٣ ، بنصه .

(٤) ورد غير منسوب في تفسير هود الهواري ٢/ ٣٦٤ .

٢٣. قوله : (﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ ﴾ الآية ، ذكرنا معنى لا جرم ، والخلاف فيه في سورة هود عند)[١] قوله : ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴾ [هود :٢٢] ، وليس يحتمل هاهنا من تلك الأقوال إلا قولاً واحداً ، وهو أن يكون بمعنى : حقّاً ، وبهذا فسره ابن عباس[٢] واختاره الزَّجَّاج ، فقال : حقّاً أن الله[٣] ، ومذهبه في لا جرم في سورة هود غير هذا[٤] ، فمعنى لا جرم هاهنا : تأكيدٌ وقَسَمٌ ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ ، وتأكيد ذلك تأكيد جزائهم؛ كأنه قيل : يجازيهم بما يسرون وما يعلنون؛ لأنه يعلم ذلك .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾؛ أي لا يثيبهم ولا يمدحهم ولا يرضى عنهم[٥] .

٢٤. قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ ، معنى أساطير الأولين ذكرناه في سورة الأنعام [٢٥] ، قال ابن عباس :

---

(١) في نسخة (أ) ما بين القوسين كتب على الهامش .

(٢) انظر : تنوير المقباس ٢٨٤ ، وورد بلا نسبة في تفسير الطبري ١٤/ ٩٤ ، والسمرقندي ٢/ ٢٣٢ ، والثعلبي ٢/ ١٥٥ب .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٩٤ ، بنحوه .

(٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٤٦ .

(٥) هذا من تأويلات الأشاعرة للصفات الفعلية لله تعالى ، إذ صرفوا اللفظ عن ظاهره من دون دليل أو حجة إلّا شبهات واهية ، فأوَّلوا صفة المحبة : بالإثابة والمدح والرضى عنهم كما هنا ، أو بالإحسان إليهم والتفضل بإعطاء الثواب أو إرادة الإنعام والإحسان . أما مذهب أهل الحق : فيثبتون صفة المحبة الله تعالى إثباتاً حقيقياً على وجه يليق بجلاله وعظمته ، كما أنهم يثبتون معه لازم المحبة؛ وهي إرداته سبحانه إكرام من يحبه وإثابته ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : وقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على إثبات محبة الله تعالى لعباده المؤمنين ومحبتهم له ، وهذا أصل دين الخليل إمام الحنفاء عليه السلام . انظر : مجموع الفتاوى ٢/ ٣٥٤ ، ومدارج السالكين ٣/ ١٨ ، وأقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات ٧٧ ، وشرح العقيدة الواسطية للهراس ٥٣ .

نزلت في النضر بن الحارث وأصحابه ، كان خرج إلى الحِيرَة فاشترى أحاديث كَليلة ودِمنة وأساطير الأولين ، وكان يقول : تعالوا أقرأ عليكم ما يقرأ محمد على أصحابه؛ أساطير الأولين[١] .

وقال أبو إسحاق في هذه الآية : (ما) مبتدأ و(ذا) في موضع الذي ، المعنى : ما الذي أنزل ربكم؟ وأساطير مرفوعة على الجواب؛ كأنهم قالوا : الذي أَنْزَلَ أساطيرُ الأولين؛ الذي يذكرون أنه منزلٌ أساطيرُ الأولين؛ أي أكاذيبهم[٢] ، وشرح أبو علي هذا فقال : رُفِعَ الأساطيرُ؛ لأن ذا بعد[٣] ما بمنزلة الذي[٤] ، ولم يُجعل معها بمنزلة اسم واحد ، فكأنه قال : ما الذي أنزل ربكم؟ فقيل : أساطير الأولين؛ أي الذي أنزله أساطير الأولين ، فَيُضَم المبتدأ الذي كان خبراً في سؤال السائل ، على هذا يرتفع الأساطير في قول سيبويه[٥] ، قال : وروي عن أبي زيد وغيره من النحويين أنهم قالوا : لم يُقِرُّوا بإنزال الله لذلك ، فكأنهم لم يجعلوا أساطير الأولين خبرَ الذي أنزل ، وعلى هذا يرتفع الأساطير بخبر ابتداء محذوف؛ كأنه قيل : الذي يعنون والذي يسألون عنه أساطير الأولين ، فحذف المبتدأ لدلالة ما في السؤال عليه[٦] ، ووجه قول سيبويه : إذا جعلت أساطير الأولين خبر (ذا) الذي هو بمعنى الذي في قوله : ﴿ مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ﴾ أن يكون المعنى : الذي أنزله ربكم عندكم وفي قولكم أساطير الأولين ، كما جاء : ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ ﴾ [الزخرف :٤٩] ، وكما قالوا : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ ﴾ [الحجر :٦]؛ أي عنده وعند من تبعه ، فيمكن

---

(١) انظر : تفسير ابن عطية ٨/ ٣٩٧ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٩٥ ، ورد فيهما بلا نسبة .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٩٤ ، بنحوه .

(٣) في (د) : «بمعنى» .

(٤) انظر : رصف المباني ٢٦٥ ، والجنى الداني ٢٣٩ .

(٥) الكتاب ٢/ ٤١٩ ، وانظر : المسائل البغداديات ٣٧١ـ٣٧٢ .

(٦) لم أقف على مصدره ، وورد نحواً من هذا التوجيه في إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٠٨ ، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ١٣ ، والبيان في غريب إعراب القرآن ٢/ ٧٧ ، والإملاء ٢/ ٧٩ ، والفريد في إعراب القرآن ٣/ ٢٢٢ .

أن يُجعلَ الأســاطيرُ خبر من غير أن يُقِرُّوا بالإنزال على الوجه الذي ذكرنا ، وهذا معنى قول أبي إسحاق؛ أي الذي يذكرون أنه منزل أساطير الأولين .

٢٥. قوله تعالى : ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ ﴾ ، اللام في ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ ﴾ لام العاقبة ، وهم لم يقولوا للقرآن : أســاطير الأولين ، ليحملوا الأوزار ، ولكن لما كانت عاقبتهم ذلك بهذا القول ، جاز أن يقال : فعلوا ذلك له ، كقوله عز وجل : ﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ [القصص :٨] ، وهم لم يلتقطوا لذلك ، وكما قال النابغة :

جـاءَتْ لِتُطعِمَه لحماً ويَـفْجَعَها بابنٍ فقَدْ أطعمتْ لحماً وقدْ فَجعَا[1]

يعني بقراً جاءت مع عجلها للرعي ، فوقع الذئب على عجلها فأكله ، فزعم أنها جاءت لذلك ، وهي لم تجئ له .

قوله تعالى : ﴿ كَامِلَةً ﴾ . قال صاحــب النظم أي إن غيرهم لا يحمل عنهم من أوزارهم شيئاً ، ويجوز أن يكون المعنى : أنهم لا يُكفَّر عنهم شيء من ذنوبهم بما يصيبهــم في الدنيا من نكبة وبلية كالمؤمنين[2]؛ لأنهم[3] كفار ، فهم يرِدون الآخرة بما اكتسبوا من الآثام كلها .

وقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم ﴾ لأنهم كانوا رؤساء ، فلما قالوا في القرآن : إنه أساطير الأولين ، اقْتُدي بهم فيه ، فحُمل عليهم من أوزارهم ، يبين

(١) لم أجده في ديوان النابغة؛ لا الجعدي ولا الذبياني ، ولم أقف عليه في المصادر .

(٢) في هذا المعنى روى البخاري (٥٦٤١) ، (٥٦٤٢) في المرض ، باب : ما جاء في كفارة المرض ، ومسلم (٢٥٧٣) في البر والصلة والآداب ، ثواب المؤمن في ما يصيبه من مرض ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ، ولا همٍّ ولا حزَن ، ولا أذى ولا غمٍّ ، حتى الشوكة يُشاكها ، إلا كفَّرَ الله بها من خطاياه» .

(٣) في (د) : (فإنهم) .

هـــذا ما روي أن النبيَّ ﷺ قال : «أيُّما داعٍ دعا إلى ضلالة فاتُّبِع فإن عليه أوزارَ من اتَّبَعه ، من غير أن يَنقصَ من أوزارهم شيء»[1] .

فهؤلاء لـمَّا كانوا دعاةَ الضلالة ، حُمِّلوا من أوزار من اتبعهم .

و(من) في قوله : ﴿ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم ﴾ ليست للتبعيض؛ لأنها لو كانت للتبعيض لخفَّ عن الأَتْبَاع بعضُ أوزارهم بحمل الرؤســاء ذلك ، ولكنها للجنــس؛ أي ليحملوا من جنس أوزار الأتبــاع ، وإنما ذلك لأن النبيَّ ﷺ قال : «مــن غير أن ينقص من أوزارهم شيء» ، ولو جعلنــا المحمولَ من أوزار الأتباع نقصت أوزارهم ، فليس يأتي التابعُ بجنس من الذنب في ضلالته إلا وعلى المتبوع مثلُ ذلك ، كما قال ﷺ : «فإن عليه مثل أوزار من اتبعه» .

وقوله تعالى : ﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾؛ أي بجهل ، يريد أن هؤلاء المتبوعين يُضِلُّون من اتبعهم جهلاً منهم بما يفعلــون من احتقاب[2] أوزارهم ومثل أوزار من اتبعهم ، ثم ذم الله صنيعهم فقال : ﴿ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ ، ومضى تفســير هذا وتفسير الوزر عند قوله : ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ﴾ الآية [الأنعام :٣١] .

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٠٥) ، المقدمة ، باب : من ســن سنة حسنة أو ســيئة بنصه عن أنس ، والطبري ١٤/ ٩٦ ، بنصه ، وورد في تفســير الرازي ٢٠/ ١٨ ، والقرطبي ١٣/ ٣٣١ ، والدر المنثور ٤/ ٢١٧ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم ، والجامع الصغير للألباني (٢٧١٢) ، وقد ورد برواية : «من دعا . . . .» ، وبرواية : «من ســن سنة . . . .» . في مســند أحمد ٢/ ٣٩٧ ، ٤/ ٣٦١ ، وصحيح مسلم (٢٦٧٤) في العلم ، باب : من سن سنة حسنة وما بعدها ، والترمذي (٢٦٧٤) في العلم ، باب : ما جاء في من دعا إلى الهدى فاتبع أو إلى ضلالة ٥/ ٤٣ ، والنسائي بالرواية الثانية ، كتاب : الزكاة ، باب : التحريض على الصدقة ٥/ ٧٥ ، وسنن ابن ماجه المقدمة ، من سن سنة (٢٠٦) .

(٢) أصلها حقب ، يقال : حقب البعير واحتقب حقباً : احتبس بوله وتَعَسَّر عليه ، وحَقِب العام : احتبس مطــرُه ، واحتقبَ الــشيءَ : ادَّخره ، وكذلك : احتملــه ، وهو المقصود هناك . انظــر : تهذيب اللغة (حقب) ١/ ٨٧٣ ، والمحيط في اللغة ٢/ ٣٦٣ ، واللسان ٢/ ٩٣٧ ، ومعجم متن اللغة ٢/ ١٢٩ .

٢٦. قولـه تعالى : ﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ . قـال جماعة المفسرين : يعني نمرود بن كنعان ، بَنَى صرحاً طويلاً ورام منه الصعود إلى السماء ليقاتل أهلها[١] . ومعنى المكر هاهنا : التدبيرُ الفاسد ، روى ثعلب عن ابن الأعـرابي في قوله : ﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرًا ﴾ [النمـل :٥٠] قال : دبروا[٢] ، والمراد في هذه الآية[٣] تدبيره في بناء الصرح لقتال أهل السماء .

وقولـه تعـالى : ﴿ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم ﴾؛ أي أتى أمرُ الله ، وهـي الريح التي خربتها وحركتها ، وهو ما ذكر المفسرون؛ أن الله تعالى أرسـل ريحاً فألقت رأس الـصرح في البحر وخَرَّ عليهم الباقي[٤] ، فأمْرُ الله الذي أتى البنيان يجوز أن يكون الريح ، ويجوز أن يكـون أمره للبنيان بالانهدام ، فالآية من باب حذف المضاف ،

---

(١) تفسـير مجاهد ١/ ٣٤٦ ، ومقاتل ١/ ٢٠١ب ، وأخرجه الطبري ٧/ ٥٧٦ عن ابن عباس والسـدي وزيد بن أسلم ، وورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٣٣ ، والثعلبي ٢/ ١٥٥ب ، والماوردي ٣/ ١٨٥ ، والطوسي ٦/ ٣٧٤ ، وانظر : تفسـير البغوي ٥/ ١٦ ، والزمخشري ٢/ ٣٢٦ ، وابن عطية ٨/ ٣٩٩ ، وابـن الجوزي ٤/ ٤٣٩ ، والرازي ٢٠/ ٢٠ ، والقرطبي ١٠/ ٩٧ ، والخازن ٣/ ١١٢ ، والدر المنثور ٤/ ٢١٨ ، وزاد نسـبته إلى ابن أبي حاتم عن ابن عبـاس ، وتخصيص الآية على النمرود وأصحابه فيه نظـر ، لأنه ليس في الآية ما يدل على ذلك ، لكنهم عدُّوا أن المشـار إليهم في هذه الآية هم المذكورون في سـورة إبراهيم في قوله : ﴿ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ ﴾ ، كما ذكر الطـبري ، وحتى بهذا الاعتقاد ، لا يسـلم لهم ، فقد عرفنا موقف العلماء من هذه القصة؛ التضعيـف والرد والإنكار ، وأغلب الظن أنها إسرائيلية ، ومما يؤكده رواية كعب لها ، وهو من مصادر الإسرائيليات ، ولا يقال : إن الرواية هنا ثبتت عن ابن عبـاس ـرضي الله عنهماـ وقوله معتبر ، وهو كذلك عنـد ورودها عن الطرق الصحيحة ، والرواية التي أوردها الطبري جـاءت من طريق العوفي ، وهي طريق غير مرضية ، فلا يعتد بها ، ولا يعتمد عليها ، وقد أشـار ابن عطية إلى التعميم بقوله : وقالت فرقة أخرى : المراد به جميع من كفر من الأمـم المتقدمة ومكر ، ونزلت به عقوبةٌ من الله تعالى ، وهو ما رجحه الفخر الرازي ، والخازن انظر : تفسير ابن عطية ٨/ ٤٠٠ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٢٠ ، والخازن ٣/ ١١٢ .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) في (أ) : (الأمة) ، والمثبت هو الصحيح ، كما في باقي النسخ .

(٤) انظر : تفسـير البغوي ٥/ ١٦ ، عـن كعب ومقاتل ، والزمخـشري ٢/ ٣٢٦ ، وابن عطية ٨/ ٣٩٩ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٤٠ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٩٧ ، والخازن ٣/ ١١٢ ، فيهما عن كعب ومقاتل .

وحذف المضاف هاهنا للتهويل والتعظيم ، وقد سبق بيان هذا في قوله : ﴿ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة :٢١٠] ، والبنيان اسم للبناء .

وقوله تعالى : ﴿ مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ ﴾ . قال أبو إسحاق أي من أساطين البناء التي تَعْمِده[١] ، وذكرنا معنى القواعد للبناء في سورة [البقرة :١٢٧] .

وقوله تعالى : ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ ﴾؛ أي سقط عليهم البيوت ، على أصحاب نمرود[٢] ، وذكر ﴿ مِن فَوْقِهِمْ ﴾ ليدل أنهم كانوا تحته ، إذ[٣] يقول القائل : تهدمت عليَّ المنازل ، ولم يكن تحتها ، هذا قول ابن الأنباري ، قال : والعرب تقول : تداعت علينا الدار ، وخَرِب علينا الحانوت ، وإن لم يكونوا تحته[٤] ، ويجوز أن يكون للتأكيد .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾؛ أي من حيث ظنوا أنهم منه في أمان ، وقال عطاء عن ابن عباس : يريد بالبعوضة؛ يعني التي أهلك بها نمرود[٥] .

٢٧. قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ ﴾ ، معنى الإخزاء ذكرنا عند قوله : ﴿ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ﴾ [آل عمران :١٩٢] .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٩٥ ، بنصه .

(٢) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٢/ ٣٥٥ ، بمعناه عن قتادة ، والطبري ١٤/ ٩٧ـ٩٨ ، بمعناه عن قتادة ومجاهد ورجحه ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٦٣ ، عن مجاهد ، وتفسير الثعلبي ٢/ ١٥٦أ ، بنحوه ، وتفسير الماوردي ٣/ ١٨٥ .

(٣) في النسخ جميعها : (إذا) ، والمثبت هو الصحيح المناسب للسياق .

(٤) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٤١ .

(٥) انظر : تفسير القرطبي ١٠/ ٩٨ ، وهذا تخصيص بلا دليل ، فضلاً عن أن هذه الطريق إلى ابن عباس منقطعة .

وقوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ﴾ . قال الزَّجَّاج : شركائي حكاية لقولهم ، والله لا شريك له ، والمعنى أين الذين في دعواكم أنهم شركائي؟[١] .

قال أبو علي : سبحانه لم يثبت بهذا الكلام له شريكاً ، وإنما أُضيف على حسب ما كانوا يقولونه وينسبونه ، وكما أُضيفت هذه الإضافة كذلك أضيفت إليهم في قوله : ﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [الأنعام :٢٢] ، وفي أخرى : ﴿ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴾ [يونس :٢٨] ، فإنما أُضيفوا هذه الإضافة على حسب ما كانوا يسمونه ويعتقدونه فيهم ، كقوله : ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ ﴾ [الزخرف :٤٩] ، وقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ ﴾ [الحجر :٦] ، وقد تقع الإضافة لبعض الملابسة دون التحقيق ، كقول الشاعر[٢] :

إذا قُلْتُ قَدْني قَال بـاللهِ حَلْفَـةً ... لَتُغْنَـي عَنِّـي ذا إنائِـكَ أَجْمَعَا[٣]

فأضاف الإناء إليه لشربه منه ، والإناء في الحقيقة لمن سقى به دون من شرب منه ، وهذا كما يقول لمن يحمل خشبة ونحوها : خذ طَرَفَكَ وآخذ طَرَفي ، فتَنْسِبُ إليه الطرف الذي يليه كما تنسب إلى نفسك الطرف الذي يليك ، فعلى هذا تجري الإضافة في قوله : ﴿ شُرَكَآءِىَ ﴾[٤] ، ومعنى : ﴿ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ﴾؛ أي أين هم لا يحضرونكم فيدفعوا عنكم العذاب .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٩٥ ، بنصه .

(٢) هو حُريث بن عَنَّاب الطائي ، من شعراء الدولة الأموية ، توفي ٨٠هـ .

(٣) ورد في : شرح شواهد المغني ٢/ ٥٥٨ ، برواية :

إذا قالَ قَدْنِي قُلتُ آليتُ حلفةً

وفي الخزانة ١١/ ٤٣٤ ، برواية : «قطني» بدل «قدني» ، والمعنى واحد ، معناه : حسبي ، والدر ٤/ ٢١٧ ، برواية : «قيل» بدل «قلت» ، وورد غير منسوب في معاني القرآن للأخفش ٢/ ٥٥٧ ، وإيضاح الشعر ٢١٤ ، وتفسير ابن عطية ٨/ ٤٠٢ ، وشرح المفصل ٣/ ٨ برواية : «إذا قال» ، والمقرب ٢/ ٧٧ برواية : «إذا هو آلى» ، والدر المصون ٥/ ١١٨ ، ومغني اللبيب ٢٧٨ ، وهمع الهوامع ٤/ ٢٤٢ ، والمعنى : اشرب جميع ما في الإناء ولا تردَّه عليَّ .

(٤) الحجة للقراء ٥/ ٦١ ، بتصرف يسير .

وقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ﴾ . قال ابن عباس : تخالفون[١] .

قال أهل المعاني : معناه يكونون في أمر الشركاء في جانب والمسلمون في جانب ، لا يكونون معهم يداً واحدة[٢] ، يخالفونهم فيها فيعبدونها ولا يعبدون الله ، وقرأ نافع بكسر النون[٣] .

ووجهه ما ذكرنا في قوله : ﴿ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾ [الحجر :٥٤] المعنى على هذه القراءة ما رواه عطاء عن ابن عباس ، قال : يريد تنازعونني فيهم وتتخذونهم أولياء من دوني ، وعلى هذا معنى مخالفتهم الله في الشركاء[٤] مخالفتهم أمر الله ، كما ذكرنا في قوله :﴿ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ ﴾ [الأنفال :١٣] .

وقوله تعالى : ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ﴾ . قال ابن عباس : يريد الملائكة[٥] ، وقال آخرون : هم المؤمنون[٦] ، يقولون حين خزى الكفار في القيامة : ﴿ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ ﴾ : عليهم لا علينا .

---

(١) أخرجه الطبري ١٤/ ٩٨ بلفظه من طريق ابن أبي طلحة صحيحة ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢١٨ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

(٢) ورد في الحجة للقراء ٥/ ٥٩ ، بنحوه .

(٣) أي : ﴿ تُشَٰٓقُّونَ ﴾ مع الكسر التخفيف . انظر : السبعة ٣٧١ ، وعلل القراءات ١/ ٣٠٣ ، والحجة للقراء ٥/ ٥٩ ، والمبسوط في القراءات ٢٢٤ ، والتيسير ١٣٧ ، والمُوضح في وجوه القراءات ٢/ ٧٣٤ .

(٤) في (أ) و(د) : (الشرع) ، والمثبت من (ش) و(ع) ، وهو المناسب للسياق والمعنى .

(٥) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٤١ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٢٠ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٩٨ ، وتنوير المقباس ٢٨٤ ، وورد غير منسوب في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٣٣ ، والزمخشري ٢/ ٣٢٧ ، وابن عطية ٨/ ٤٠٢ ، والخازن ٣/ ١١٢ ، وهذا التفسير فيه نظر؛ فالملاحظ أن القرآن يصف البشر بالعلم لا الملائكة ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة :٣١] ، وقوله تعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ ﴾ [آل عمران :١٨] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ ﴾ [الإسراء :١٠٧] .

(٦) انظر : تفسير البغوي ٥/ ١٦ ، وابن عطية ٨/ ٤٠٢ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٤١ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٢٠ ، والقرطبي ١٠/ ٩٨ ، والخازن ٣/ ١١٢ .

٢٨. قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾. ذكرنا معنى هذا في سورة النساء.

وقوله تعالى: ﴿فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ﴾. قال ابن عباس: استسلموا وأقروا لله بالربوبية[١]، وقال السدِّي: انقادوا واستسلموا عند الموت[٢].

قال الزَّجَّاج: ذكر السَّلَمَ، وهو الصلح، بإزاء المشاقة[٣]، يريد أن الله تعالى أخبر عنهم بالمشاقة في الدنيا، فأخبر أنهم عند الموت ينقادون ويتبرؤون من الشرك، كما ذكره ابن عباس.

وقوله تعالى: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ﴾؛ أي قالوا: ما كنا نعمل من سوء، قال ابن عباس: يريد الشرك[٤]، فقالت الملائكة ردًّا عليهم وتكذيباً لهم: ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [من التكذيب والشرك، ومعنى (بلى): رد لقولهم: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ﴾، وقد ذكرنا معنى (بلى)][٥] عند قوله: ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٠].

---

(١) انظر: تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٢٠، وورد بنحوه غير منسوب في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٦٤، وتفسير القرطبي ١٠/ ٩٩.

(٢) ورد بنحوه غير منسوب في تفسير الطبري ١٤/ ٩٩، والسمرقندي ٢/ ٢٣٣، والثعلبي ٢/ ١٥٦أ، والبغوي ٥/ ١٧.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٩٥، بنحوه.

(٤) انظر: تنوير المقباس ٢٨٤، بنحوه، وورد نحوه غير منسوب في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٣٣، وتفسير الماوردي ٣/ ١٨٦، والبغوي ٥/ ١٧، وابن عطية ٨/ ٤٠٤، وابن الجوزي ٤/ ٤٤٣، والفخر الرازي ٢٠/ ٢١، وتفسير القرطبي ١٠/ ٩٩.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(د).

٢٩. وقوله تعالى : ﴿ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ . قال ابن عباس : يريد مقام المتكبرين عن التوحيد وعبادة الله عز وجل[١] ، كقوله : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الصافات :٣٥] .

٣٠. قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ ﴾ قال ابن عباس : يريد الذين خافوا الله وصدقوا نَبِيَّه وأيقنوا أنه لا إله غيره ، ﴿ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ﴾ قال المفسرون : هذا كان في أيام المواسم ، يأتي الرجل مكة فيَسأل المشركين عن محمد وأمره ، فيقولون : إنه ساحر وكاهن وكذاب ، [فيأتي المؤمنين ويسألهم عن محمد وما أتى به من الكتاب وما أنزل الله عليه ، فيقول][٢] المؤمنون خيراً[٣] ، قال ابن عباس : يريد ثواباً؛ يعني أنهم إذا سُئلوا عن ما أنزل الله على محمد ، قالوا : أنزل عليه الخير عن ثواب المحسن ، فقالوا : أنزل ثواباً؛ أي ذِكْرَه ، ولهذا نصب خيراً؛ لأنه على معنى أنزل خيراً ، ويكون هذا على أن (ما) و(ذا) كالشيء الواحد ، والمعنى أيُّ شيءٍ أنزل؟ ﴿ قَالُواْ خَيْرًا ﴾ على جواب ماذا؛ أي أنزل خيراً ، ثم فَسَّرَ ذلك الخير ، فقال : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ﴾ . قال ابن عباس : يريد : قالوا : لا إله إلا الله[٤] ، وهذا على أن قوله : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ﴾ إخباراً عن الله تعالى ، أخبر أنَّ من أحسن في الدنيا فله جزاء ذلك عند الله حسنة ، قال ابن عباس : يريد مضعفة بعشر[٥] ،

---

(١) ورد نحوه غير منسوب في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٢أ ، والطبري ١٤/ ٩٩ بمعناه غير منسوب ، والفخر الرازي ٢٠/ ٢٠ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٠٠ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(د) .

(٣) تفسير مقاتل ١/ ٢٠٢أ ، بنحوه ، والثعلبي ٢/ ١٥٦أ ، بنحوه ، وانظر : الزمخشري ٢/ ٣٢٧ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٤٣ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٢٣ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٠٠ ، والخازن ٣/ ١١٣ .

(٤) ورد غير منسوب في تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٤٣ .

(٥) انظر : تفسير البغوي ٥/ ١٧ ، بنحوه ، وورد غير منسوب في تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٢٤ .

ودلَّ بهذا على أن الذي قاله المؤمنون[١] اكتسبوا به حسنة ، والوجهان ذكرهما أبو إسحاق[٢] .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ ﴾ يعني الجنة ، ومضى الكلام في هذا في سورة الأنعام [٣٢] .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾؛ أي ولَنِعْمَ دارُ المتقين دار الآخرة ، فحذفت لسبق ذكرها ، هذا إذا لم تجعل هذه الآية متصلة بما بعدها ، [وإن جعلتها متصلة][٣] قلت : ﴿ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ ﴾ ، فترفع جنات على أنها اسم لنعم ، كما تقول : نعم الدار دار ينزلها .

٣١. قوله تعالى : ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ ﴾ ذكرنا وجهَ ارتفاعها إن كانت موصولة ، وإن كانت مقطوعة ، فقال الزَّجَّاج : جنات مرفوعة بإضمار هي؛ كأنك لمَّا قلت : ﴿ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ ، قيل أي دار هذه الممدوحة؟ فقلت على جواب السائل : جنات عَدْن؛ أي هي جناتُ عَدْن[٤] ، وإن شئت رفعتها على الاستئناف وجعلت يدخلونها الخبر ، هذا قول الفرَّاء[٥] ، وعند الزَّجَّاج : يجوز أن يكون الخبر نِعم دار المتقين؛ لأنه قال : وإن

---

(١) في النسخ جميعها : (للمؤمنين) ، وهو خطأ أدى إلى اضطراب المعنى ، وبالمثبت يستقيم الكلام ، ويؤيده ما ورد في المصدر .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٩٦ ، بتصرف . وذكر الزمخشري قولاً ثالثاً ، هو : أن «للذين أحسنوا» وما بعده بدل من خيراً ، حكاية لقول الذين اتقوا؛ أي قالوا هذا القول ، فقدم عليه تسميته خيراً ثم حكاه . تفسير الزمخشري ٢/ ٣٢٧ ، وعلى القول الأول والثالث تكون ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ﴾ من كلام المؤمنين ، وعلى الثاني تكون من كلام الله؛ كلاماً مستأنفاً .

(٣) زيادة يقتضيها السياق ليستقيم الكلام .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٩٦ ، بتصرف يسير .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٩٩ ، بنحوه .

شئت رفعت على الابتداء ، ويكون المعنى : جناتُ عَدْنٍ نِعْمَ دارُ المتقين[١] .

٣٢. قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ . الذين في موضع نصب؛ لأنه صفة المتقين في قوله : ﴿ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ .

قوله تعالى : ﴿ طَيِّبِينَ ﴾؛ أي بأعمالهم الصالحة ، خلاف من يتوفاهم خبيثين بأعمالهم القبيحة ، قال الكلبي : طيبين من الشرك[٢] ، وقال مجاهد : زاكية أفعالهم وأقوالهم[٣] .

٣٣ـ٣٤ . قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ نظير هذه الآية في سورة البقرة[آية :٢١٠] ، وآخر سورة الأنعام[آية :١٥٨] ، وقدمر ، والمعنى : هل ينظرون إلا الموت؛ لأن الملائكة إنما تأتيهم لقبض أرواحهم ، ﴿ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ . قال ابن عباس : يريد القتل وغيره ، وقال قتادة ومجاهد : يعني القيامة[٤] .

وقال الزَّجَّاج : ما وعدهم الله به من عذابه[٥] .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٩٦ ، بنصه .

(٢) ورد بنحوه غير منسوب في تفسير البغوي ٥/ ١٧ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٤٣ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٠١ ، والخازن ٣/ ١١٣ ، وتنوير المقباس ٢٨٥ ، والشوكاني ٣/ ٢٢٩ ، والألوسي ١٤/ ١٣٣ ، وصديق خان ٧/ ٢٣٦ .

(٣) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٦أ ، بلفظه ، وانظر : البغوي ٥/ ١٧ ، والخازن ٣/ ١١٣ ، والألوسي ١٤/ ١٣٣ ، وورد غير منسوب في تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٤٣ ، والقرطبي ١٠/ ١٠١ ، والشوكاني ٣/ ٢٣٠ ، وصديق خان ٧/ ٢٣٦ .

(٤) أخرجه الطبري ١٤/ ١٠٢ ، بلفظه عنهما من طريقين ، وورد غير منسوب في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٦أ ، والبغوي ٥/ ١٨ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٠٢ ، والخازن ٣/ ١١٣ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٩٦ ، بنصه .

قال صاحب النظم : إنهم لا ينتظرون ذلك على الحقيقة؛ لأنهم كانوا لا يؤمنون بالله ، كيف ينتظرون أمره؟! ولكن لما كان امتناعهم من الدخول في الإيمان موجباً عليهم إتيان أمر الله والملائكة بما قدَّر عليهم من العذاب ، وكان عاقبة أمرهم إلى ذلك ، أضيف ذلك إليهم على المجاز والسعة ، وجعل مجيء ذلك انتظاراً منهم له ، فكأنه -عز وجل- قال : هل يكون مدة إقامتهم على كفرهم إلا مقدار إيقاعي بهم وإنزالي العذاب عليهم ، وهذا كما قلنا في لام العاقبة في مواضع ، لما كانت العاقبة تؤدي إلى ذلك جُعل سبباً له وإن لم يكن في الحقيقة كذلك ، كقوله : ﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا ﴾ [القصص :٨] ، وقد مر[١] ، وهذا الذي ذكره صاحب النظم وجه جيد في هذه الآية لم يذكره في نظيرها في سورة البقرة والأنعام .

وقوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ يريد كفار الأمم الماضية ، وفي الآية حذف على قول الزَّجَّاج؛ لأنه قال أي كذلك فعلوا فأتاهم أمرُ الله بالعذاب[٢] ، ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ : بتعذيبهم ﴿ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ : بإقامتهم على الشرك وكفران ما أنعم الله عليهم ، وإن شئت حملت الكلام على التقديم والتأخير فقلت : التقدير : ﴿ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ ، ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ ﴾ الآية ، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية ، وهو قول ابن عباس : يريد جزاء ما عملوا من الشرك[٣] ، ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ : من العذاب والنقمة .

---

(١) في تفسير الآية [٢٥] من هذه السورة .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٩٧ ، بنصه .

(٣) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٤٥ ، وتنوير المقباس ٢٨٥ ، بنحوه .

٣٥. قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾ يعني أهل مكة ، ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ ﴾ من البحيرة[١] والسائبة[٢] وسائر ما حرموا ، نظير هذه الآية في سورة الأنعام [آية :١٤٨] ، ومضى الكلام هناك مستقصى ، على أن أبا إسحاق قال هاهنا : إن المشركين قالوا هذا على جهة الهزء ، كما قال قوم شعيب له : ﴿ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ [هود :٨٧] ، ولو قالوا هذا معتقدين لكانوا مؤمنين ولكنهم قالوا مستهزئين ، وكذلك هؤلاء لو قالوا مُحَقِّقِينَ ، ما قيل : إنهم مكذبون ، كما كَذَّب الذين من قبلهم[٣] ، وهو قوله : ﴿ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾؛ أي من تكذيب الرسل وتحريم ما أحل الله ، قال ابن عباس : يريد عمرو بنَ لُحَيٍّ وأصحابَه[٤] ، ﴿ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ قال : يريد : قد بَلَّغْتَ رسالتي وبَلَّغَ مَن قبلك ، يعني ليس عليهم إلا التبليغ ، فأما الهداية فهو إلى الله تعالى؛ يهدي من يشاء ويضل من يشاء ، وقد حَقَّقت هذا في ما بعد ، وهو :

---

(١) وردت فيها أقوال عدة ، قال سعيد بن جبير : هي التي يمنح دَرُّها للطواغيت ، فلا يحتلبها أحدٌ من الناس ، وقيل : هي ناقة كانت إذا نُتجت خمسة أبطن وكان آخرها ذكراً ، شقُّوا أذنها وامتنعوا من ركوبها وذبحها ، ولا تطرد عن ماء ولا تمنع من مرْعى ، وقيل غير ذلك . انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٢١٣ ، وتفسير المُشْكِل ١٥٦ ، وتفسير القرطبي ٦/ ٣٣٥ .

(٢) فيها أقوال كذلك ، قال سعيد بن المسيب : هي التي كانوا يُسيبونها لآلهتهم ، وقال الزَّجَّاج : كان الرجل إذا نذر لقدوم من سفر أو برء من علة أو ما أشبه ذلك ، قال : ناقتي هذه سائبة ، فكانت كالبحيرة في أنه لا ينتفع بها وأن لا تُجْلى عن ماء ، ولا تمنع من مرعى . انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٢١٣ ، وتفسير المُشْكِل ١٥٦ ، وتفسير القرطبي ٦/ ٣٣٥ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٩٧ ، بتصرف واختصار .

(٤) تخصيص الآية بعمرو بن لحي وأصحابه لا دليل عليه ، وحمل الآية على العموم أولى ، إلا أن يراد به التمثيل فيكون مقبولاً ، وأغلب الظن أنه نُسب إلى ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ من الطرق الضعيفة .

٣٦. قوله : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا ﴾ ، يعني كما بعثناك في هؤلاء ، ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ تعالى؛ أي بعبادة الله تعالى ، والتقدير : بأن اعبدوا الله ، فحذف الجار ، ﴿ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾؛ أي الشيطانَ وكلَّ من يدعو إلى الضلالة ، ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ ﴾ : أرشده ، ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾ . قال ابن عباس : يريد في سابق علمي[1] .

وقال الزَّجَّاج : أعلم اللهُ أنه بَعَثَ الرسل بالأمر بالعبادة ، وهو من وراء الإضلال والهداية ، وهذا يدل على أنهم لو قالوا : ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا ﴾ الآية ، معتقدين لكانوا صادقين[2] ، ومعنى ﴿ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾ : وجب عليهم الكفر ، كما قال : ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾ [الأعراف :٣٠] ، وكقوله : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس :٩٦] ، ثم قال : ﴿ فَسِيرُواْ ﴾؛ أي فسيروا معتبرين في الأرض بآثار الأمم المكذبة ، فتعرفوا أن العذاب بإزائكم كما نزل بهم ، ثم أكَّد أن من حقَّت عليه الضلالة لا يهتدي .

٣٧. فقال عز من قائل : ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ ﴾؛ أي إن تطلب بجهدك ذلك ، ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ ﴾؛ أي من يُضلُّه ، فالراجع إلى الموصول الذي هو (مَنْ) محذوف مقدر[3] ، وهذا كقوله : ﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ ﴾ [الأعراف :١٨٦] ، وكقوله : ﴿ فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ﴾

---

(١) انظر : تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٣٩٣ ، وورد بلا نسبة في تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٤٦ ، وورد بمعناه بلا نسبة في تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٢٩ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٠٤ ، والخازن ٣/ ١١٤ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٩٨ ، بتصرف يسير .

(٣) وهو الهاء المحذوفة ، وتَقْديره : (يضلُّه) .

[الجاثيـة :٢٣]؛ أي من بعد إضلال الله إياه[١] ، وقـرأ أهل الكوفة يَهْدِي بفتح الياء[٢] ، وهو يحتمل وجهين :[٣]

أحدهما : أن المعنى فإن الله لا يُرْشد من أضله ، وبهذا فَسَّره ابن عباس[٤] .

والثاني : أنَّ يَهْدِي بمعنـى يَهْتَدي ، قال الفرَّاء : والعـرب تقول : قد هَدَّى الرجـلُ؛ يريـدون قد اهتـدى ، ومثلـه قولـه : ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾[٥] [يونس :٣٥] ، قال ابنُ مجاهد[٦] : ولم يختلفوا في ﴿يُضِلُّ﴾ أنه مضمومُ الياء[٧] .

٣٨. قوله تعـالى : ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ . مضى الكلام في هذا في سورة الأنعام [١٠٩] ، قال ابن عباس : أغلظوا في الأيمان تكذيباً منهم

---

(١) انظر : الحجة للقراء ٥/ ٦٤ ، بنحوه .

(٢) وهم عاصم وحمزة والكسـائي ، انظر : السبعة ٣٧٢ ، وعلل القراءات ١/ ٣٠٥ ، وإعراب القراءات السـبع وعللها ١/ ٣٥٣ ، والمبسـوط في القراءات ٢٢٤ ، والتيسـير ١٣٧ ، والنشر ٢/ ٣٠٤ ، قال الأزهـري في علل القراءات ، وغيره : ومن قـرأ : (لا يُهْدَى) ، [وهم : ابن كثـير وأبو عمرو ونافع وابن عامر] ، فالمعنى : لا يُهْدى أحدٌ يُضله الله ، وهذا نظير قوله جل وعز : ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ﴾ ، وقـد اختار الطبري هذه القراءة ورجح هذا المعنى ، وهـو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم . انظر : تفسير الطبري ١٤/ ١٠٤ ، والثعلبي ٢/ ١٥٦ب ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٠٤ .

(٣) ذكرهما الثعلبـي ٢/ ١٥٦ب ، بنحـوه ، وذكرهما ابن الجوزي ونسـبهما إلى ابن الأنباري . تفسـير ابن الجوزي ٤/ ٤٤٦ .

(٤) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٣٠ ، وورد غير منسوب في تفسير القرطبي ١٠/ ١٠٤ .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٩٩ ، بنصه .

(٦) أبو بكر أحمد بن موسـى بن العباس التميمي البغدادي ، المشـهور بابن مجاهد ، شيخ القراءات وأول من سبَّع السبعة ، ولد سنة ٢٤٥هـ ، قرأ على عبدالرحمن بن قدوس عشرين ختمة ، وعلى قُنْبُل المكي ، وسـمع القراءات من طائفة كبيرة ، تصدَّر للإقراء وازدحم عليـه أهل الأداء ، ورُحِل إليه ، قرأ عليه صالح بن إدريس وأبو الفرج الشَّـنَبُوذي ، صنَّف كتابه المشـهور : السـبعة في القراءات ، مات سنة ٣٢٤هـ . انظر : الفهرست ٥٢ ، ومعرفة القراء الكبار ١/ ٢٦٩ ، وغاية النهاية ١/ ١٣٩ .

(٧) السبعة ٣٧٢ ، بنحوه ، وزاد : مكسورة الضاد .

بقدرة الله على البعث بعد الموت[١] ، فقال الله تعالى ردًّا عليهم : ﴿ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا ﴾؛ أي لَيَبْعَثَنَّهم وعداً عليه حقًّا ، وهو مصدر مؤكد؛ أي وعد البعث وعداً حقًّا لا خُلْفَ فيه؛ لأنه إذا قال يبعثهم دَلَّ على وعدٍ بالبعث وعداً .

٣٩. قوله تعالى : ﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾ من أمر البعث ، واختلافهم فيه : ذهابهم إلى خلاف ما ذهب إليه المؤمنون ، واللام في قوله : ﴿لِيُبَيِّنَ﴾ متعلقة بالبعث ، المعنى : بلى يبعثهم ليبين لهم ، قال الزَّجَّاج : ويجوز أن تكون متعلقة بقوله : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا ﴾ ، [ويكون المعنى : بعثنا في كل أمة رسولاً][٢]؛ ليبيِّن لهم اختلافهم وأنهم كانوا من قبله على ضلالة[٣] ، فعلى هذا لا يعود البيان إلى بيان البعث ، وعلى القول الأول : يعود إلى بيان البعث بعد الموت ، وهو قول ابن عباس[٤]؛ لأنه قال : ﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾ بهذا الوعد الذي قال : ﴿ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا ﴾ ، ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴾ في ما أقسموا فيه .

٤٠. قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ ﴾ الآية . قال ابن عباس : أخبر بقدرته وقوته ، يريد ليس كما يتكلف المخلوقون من الأعوان والإله أمر الله

(١) انظر : تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٣٩٤ ، وورد بلا نسبة في تفسير ابن كثير ٢/ ٦٢٧ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ش) و(ع) .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٩٨ ، بنحوه .

(٤) لم أقف عليه ، وورد هذا المعنى في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٦٦ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٣٦ ، والثعلبي ٢/ ١٥٦ب .

أوحى من ذلك[١] . وقال الزَّجَّاج : أعلمهم الله سهولة خلق الأشياء عليه ، فأعلم أنه متى أراد الشيء كان[٢] .

قال ابن الأنباري : وقع اسم الشيء على المعلوم عند الله عز وجل قبل الخلق؛ لأنه بمنزلة ما قد عوين وشوهد[٣] .

قال الفرَّاء : القول مرفوع بقوله : ﴿ أَن نَّقُولَ ﴾ ،كما تقول : إنما قولنا الحق ، هذا كلامه[٤] ، وبيانه ما ذكره الزَّجَّاج ، فقال : ﴿ قَوْلُنَا ﴾ رفع بالابتداء وخبره : ﴿ أَن نَّقُولَ ﴾ ، المعنى : إنما قولنا لكل مراد قولنا كن ، فإن قيل : كيف خاطب المعدوم بقوله : ﴿ كُن ﴾ ، قلنا : هذا تمثيل لنفس الكلفة والمعاناة ، ومخاطبةُ الخلق بما يعقلون ليس أنه يخاطب المعدوم؛ لأن ما أراد الله -عز وجل- فهو كائن على كل حال ، وعلى ما أراده من الإسراع ، لو أراد خلق الدنيا والسموات والأرض في قدر لمح البصر لَقَدَر على ذلك ، ولكن العباد خُوطبوا بما يعقلون[٥] ، وذكرنا في سورة البقرة عند قوله : ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آية :١١٧] أجوبة سوى هذا .

واختلفوا في قوله : ﴿ فَيَكُونُ ﴾ ، فقرأه أكثرُ القراء بالرفع[٦] على : (فهو يكون) ، قال الفرَّاء : الرفع على أن تجعل ﴿ أَن نَّقُولَ لَهُۥ ﴾ كلاماً تامَّاً يخبر بأنه سيكون ، كما تقول للرجل : إنَّما يكفيه أن آمره ، فيفعلُ بعد ذلك ما يؤمر[٧] ، برفع

---

(١) لم أدرك مقصوده بهذه العبارة المعترضة .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٩٩ ، بتصرف يسير .

(٣) انظر : تفسير القرطبي ١٠/ ١٠٦ ، بنصه ، وابن الجوزي ٤/ ٤٤٧ ، بلا نسبة .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٠٠ ، بنصه .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٩٨ ، بتصرف .

(٦) انظر : السبعة ٣٧٣ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٥٤ ، والحجة للقراء ٥/ ٦٥ ، والمبسوط في القراءات ٢٢٤ ، والتيسير ١٣٧ ، والمُوضح في وجوه القراءات ٢/ ٧٣٦ .

(٧) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٠٠ ، بتصرف يسير .

فيفعلُ على معنى فهو يفعل وسيفعل ، وقرأ ابن عامر والكسائي : ﴿ فَيَكُونُ ﴾ نصباً[١] ، عطفاً على ﴿ أَن نَّقُولَ ﴾ ، المعنى : أن نقول فيكون ، هذا قول جميع النحويين[٢] .

قال الزَّجَّاج : ويجوز أن يكون نصباً على جواب كن[٣] .

قال أبو علي : هذا الوجه الذي أجازه من النصب في يكون لم يجزه أحد من أصحابنا غيرُه ، ولم أعلم لغيره إجازةً له على هذا الوجه ، ووجدت الكسائي يقول : إنه سمعه من العرب أكثر من خمسين مرة بالنصب ، وما علمته حَمَل ذلك على أنه جواب ، ولكن على (أنْ) ، وحَمْلُه على الجواب غيرُ سائغ؛ لأن (كُنْ) وإن كان على لفظ الأمر فليس القصد به هاهنا الأمر ، إنما هو -والله أعلم- الإخبار عن كون الشيء وحدوثه ، وإلى هذا ذهب أبو العباس وغيره[٤] ، وقد ذكرنا هذا في سورة البقرة[٥] .

٤١. قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ ﴾ . قال الفرَّاء : ﴿ وَٱلَّذِينَ ﴾ موضعها رفع[٦]؛ يريد أن هذا كلام مستأنفٌ لا تعلق له

---

(١) انظر : السبعة ٣٧٣ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٥٤ ، والحجة للقراء ٥/ ٦٥ ، والمبسوط في القراءات ٢٢٤ ، والمُوضح في وجوه القراءات ٢/ ٧٣٦ .

(٢) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٩٨ ، وتفسير الطبري ١٤/ ١٠٦ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢١٠ ، والحجة للقراء ٥/ ٦٥ ، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ١٤ ، وانظر : الإملاء ٢/ ٨١ ، والفريد في إعراب القرآن ٣/ ٢٢٨ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٩٨ ، بنصه .

(٤) المقتضب ٢/ ١٨ ، وانظر : إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٩١٠ ، والحجة للقراء ٢/ ٢٠٥ ، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ١٤ ، والإملاء ١/ ٦٠ ، والدر المصون ٢/ ٨٩ . وبالإضافة إلى كون (كن) هنا للحكاية لا الأمر ، يشترط في جواب الأمر أن يخالف الأمر؛ إما في الفعل ، أو في الفاعل ، أو فيهما ، فلما اتفق الفعلان ، والفاعلان واحد ، لم يحسن أن يكون (فيكون) جواباً للأول . المصادر السابقة .

(٥) الإغفال ٢/ ١٥٣أ ، بنصه .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٠٠ ، بلفظه .

بـــما قبله ، قال المفسرون : نزلـــت هذه الآية في قـــوم آذاهم المشركون وعذبوهم بمكـــة؛ صهيب وبلال وخَبَّـــاب[١] ، ومعنى ﴿ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ ﴾ : هاجروا في رضا الله وطلب ثوابه .

وقوله تعالى : ﴿ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ . قال الشعبي وقتادة : بوأهم الله المدينة[٢] ، وعلى هذا يكون التقدير : لنُبَوِّئَنهم في الدنيا داراً حسنة أو بلدة حسنة ، يعنـــي المدينة؛ فإن الله تعالى جعلها لهم دار هجرة ، وجعل لهم أنصاراً من المؤمنين فيها ، وجمعهم فيها مع النبي ﷺ ، وقال مجاهد : لنَرْزُقَنَّهم في الدنيا[٣] .

---

(١) ورد بنحوه في تفســير مقاتــل ١/ ٢٠٣أ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ٦٧ ، وتفســير الســمرقندي ٢/ ٢٣٦ ، عــن مقاتل والكلبي ، والثعلبي ٢/ ١٥٦ب ، وتفســير الماوردي ٣/ ١٨٩ ، عن الكلبي ، وأورده المؤلف في أســباب النزول ٢٨٥ ، بلا سند ، وهذا القول لا يعتد به في أسباب النزول؛ لوروده بلا إســناد ، فضلاً عن كونه من روايــة الكلبي ، وقد أخرجه الطــبري ١٤/ ١٠٧ برواية أخرى عن ابــن عباس قــال : هم قوم هاجروا إلى رســول الله ﷺ مــن أهل مكة من بعــد ظلمهم ، وظلمهم المشركون ، وهذه كذلك لا يعتد بها في أسباب النزول؛ لكونها من الصيغ غير الصريحة ، ولورودها من طريق العوفي ، وهي ضعيفة ، وخبَّاب هو : ابن الأرتِّ ، أبو عبدالله رضي الله عنه ، ســبي في الجاهلية فبيــع بمكة ، فكان مولى أم أنمار الخزاعية ، وقيل غير ذلك ، ثم حالف بني زهرة ، كان من الســابقين في الإســلام ، ومن المستضعفين ، عذب بمكة عذاباً شديداً حتى اشــتكى إلى رسول الله ﷺ ، هاجر إلى المدينة وشــهد بدراً وما بعدها ، ونزل الكوفة ومات فيها سنة ٣٧هـ . انظر : الاستيعاب ٢/ ٢١ ، وأسد الغابة ٢/ ١١٤ ، والإصابة ١/ ٤١٦ .

(٢) أخرجه الطبري ١٤/ ١٠٧ ، بلفظه عنهما من طريقين ، وورد بلفظه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٦٧ ، عن الشعبي ، وتفســير الثعلبي ٢/ ١٥٧أ ، عن قتادة ، وتفسير الماوردي ٣/ ١٨٨ ، عنهما ، والطوسي ٦/ ٣٨٣ ، عنهما ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٢١ وزاد نسبته إلى ابن المنذر عن الشعبي .

(٣) تفســير مجاهد ١/ ٣٤٧ ، بنصه ، وأخرجه الطبري ١٤/ ١٠٧ ، بنصه من طريقين ، وورد في تفســير المــاوردي ٣/ ١٨٨ ، وأورده الســيوطي في الــدر المنثور ٤/ ٢٢١ ، وزاد نســبته إلى ابن أبي شــيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم .

وقال الضحاك : يعني بالحسنة : النصر والفتح[١] ، وعلى هذا تقدير الآية : لنبوئنهم في الدنيا ولنرزقنهم حسنة أو لنعطينهم حسنة ، فحذف ذلك اكتفاءً بالأول كقوله[٢] :

علفتُها تبناً وماءً بارداً[٣]

وهذا باب قد مرَّ منه كثير ، فيكون معنى الآية : أنزلهم المدينة وأطعمهم الغنيمة ، وهذا الوجه اختيار الفرَّاء؛ لأنه قال في هذه الآية : نزول المدينة ولنُحَلِّلنَّ لهم الغنائم[٤] ، وعلى هذا التفسير حذف من الآية شيئان : المفعول الثاني للتَّبوِئة ، والفعل الناصب للحسنة .

---

(١) ورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٦٧ ، بنصه ، وتفسير الماوردي ٣/ ١٨٨ ، بلفظه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٤٨ .

(٢) نسبه الفرَّاء إلى بعض بني أسد .

(٣) وعجزه :

حتى شَتَتْ هَمَّالةً عَيْناها

معاني القرآن للفرَّاء ١/ ١٤ ، وورد بلا نسبة في الخصائص ٢/ ٤٣١ ، والإنصاف ٤٨٨ ، واللسان (علف) ٥/ ٣٠٧٠ ، والدر المصون ٧/ ١١٢ ، وأوضح المسالك ٢/ ١١٠ ، وهمع الهوامع ٥/ ٢٢٨ ، والدرر اللوامع ٦/ ٧٩ ، والخزانة ٣/ ١٤٠ ، وقال : وأورده الشيرازي والفاضلُ اليمني صدراً وبرواية أخرى للصدر :

لما حَطَطْتُ الرحْلَ عنها وارداً عَلَفْتُها تبناً وماءً بارداً

(شتت) بمعنى أقامت شتاء ، يقال : شتا بالبلد : أقام به شتاءً ، (هَمَّالة عيناها) من همَلَت العينُ إذا صبَّت دمعها وفاضت وسالت . والشاهد : حذف وسقيتها ماءً ، اكتفاءً بالأول ، وهو : علفتها .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٠٠ ، بنصه .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ . قال ابن عباس : يريد أن أمر الجنَّة أعظم وأكثر[١] من أن يعلمه أحدٌ ويقدر أحدٌ على وصفه[٢] ، وما ظنُّك بما قال الله له : أكبر .

٤٢. قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ﴾ ، في محل ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ وجوه؛ أحدها : أن يكون بدلاً من المضمر في : ﴿ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ ﴾ ، ويجوز أن يكون على تقدير : هم الذين ، قال ابن عباس : أثنى عليهم ومدحهم بالصبر ، فقال : ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ﴾ يريد على دينهم وعلى عذاب المشركين إيَّاهم ، وهم في ذلك واثقون بالله متوكلون عليه .

٤٣. قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾ . قال المفسرون[٣] : إن مشركي مكة أنكروا نبوة محمد ﷺ ، قالوا : الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً ، فهلا بعث إلينا ملكاً[٤] ، فقال الله : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا ﴾؛ أي إلى الأمم الماضية ، ﴿ إِلَّا رِجَالًا ﴾ آدميين لا ملائكة ، أعلمَ اللهُ أن الرسل بشر ، إلا أنهم يُوحَى إليهم ، فقال : ﴿ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾ ، نظير هذه الآية في أواخر سورة يوسف[٥] .

---

(١) في النسخ جميعها : (أكثر) ، وفي تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٣٩٦ : (أكبر) .

(٢) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٣٩٦ ، بنصه تقريباً ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٤٨ ، مختصراً .

(٣) ساقط من (د) .

(٤) أخرجه الطبري ١٤/ ١٠٩ ، بنحوه عن ابن عباس ، من طريق الضحاك منقطعة ، وورد بنحوه في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٣أ ، والسمرقندي ٢/ ٢٣٦ ، والثعلبي ٢/ ١٥٧أ ، بنصه ، وانظر : البغوي ٥/ ٢٠ ، وابن عطية ٤/ ٤٢٣ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٤٩ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٣٥ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٠٨ ، والخازن ٣/ ١١٦ ، وأبي حيان ٥/ ٤٩٣ ، وابن كثير ٢/ ٦٢٨ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٢٢ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم عن ابن عباس .

(٥) وهي قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾ [آية :١٠٩] .

وقوله تعالى : ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . فقال ابن عباس : يريد أهل التوراة الذين آمنوا من قريظة والنضير[١] ، قال : والذكر التوراة[٢] ، وتلا قوله : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ ﴾ [الأنبياء :١٠٥] ، ﴿ ٱلذِّكْرِ ﴾ يعني التوراة ، وهذا قول عامة المفسرين : أن أهل الذكر هم أهل الكتاب؛ يعني المؤمنين منهم في قول الأكثرين[٣] .

وقال أبو إسحاق : قيل : فاسألوا أهل الكُتب الذين يشهدون بهذا[٤] ، لا من أجل أنهم من أهل هذه الملة ، ولكن أهل الكتاب يعترفون أن[٥] الأنبياء كلهم بشر ، فعلى هذا المراد بأهل الذكر : أهل العلم بأخبار الماضين ومن أُنبِّئهم من الرسل ، والذكر المراد به العلم؛ لأنه مقرون بالذكر ومتعلق به ، إذ العالم من يذكر الدليل ولا يكون ساهياً عنه ، فحَسُن أن يقع الذكر موقع العلم .

---

(١) هما قبيلتان من قبائل اليهود التي سكنت المدينة وخيبر ، وكانوا ثلاث قبائل؛ الثالثة هي بنو قينقاع ، وقد أجلاهم النبي ﷺ عن المدينة لـمَّا خانوا عهده وتآمروا عليه ، وآذوا المسلمين . انظر : سيرة النبي ﷺ لابن هشام ١/ ١٦ ، ٢/ ٤٤٢ ، والروض الأنف ٢/ ٢٨٩ ، وزاد المعاد ٣/ ٦٥ ، والبداية والنهاية ٤/ ٣ ، ٧٤ ، ١١٦ .

(٢) أخرجه الطبري ١٤/ ١٠٩ ، وهو جزء من رواية الضحاك عن ابن عباس السابقة؛ وفيها : ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ ﴾ : يعني أهل الكتب الماضية ، وورد بنحوه مختصراً في تفسير الماوردي ٣/ ١٨٩ ، والطوسي ٦/ ٣٨٤ ، وانظر : تفسير ابن عطية ٨/ ٤٢٣ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٤٩ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٣٦ ، وأبي حيان ٥/ ٤٩٣ ، وابن كثير ٢/ ٦٢٨ ، والقول في المصادر كلها ورد مطلقاً من دون تقيده بمن آمن من بني قريظة أو النضير .

(٣) ورد بنحوه في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٣ ، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٢١ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٣٦ ، وهود الهواري ٢/ ٣٧١ ، والطوسي ٦/ ٣٨٤ ، وانظر : تفسير البغوي ٣/ ٧٠ ، وابن عطية ٨/ ٤٢٣ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٠٨ ، والخازن ٣/ ١١٦ ، وأبي حيان ٥/ ٤٩٣ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٠١ ، بنحوه ، وهو أحد قولين ذكرهما في الآية .

(٥) (أن) ساقط من (ع) .

وقال الزَّجَّاج : ويجوز -والله أعلم- قيل لهم : سلوا كلَّ من يُذْكَرُ بعلم ، وافق هذه الملة أو خالفها[١] .

قال أهل المعاني : وفي هذه الآية دليل على أن الخصم إذا التبس عليه أمر رَدَّ إلى أهل العلم بذلك[٢] .

٤٤. قوله تعالى : ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ﴾ . اختلفوا في الجالب لهذه الباء[٣]؛ فعند الفرَّاء : لا يجوز أن تتعلق بأرسلنا المذكور في الآية الأولى؛ لأن صلة ما قبل إلَّا لا تتأخر بعد إلَّا ، ولكنَّه يقول : تقدير الآية : أرسلناهم بالبينات[٤] ، فالباء تتعلق بأرسلناهم المضمر المدلول عليه بأرسلنا المذكور ، قال : ومثله قوله : ما ضرب إلا أخوك زيداً ، وما مرَّ إلا أخوك بزيد ، تريد ما مرَّ إلا أخوك ، ثم تقول : مرَّ بزيد ، فهذا إنما يجوز على كلامين ، ولا يجوز أن يكون ما بعد إلَّا موصولاً بما قبله ، ومن هذا الجنس قول الشاعر :

نُبِّئْتُهُمْ عَذَّبُوا بالنَّارِ جارَتَهَمْ وهل يُعذِّبُ إلَّا اللهُ بالنَّارِ[٥]

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٠١ ، بنصه ، وهذا القول هو الراجح؛ لأنه موافق لعموم اللفظ ، وحمل اللفظ على عمومه أولى ما لم يرد له مخصص ، والرواية المخصص بأهل الكتاب عن ابن عباس ، هي من طريق الضحاك وهي منقطعة .

(٢) ورد في تفسير الطوسي ٦/ ٣٨٤ ، بنحوه .

(٣) أورد السمين في ذلك ثمانية أقوال ، انظر : الدر المصون ٧/ ٢٢٢ ، وما بعدها .

(٤) فيكون تأويل الكلام : وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم أرسلناهم بالبينات والزبر وأنزلنا إليك الذكر .

(٥) ورد غير منسوب في تفسير الطبري ١٤/ ١١٠ ، والإملاء ٢/ ٨١ ، فيه : (لا) بدل (هل) ، والثعلبي ٢/ ١٥٧أ ، والطوسي ٦/ ٣٨٥ ، والفريد في إعراب القرآن ٣/ ٢٢٨ ، والدر المصون ٧/ ٢٢٢ ، وشرح التصريح ١/ ٢٨٤ ، قال الأزهري : فقدم الفاعل المحصور بإلا على المجرور بالباء ، وطوى ذكر المفعول ، وهل بمعنى ما ، وأصل الكلام : ما يعذب أحدٌ أحداً بالنار إلا الله .

وقال الكسائي : (إلَّا) في قوله : ﴿إِلَّا رِجَالًا﴾ بمعنى غير ، كقوله : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء :٢٢] ، [قال : المعنى لو كان فيهما آلهة غير الله لفسدتا][١] ، واحتجَّ بقول الشاعر[٢] :

أَبَنِي لُبَيْنَى لَسْتُمُ بِيَدٍ إِلَّا يَدٍ لَيْسَتْ لَهَا عَضُدُ[٣]

فقال : (إلَّا) هاهنا بمعنى غير؛ لأنه لا يمكن إعادة خافض بضمير[٤] ، قال الفرَّاء : وقد ذهب في هذا مذهباً[٥] ، ومن قال الذكر في الآية الأولى بمعنى العلم[٦] ، جعل الباء من صلته ، كأنه قيل : سَلوا أهل العلم بالبينات والزبر[٧] ، وهي ما أنزل الله على الأنبياء من الحجج الواضحة والكتب ، ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾ يعني القرآن[٨] ، ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ في هذا الكتاب من الحلال والحرام ، والوعد والوعيد ، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في ذلك فيعتبرون .

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(د) .

(٢) هو أوس بن حجر ، (جاهلي) .

(٣) ديوانه ٢١ ، ووردت اليد الثانية منصوبة (إلا يداً) وليس في هذه الرواية الشاهد ، وورد في معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٠١ ، وتفسير الطبري ١٤/ ١١٠ ، والثعلبي ٢/ ١٥٧أ ، لُبَيْنى : اسم امرأة ، وبنو لبينى من بني أسد بن واثلة ، يعيرهم بأنهم أبناء أَمَة ، إذ ينسبهم إلى الأم تهجيناً لشأنهم .

(٤) يعني أن الذي خفض اليد قبل (إلا) وهي الباء يتعذر إعادته بعد (إلا) لخفض اليد الثانية ، ولا إشكال لو كانت بمعنى غير .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٠٠ـ١٠١ ، بتصرف واختصار .

(٦) أشار إلى ذلك الزَّجَّاج في المعاني ٣/ ٢٠١ ، بقوله : قيل لهم : اسألوا كلَّ من يذكر بعلم . . . . ، وانظر : تفسير القرطبي ١٠/ ١٠٨ ، والخازن ٣/ ١١٦ .

(٧) وهذا القول هو الأظهر؛ لأنه لا يحتاج إلى تأويل ، وما لا يحتاج إلى تأويل أولى مما احتاج إلى تأويل .

(٨) ورد في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٣أ ، والطبري ١٤/ ١١١ ، وهود الهواري ٢/ ٣٧٣ ، والسمرقندي ٢/ ٢٣٧ ، والطوسي ٦/ ٣٨٥ ، وتفسير الماوردي ٣/ ١٩٠ ، وانظر : تفسير ابن عطية ٨/ ٤٢٥ ، والخازن ٣/ ١١٦ ، وابن كثير ٢/ ٥٩٢ .

٤٥. قوله تعالى : ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ . قال ابن عباس : يريد المشركين؛ أهلَ مكة وما حول المدينة[١] .

وقوله تعالى : ﴿ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ . قال الكلبي : عملوا السيئات ، يعني عبادة غير الله[٢] ، وكذلك قال قتادة : يعني الشرك[٣] ، وعلى هذا سمى عبادتهم الأوثانَ مكراً؛ لأن المكر في أصل اللغة : السعي بالفساد[٤] ، وذكرنا هذا في ما تقدم[٥] ، وعبادة غير الله من أفسد السعي .

وقوله تعالى : ﴿ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ ﴾ . قال ابن عباس : كما خَسف بقارون[٦] ، ومعنى الخسف في اللغة : سُؤوخُ الأرضِ بما عليها[٧] ، قال أبو زيد والأصمعي : خَسَفَ المكانُ يَخْسِفُ ، وخَسَفَهُ الله[٨] . ومعنى الاستفهام في قوله : ﴿ أَفَأَمِنَ ﴾ الإنكار؛ أي يجب ألَّا يأمنوا عقوبة تلحقهم كما لحقت المكذبين من قبلهم .

---

(١) ورد بنحوه غير منسوب في تفسير الزمخشري ٢/ ٣٣٠ ، وابن عطية ٨/ ٤٢٥ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٥٠ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٣٨ ، والخازن ٣/ ١١٧ ، وأبي حيان ٥/ ٤٩٤ .

(٢) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٣٨ ، وورد غير منسوب في تفسير هود الهواري ٢/ ٣٧٢ .

(٣) أخرجه الطبري ١٤/ ١١٢ ، بلفظه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٢٣ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

(٤) والمشهور عند أهل اللغة أن أصل المكر : الاحتيال والخداع ، ويكون عادة في خُفْيَة ، فكأن الواحدي ـ رحمه الله ـ فسرها باللازم ، انظر : تهذيب اللغة (مكر) ٣٤٣٤ ، والمحيط في اللغة ٦/ ٢٦٣ ، ومجمل اللغة ٢/ ٨٣٨ ، والصحاح ٢/ ٨١٩ .

(٥) في تفسير الآية [٢٦] من هذه السورة .

(٦) انظر : تفسير القرطبي ١٠/ ١٠٩ ، والخازن ٣/ ١١٧ ، وأبي حيان ٥/ ٤٩٥ ، وفي الأخيرين بلا نسبة .

(٧) ورد في تهذيب اللغة (خسف) ١/ ١٠٢٩ ، بنصه ، وهو قول الليث . وانظر : المحيط في اللغة (خسف) ٤/ ٢٦٧ ، واللسان ٢/ ١١٥٧ .

(٨) المصدر السابق نفسه .

وقوله تعالى : ﴿ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ . قال الكلبي : من حيث لا يعلمون بهلاكهم[١] ، قال ابن عباس : يريد يوم بدر وما كانوا يُقدِّرون ذلك ولا يشعرونه[٢] .

٤٦. قوله تعالى : ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ ﴾ . قال ابن عباس : يريد في تجارتهم واختلافهم إلى اليمن وإلى الشام[٣] ، وهذا قول قتادة والكلبي ، قالا : ﴿ فِي تَقَلُّبِهِمْ ﴾ : في أسفارهم[٤] ، وقال مقاتل : في ليلهم ونهارهم[٥] ، يريد في تقلبهم في كل الأحوال ليلاً ونهاراً ، فيدخل في هذا تقلبهم على الفرش يميناً وشمالاً ﴿ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴾؛ أي بممتنعين ولا فائتين[٦] الله ، قال ابن عباس : يريد أن الله لا يعجزه شيء أراده .

---

(١) ورد بنصه غير منسوب في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٣٧ .

(٢) ورد بنحوه غير منسوب في تفسير القرطبي ١٠/ ١٠٩ ، والشوكاني ٣/ ٢٣٦ .

(٣) أخرجه الطبري ١٤/ ١١٢ من طريق ابن أبي طلحة صحيحة ، وأخرجه بنحوه من طريق العوفي غير مرضية ، وورد في تفسير تفسير الماوردي ٣/ ١٩٠ ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٢١ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٥٠ قال : في أسفارهم ، والخازن ٣/ ١١٧ ، والدر المنثور ٤/ ٢٢٣ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم ، وفي المصادر جميعها ـ ما عدا ابن الجوزي ـ ورد بلفظ : «في اختلافهم» .

(٤) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٢/ ٣٥٦ ، بلفظه عن قتادة ، والطبري ١٤/ ١١٢ ، بلفظه عن قتادة من طريقين ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٦٩ ، بلفظه عن قتادة ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٥٠ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٠٩ ، وابن كثير ٤/ ٦٢٩ ، والدر المنثور ٤/ ٢٢٣ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم ، كلها عن قتادة ، وورد غير منسوب في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٧أ ، وهود الهواري ٢/ ٣٧٢ ، ونُسب فيه إلى الكلبي تفسيرها بقوله : في البلاد بالليل والنهار .

(٥) تفسير مقاتل ١/ ٢٠٣أ ، بلفظه ، وانظر : تفسير أبي حيان ٥/ ٤٩٥ .

(٦) في النسخ جميعها : (قانتين) ، ولا معنى لهاهنا ، والصحيح المثبت كما في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٣٧ ، والوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٣٩٨ .

٤٧. قوله تعالى : ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ ﴾ ، التخوف : تَفَعُّل من الخوف ، يقال : خفت الشيء وتخوَّفته ، قال الزَّجَّاج أي أو يأخذهم بعد أن يخيفهم بأن يهلك فرقة فتخاف التي تليها[١] ، وهذا معنى قول الضحاك والكلبي ، يعني : [يعذب طائفة ويدع طائفة][٢] ، فيتخوف الذين يَدَعْهم مثل ما أصاب الآخرين[٣] ، ونحو هذا قال الحسن[٤] ، والمعنى يأخذهم على تخوفهم الهلاك لما سبق من هلاك طائفة منهم ، وقال ابن عباس وعامة المفسرين : على تَنَقُّص؛ إما[٥] بقتل أو بموت[٦] ، يعني : ينقص من أطرافهم ونواحيهم الشيء بعد الشيء حتى يُهْلِك جميعَهم[٧] . أخبرني العروضي عن الأزهري ، قال : أخبرني المنذري

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٠١ ، بنصه .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(د) .

(٣) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٢/ ٣٥٦ عن الكلبي ، والطبري ١٤/ ١١٣ عن الضحاك ، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ٦٩ ، عن الضحاك ، وورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٧أ ، عنهما ، وتفسير الماوردي ٣/ ١٩٠ ، عن الضحاك ، والطوسي ٦/ ٣٨٦ ، عن الضحاك ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٢١ ، عنهما ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١١٠ ، عن الضحاك ، والخازن ٣/ ١١٧ ، عنهما ، والدر المنثور ٤/ ٢٢٣ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم عن الضحاك .

(٤) انظر : تفسير الماوردي ٣/ ١٩٠ ، والطوسي ٦/ ٣٨٦ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١١٠ .

(٥) في النسخ جميعها : (أو) ، ويستقيم المعنى بـ (إما) ، والتصويب من تفسير الشوكاني ٢/ ٢٣٦ ، وصديق خان ٧/ ٢٥٠ .

(٦) تفسير مجاهد ١/ ٣٤٧ ، بنحوه ، وأخرجه الطبري ١٤/ ١١٣ ، بنحوه ، عن ابن عباس من طريق عطاء الخرساني صحيحة ، وأخرجه مختصراً عن مجاهد من طريقين ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٦٩ ، مختصراً عن ابن عباس ومجاهد ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٥١ ، عن ابن عباس ومجاهد والضحاك ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١١٠ ، عن ابن عباس ومجاهد ، والخازن ٣/ ١١٧ ، عن ابن عباس ومجاهد ، وأبي حيان ٥/ ٤٩٥ ، عن ابن عباس ومجاهد والضحاك .

(٧) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٧أ ، بنصه .

عن الحرَّانيِّ عن ابن السِّكِّيت ، قال : يقال : هو يَتَخَوَّفُ المالَ ويَتَحَوَّفُه؛ أي يتَنَقَّصُهُ ويأخذُ من أطرافه ، وأنشد لابن مقبل[١] :

تَخَوَّفَ الـسَّيْرُ منهـا تَامِكـاً قَرِداً كما تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعةِ السَّفَـنُ[٢][٣]

وروى شـمر عن ابن الأعرابي : تَخَوَّفْتُ الشيء وتَخَيَّفْتُه ، وتَخَوَّفْتُهُ وتَخَيَّفْتُهُ إذا تَنَقَّصَتُه[٤] .

قال أهل المعاني : معنى التنقص : أنه يؤخذ الأول فالأول حتى لا يبقى منهم أحد ، وتلك حـال يُخافُ معها الفناء ويُتخوفُ الهـلاكُ[٥] ، فمعنى ﴿ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ ﴾؛ أي على حـال تنقصهم ، يأخذهم الأول فـالأول حتى يأتي الأخذ على الجميع .

---

(١) نُسب في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٧ب ، لأبي كبير الهذلي ، وهو يصف ناقة ، ولم أجده في ديوان الهذليين . وابن مقبل هو : تميم بن أُبيٍّ بن مُقبل ، من بني عجلان ، تقدمت ترجمته .

(٢) لم أجده في الإصلاح ، وورد في تهذيب اللغة (خاف) ١/ ٩٦٦ ، بنصه .

(٣) ديـوان ابن مقبـل ٤٠٥ ، وورد في تهذيب اللغة (خاف) ١/ ٩٦٦ ، واللسـان (خوف) ٣/ ١٢٩٢ ، ونُسـب إلى أبي كبير الهذلي في تفسـير القرطبي ١٠/ ١١٠ ، وأبي حيان ٥/ ٤٩٥ ، وتفسـير الألوسي ١٤/ ١٥٣ ، وصديق خان ٧/ ٢٥٠ ، والثعلبي ٢/ ١٥٧ب ، لكن برواية :

تخوفَ الرحلُ منها تامكاً صلباً

ونسبه الزمخشري إلى زهير ٢/ ٣٣٠ ، وورد غير منسوب في تفسير الطبري ١٤/ ١١٣ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٠٢ ، وتفسـير الطوسي ٦/ ٣٨٦ ، وابن عطيـة ٨/ ٤٢٧ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٣٩ ، والدر المصون ٧/ ٢٢٥ ، وفي بعض المصادر : (الرحل) بدل (السير) ، التامك : السنام ، القرد : الذي تراكم لحمه من السمن ، النبعة : ضرب من الشجر الصلب ، السَّفَن : المِبْرَد ، والمعنى أي ينقص السيرُ سنامَها بعد تموكه ، كما يُنحت العُودُ فيدِق بعد غِلَظِه .

(٤) المصدر السابق نفسه ، وبنصه .

(٥) انظر : تفسير الطوسي ٦/ ٣٨٦ ، بنصه .

وقولــه تعالى : ﴿ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ . قــال الزَّجَّاج أي من رأفته أمهل وجعل فســحة للتوبة[١] ، وهو معنى قول المفسرين : إذ لم يعجل عليهم بالعقوبة والإهلاك[٢] ، وأَخَّر عنهم هذه العقوبات التي ذكرها مع قدرته عليها .

٤٨. قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ ﴾ قراءة العامة بالياء[٣]؛ لأن ما قبله غيبة ، وهو قولــه : ﴿ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ ﴾ ، ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ ﴾ كذلك : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ ﴾ ، وكان النبي ﷺ وأصحابه قد رأوا ذلك وتيقنوه فلا يحسن أن يقال لهم :﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ ﴾ .

وقرأ حمزة والكسائي : (تَرَوْا) بالتاء[٤] ، على الخطاب لجميع الناس[٥] .

وقوله تعالى : ﴿ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ . قال المفسرون وأهل المعاني : أراد من شيء له ظل من جبل وشــجر وبناء وجسم قائم[٦] ، وهذا معنى قول ابن عباس : يريد الشجر والنبات .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٠٢ ، بنصه .

(٢) انظر : تفســير مقاتل ١/ ٢٠٣أ ، والطــبري ١٤/ ١١٤ بمعناه ، والســمرقندي ٢/ ٢٣٧ ، والثعلبي ٢/ ١٥٧ب ، والمــاوردي ٣/ ١٩٠ ، وابــن الجوزي ٤/ ٤٥١ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٣٩ ، وتفســير القرطبي ١٠/ ١١١ ، والخازن ٣/ ١١٧ ، وأبي حيان ٥/ ٤٩٥ ، وابن كثير ٢/ ٦٢٩ .

(٣) وهم : ابــن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر . انظر : الســبعة ٣٧٣ ، وعلــل القراءات ١/ ٣٠٥ ، والحجة للقراء ٥/ ٦٦ ، والمبســوط في القراءات ٢٢٤ ، والتيســير ١٣٨ ، وشرح الهداية ٢/ ٣٨٠ ، وتلخيص العبارات ١١١ .

(٤) انظر : المصادر السابقة .

(٥) الحجة للقراء ٥/ ٦٧ ، بتصرف يسير .

(٦) ورد في الحجــة للقــراء ٥/ ٧٢ ، بنصه ، وتفســير الطــبري ١٤/ ١١٤ـ١١٦ ، بنحــوه ، والثعلبي ٢/ ١٥٧ب ، بنحوه ، والطوسي ٦/ ٣٨٧ ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٢١ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٥٢ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٤٠ ، وتفســير القرطبي ١٠/ ١١١ ، ونسبه إلى ابن عباس ، والخازن ٣/ ١١٧ ، وأبي حيان ٥/ ٤٩٦ .

وقولــه تعالى : ﴿ يَنفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ ﴾ إخبار عن قوله : ﴿ شَيۡءٖ ﴾ ، وليس بوصف لــه ، و﴿ يَنفَيَّؤُاْ ﴾ : يتفعل من الفيء ، يقال : فاء الظل يفيء فيئاً ، إذا رجعَ وعادَ بعد ما كان ضياءُ الشــمس نسخَه ، وأصلُ الفيء الرجوع[١] ، ومنه فَيءُ المولي[٢] ، وذكرنا ذلك في قولــه : ﴿ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [البقرة :٢٢٦] ، وكذلك فيءُ المسلمين؛ لِمَا يعود على المســلمين من مال مَنْ خالف دينهم بلا قتال[٣] ، وسنذكر ذلك في قوله : ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾ [الحشر :٧] إن شــاء الله . وأصلُ هذا كله من الرجوع ، فإذا عُدِّي (فَاءَ) عُدِّي بزيادة الهمزة أو تضعيف العين ، فمِمَّا عُدِّي بنقل الهمزة قوله : ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ ﴾ ، وبالتضعيف فاءَ الظلُّ ، وفَيَّأه الله فتفيَّأ ، وتَفيَّأ مطاوع فَيَّأَ[٤] .

---

(١) انظر : تهذيب اللغة (فاء) ٣/ ٢٧١١ ، ومجمل اللغة (في) ٢/ ٧٠١ ، والصحاح (فيأ) ١/ ٦٣ ، وعمدة الحفاظ ٣/ ٣٠٨ .

(٢) هو الذي يحلف ألَّا يجامع زوجته ، وقد حدد الشــارع مدة الإيلاء بأربعة أشــهر؛ إما أن يطلق وإما أن يفي . انظر : تفســير الجصاص ١/ ٣٥٥ ، والكيا الهــراسي ١/ ٢١٦ـ٢١٩ ، وابن العربي ١/ ١٧٨ ، وتفسير القرطبي ٣/ ١٠٣ .

(٣) ورد في تهذيب اللغة (فيــأ) ٣/ ٢٧١١ ، بنحوه ، وانظر : التعريفات ١٧٠ ، وتفســير الفخر الرازي ٢٠/ ٤٠ .

(٤) الحجة للقراء ٥/ ٦٧ ، بنصه ، وانظر : اللســان (فيأ) ٦/ ٣٤٩٦ ، ومعجــم الألفاظ المتعدية بحرف ٢٨٢ .

قال الأزهري : وتفيؤ الظلال رُجوعها بعد انتصاف النهار وانتعال الأشياء[١] ، قال : وأخبرني المنذري عن أبي طالب النحوي أنه قال : التفيؤ لا يكون إلا بالعشي؛ ما انصرفت عنه الشمس ، وقد بينه الشاعر[٢] فقال :

فلا الظلَّ من بَرْدِ الضُّحى تستطيعُهُ ولا الفيءَ من بردِ العشِّي تذَوُقُ[٣]

وقال أبو علي الفارسي : الظل ما كان قائماً لم تنسخه الشمس ، فإذا نسخته الشمس ثم زال ضياء الشمس الناسخ للظل فاء الظل؛ أي رجع كما كان أولاً[٤] ، فهذا هو الفيء ، ويُسمى الظل أيضاً ، ولا يسمى الأول فيئاً .

قال ثعلب : أخبرت عن أبي عبيدة أن رؤبة قال : كُلُّ ما كانت عليه الشمسُ فزالت عنه فهو فيءٌ وظلٌّ ، وما لم تكن عليه الشمس فهو ظِلٌّ[٥] ، على أن أبا زيد أنشد للنابغة الجعدي :

فسلامُ الإلهِ يَغْدو[٦] عليهمْ وفُيوءُ الفردَوْسِ ذاتُ الظِّلالِ[٧]

---

(١) تهذيب اللغة (فاء) ٣/ ٢٧١١ ، بنصه ، وفي المصدر : «وانتعال الأشياءِ ظلالَها . قلت ومعناه : صار ظلها تحتها» .

(٢) هو حميد بن ثور . تقدمت ترجمته .

(٣) ديوانه ٧٠ ، وورد في إصلاح المنطق ٣٢٠ ، والصحاح (فيأ) ١/ ٦٣ ، (بعد) بدل (برد) الثانية ، وتفسير ابن عطية ٨/ ٤٣٠ ، واللسان (فيأ) ٦/ ٣٤٩٥ ، وورد غير منسوب في الحجة للقراء ٥/ ٦٨ ، وتفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٤٠ ، وأبي حيان ٥/ ٤٩٦ ، والبيت قاله يصف سَرْحَة شجر عظام طوال وكنَّى بها امرأة . والشاهد : أنه جعل الظلَّ وقت الضحى؛ لأن الشمس لم تنسخْه في ذلك الوقت . وكلام الأزهري في تهذيب اللغة (فاء) ٣/ ٢٧١١ ، بنصه .

(٤) ولخصه ابن السِّكِّيت فقال : الظلُّ : ما نسخته الشمسُ ، والفيءُ : ما نسخ الشمسَ . إصلاح المنطق ٣٢٠ .

(٥) الحجة للقراء ٥/ ٧٠ ، بنصه ، والصحاح (فيأ) ١/ ٦٤ ، بنصه ، وانظر : تفسير ابن عطية ٨/ ٤٣٢ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٤٠ ، واللسان (فيأ) ٦/ ٣٤٩٥ ، وتفسير أبي حيان ٥/ ٤٩٦ .

(٦) في النسخ جميعها : «بعد» ، والصحيح المثبت لموافقته للمصادر وإفادته للمعنى .

(٧) شعر النابغة الجعدي ٢٣١ ، وورد في النوادر في اللغة ٢٢٠ ، وتفسير ابن عطية ٨/ ٤٣١ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٤١ ، واللسان (ظلل) ٥/ ٢٧٥٣ .

فهذا الشعر قد أوقع فيه الفيء على ما لم تنسخه الشمس ، وجمعه على فيوء ، مثل بيت وبيوت؛ لأن ما في الجنة يكون ظلّاً ولا يكون فيئاً؛ لأن ضياء الشمس لم تنسخه ، ففاء بعد النسخ ، وأكثر ما تقول العرب في جمعِ[١] أفياء ، وهو للعدد القليل ، وفيوء للكثير كالبيوت والعيون .

وقوله تعالى : ﴿ ظِلَٰلُهُۥ ﴾ أضاف الظلال إلى مفرد ، ومعناه الإضافة إلى ذوي الظلال؛ لأن الذي يعود إليه الضمير واحدٌ يدل على الكثرة ، وهو قوله : ﴿ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ﴾ ، وهذا مثل : ﴿ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ﴾ [الزخرف :١٣] ، فأضاف الظهور ، وهو جمع ، إلى ضمير مفرد؛ لأنه يعود إلى واحدٍ يُرادُ به الكثرة ، وهو قوله : ﴿ مَا تَرْكَبُونَ ﴾[٢] [الزخرف :١٢] .

وأما قول المفسرين في : ﴿ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ ﴾ . قال ابن عباس : يتميل[٣] ، وهو معنى وليس بتفسير؛ لأنه إذا قرن بقوله : ﴿ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ ﴾ صار المعنى : أنه يتميل عن الجوانب ، ومعنى تفيُؤ الظلال : أن يعود الظل بعد نسخ الشمس إياه ، وأما معنى تفيؤها عن اليمين والشمائل [فهو أن يكون للأشجار فيء عن اليمين والشمائل][٤] ، إذا كانت الشمس يمين الشخص كان الفيء عن شماله ، وإذا كانت على شماله كان الفيء عن يمينه ، فهذا وجه ذكره بعضُ أهل التأويل[٥] ، والذي عليه المفسرون ، قال قتادة والضحاك وابن جريج : أما

---

(١) الأولى : (في الجمع) ، أو (في جمع فيء) ، ولعل (فيء) ساقطة .

(٢) الحجة للقراء ٥/ ٦٧ـ ٧٠ نقل طويل تصرف فيه بالحذف والإضافة ، والتقديم والتأخير ، والتهذيب والاختصار ، وانظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٤٠ ، نقله بطوله عن الواحدي بتصرف يسير مع نسبته .

(٣) ورد في تفسير الطوسي ٦/ ٣٨٧ ، بلفظه .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ش) و(ع) .

(٥) ورد في الحجة للقراء ٥/ ٧٢ ، بنصه .

اليمين فأول النهار ، وأما الشمال فآخر النهار[١] ، وقد بين الكلبي هذا ، فقال : إذا طلعت الشمس وأنت متوجه إلى القبلة كان الظل قدامك ، فإذا ارتفعت كان عن يمينك ، فإذا كان بعد ذلك كان خلفك ، فإذا كان قبل أن تغرب الشمس كان على يسارك ، فهذا تفيؤه عن اليمين والشمائل[٢] ، ووحد اليمين والمراد الجمع ، ولكنه اقتصر فيه على الواحد في اللفظ للإيجاز ، كقوله : ﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر :٤٥] وقول الفرزدق :

بِفِي الشَّامِتِينَ الصَّخْرُ إنْ كانَ هَدَّنِي

رَزِيَّةُ شِبْلَيْ مُخْدِرٍ فِي الضَّراغِمِ[٣]

هذا قول الأخفش وجميع أهل المعاني[٤] .

---

(١) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٢/ ٣٥٦ بنصه عن قتادة ، والطبري ١٤/ ١١٥ بنصه عن قتادة من طريقين ، وبمعناه عن الضحاك وابن جريج من طريقين ، ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٧ب ، بنصه عن الضحاك وقتادة ، وتفسير الماوردي ٣/ ١٩١ ، والطوسي ٦/ ٣٨٧ ، عنهم ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٢٢ ، عن قتادة والضحاك ، وابن عطية ٨/ ٤٣٣ ، عن قتادة وابن جريج ، والخازن ٣/ ١١٧ ، عن الضحاك ، وأبي حيان ٥/ ٤٩٧ ، عن قتادة وابن جريج .

(٢) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٧ب ، بنحوه ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٢٢ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٥٢ ، وأبي حيان ٥/ ٤٩٨ ، ورد في الأخيرين بلا نسبة .

(٣) ديوانه ٢/ ٢٠٦ ، وورد في تفسير الطبري ١٤/ ١١٧ ، والثعلبي ٢/ ١٥٧ب ، والطوسي ٦/ ٣٨٨ ، والأساس ١٥٤ ، وابن عطية ٨/ ٤٣٣ . (الشامتين) : جمع شامت؛ وهو الذي يفرح في بلية الإنسان ، هدَّني : أوهن أركاني ، المُخدر : الأسد ، وكذلك الضرغام ، يعني أنه يَتَجَلَّد ويَتَحَمَّل مصيبته في فقد ولديه حتى لا يشمت فيه الشامتون الحاقدون . والشاهد : كما قال الطبري : فقال : بفي الشامتين ، ولم يقل : بأفواه ، وهو الشاهد . والبيت يرثي فيه ابنين له .

(٤) لم أقف عليه في معاني الأخفش ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٥٢ ، بلا نسبة .

وقال الفـرَّاء : كأنه إذا وَحَّد ذهب إلى واحد مـن ذوات الظلال ، وإذا جمع ذهـب إلى كلها[١] ، وذلـك أن قولـه : ﴿ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ لفظه واحد ومعناه الجمع على ما بينا ، فيحمل كلا الأمرين .

وقوله تعالى : ﴿ سُجَّدًا لِلَّهِ ﴾ . قال المفسرون : ميلانها سـجودها ،[٢] وشرح ابن قتيبة هذا شرحاً شـافياً ، فقال : أصل السجود التَّطَأْطُؤ والميل ، يقال : سجد البعير وأُسجد إذا طأطأ رأسَه لِيُرْكَب ، وسجدت النخلة إذا مالت لكثرة الحمل ، ثم قد يُستعارُ السجودُ فيوضع موضع الاستسلام والطاعة والذل ، ومن الأمثال المبتذلة : اسْـجُدْ للقرد في زمانه[٣] ، يراد اخضع للئيـم في دولته ، ولا يُراد معنى سجود الصلاة ، والشمس والظل خَلقان مُسـخَّران لأَنْ يُعَاقِبَ كلُّ واحدٍ منهما صاحِبَه بغير فصْلٍ ، فالظلُّ في أول النهار قبل طلوع الشـمس يَعُمُّ الأرضَ ، كما تَعُمُّها ظلمةُ الليلِ ، ثم تطلُع الشـمسُ فتَعُمُّ الأرضَ إلا بما[٤] سترته الشُّخُوصُ ، فإذا سَتَرَ الشـخصُ شـيئاً عاد الظلُّ ، فرجوعُ الظلِّ بعد أن كان شمساً ودورانُه من جانب إلى جانب هو سُـجُودُه؛ لأنه مستسلم منقاد مطيع بالتَّسخير ، وهو في ذلك يميل ، والميل سجود ، وكذلك قوله : ﴿ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ [الرحمن :٦]؛ أي يستسـلِمَان لله بالتسـخير[٥] ، وهذه الآية كقوله : ﴿ وَظِلَـٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴾ [الرعد :١٥] ، وقد مر بيانه وشرحه .

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٠٢ ، بمعناه .

(٢) ورد في تفسير الطبري ١٤/ ١١٤ـ١١٥ ، بلفظه واختاره ، والسمرقندي ٢/ ٢٣٧ ، بنحوه ، والثعلبي ٢/ ١٥٧ب ، بلفظه ، وانظر : تفسـير البغوي ٥/ ٢٢ ، وابن عطية ٨/ ٤٣٥ ، والقرطبي ١٠/ ١١١ ، وأبي حيان ٥/ ٤٩٨ ، وابن كثير ٢/ ٦٣٠ .

(٣) ذكره الميداني في المجمع ، ونصه : اسْجُدْ لقرْد السُّوء في زمانه . انظر : مجمع الأمثال للميداني ١/ ٣٥٧ .

(٤) في المصدر : «إلا ما» .

(٥) تأويل مشكل القرآن ٤١٦ـ٤١٨ ، وهو نقل طويل تصرف فيه واختصر .

وقوله تعالى :﴿ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾؛ أي صاغرون ، وهذا لفظ المفسرين[١] ، يقال : دَخَرَ يَدْخَر دُخُوراً؛ أي صَغُرَ يَصْغُرُ صَغَاراً ، وهو الذي يَفعلُ ما تأمره شاء أو (أبى)[٢] . قال الزَّجَّاج : هذه الأشياء مجبولة على الطاعة[٣] .

وقال الأخفش في قوله :﴿ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾)[٤] ذَكَّرَ ، وهم من غير الإنس؛ لأنه لما وصفهم بالطاعة أشبهوا ما يعقل[٥] .

٤٩. قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ الآية . قد ذكرنا السجود يكون على نوعين : سجود هو عبادة ،كسجود المسلمين لله ، وسجود هو خضوع واستكانة ، وهو سجود ما [لا][٦] يعقل وسجود الجمادات ، فإن هذه الأشياء بما فيها من الدلالة على الحاجة إلى مُدَبِّر وصانع ساجدة؛ أي خاضعة متذللة ، وقال : ﴿ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ لأن (ما) و(من) يتعاقبان ، و(ما) أعمُّ من (من) ألا ترى أنه قد قال في أخرى : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ [الرعد :١٥] .

---

(١) تفسير مقاتل ١/ ٢٠٣ب ، وأخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٢/ ٣٥٦ ، بلفظه عن قتادة ، والطبري ١٤/ ١١٦ بلفظه عن مجاهد وقتادة من طريقين لكل منهما ، وورد في تفسير هود الهواري ٢/ ٣٧٣ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ٧٠ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٣٧ ، والثعلبي ٢/ ١٥٧ب ، وتفسير الماوردي ٣/ ١٩٠ ، والطوسي ٦/ ٣٨٨ ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٢٢ ، وابن عطية ٨/ ٤٣٦ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٥٣ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١١١ ، والخازن ٣/ ١١٨ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٢٣ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر عن قتادة .

(٢) ورد في تهذيب اللغة (دخر) ٢/ ١١٥٨ ، بنصه .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٠٢ ، بنصه .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (د) .

(٥) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٠٦ ، بنصه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٥٣ .

(٦) إضافة يقتضيها السياق ليستقيم المعنى ، ويؤيده ثبوتها في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٤٠٠ .

وقولــه تعالى : ﴿ مِن دَآبَّةٍ ﴾ . قال الفرَّاء : دخل (من) هاهنا؛ لأن (ما) مُبْهم ، فلو أسقطت (من) لأشبه أن تكون الدابة حالاً لها ، فأدخل (من) ليدُلَّ[١] على أنه تفســير لـ (ما)[٢] ، ومثل هذا كثير في كتاب الله؛ قال تعالى : ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ ﴾ [النســاء :٧٩] ، وقال : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ ﴾ [النســاء :١٢٤] ، وقــال : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ﴾ [النحــل :٤٨] لم يقــل في شيء منه بطرح (مِنْ)؛ لما ذكرنا من أنَّ (ما) و (مِنْ) غير مؤقَّتتين[٣] ، ومثله قول الشاعر :

فثبتَ اللهُ مــا آتاكَ مِـنْ حَسَـنٍ ... وحيثُ ما يقضِ أمراً صالحاً يكنِ[٤]

وقال آخر :

عُمْراً حَييتَ ومَن يشناكَ مِنْ أحدٍ ... يَلْقَ الهوانَ ويلقَ الــذُلَّ والغِيَرا[٥]

فدلَّ مجيء (من) على أنه لم يرد أن يكون ما جاء من النكرات حالاً للأسماء التي قبلها ، ودلَّ على أنه مُترجِم على معنى (مَن) و(مَا) ، ومثل هذا قوله : ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ ﴾ [سبأ :٣٩]؛ لأن الشيء لا يكون حالاً ، ولكنه مترجم ، فأمَّا قولهم : لله دَرُّه رجلاً[٦] ، فالرجلُ مترجِم لما قبله وتفسير وليس بحال ، إنَّما الحال الذي ينتقل؛ مثل القيام والقعود ، وجاز ســقوط (مِنْ) في هذا الموضع[٧]؛ لأن الذي قبله مؤقت ،

---

(١) في (أ) و(د) : (البدل) ، والمثبت من (ش) و(ع) ، وهو الصواب ، يستقيم به المعنى ، ويؤيده المصدر .

(٢) في (ش) و(ع) : (لها) .

(٣) أي : غير محددتين .

(٤) ورد غير منسوب في معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٠٣ بخلاف في رواية الصدر :
حازَ لكَ اللهُ ما آتاكَ منْ حَسَنٍ

(٥) ورد غير منسوب في معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٠٣ .

(٦) ورد في جمهــرة الأمثال ٢/ ٢١٠ ، وانظر : مجمع الأمثال ٢/ ١٩٠ ، واللســان (عجب) ٥/ ٢٨١٢ ، (درر) ٣/ ١٣٥٦ ، وورد بروايــة : «لله درُّك» ، والأصل فيه أن الرجــل إذا كَثُر خيرُه وعطاؤهُ قيل له ذلك ، إشادةً وتعجباً ، ثم قيل لكل مُتَعَجبٌ منه .

(٧) أي في المثل؛ لأن أصله أن يقال : لله درُّه من رجل .

فجاز أن يُذكرَ بطرح (مِن) كالحال[١] ، وقال الأخفش في قوله : ﴿ مِن دَآبَّةٍ ﴾ يريد : [مـــن الدواب ، واجتزأ بالواحد ، كما تقول : ما أتاني من رجل مثله[٢] ، وقال ابن عباس في قوله : ﴿ مِن دَآبَّةٍ ﴾][٣] : يريد كلَّ ما[٤] دَبَّ على الأرض[٥] .

وقوله تعالى : ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ أخرجهـــم بالذكر تخصيصاً وتفصيلاً ، كقوله : ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾[٦] [الرحمن :٦٨] ، وقوله تعالى : ﴿ لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴾[٧] [البقرة :٩٨] وقال الزَّجَّاج : المعنى : ولله يسجد ما في السموات من الملائكة ، وما في الأرض من دابة والملائكة؛ أي وتســـجد ملائكة الأرض[٨] ، وفي الأرض ملائكـــة موكلون بالعبـــاد[٩] ، وقيل : إنما ذكرهـــم على التخصيص لخروجهم من صفة الدبيب بما جعل لهم من الأجنحة[١٠] ، والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ . قال ابن عباس : يريد عن عبادة الله[١١] ، وهذا صفة من يســـجد لله سجود عبادة ، فأما من له سجود الخضوع دون سجود

---

(١) معاني القـــرآن للفـــرَّاء ٢/ ١٠٣ـ١٠٤ ، نقل طويل تصرف فيـــه بالتقديم والتأخـــير ، والاختصار والتهذيب ، والتمثيل والتوضيح .

(٢) أي : ما أتاني من الرجال مثله ، فأفاد الإفراد معنى الجمع . معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٠٦ ، بنصه .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(د) .

(٤) في النسخ جميعها : «كلما» ، وهو تصحيف ظاهر .

(٥) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٤٤ ، وأبي حيان ٥/ ٤٩٨ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١١٢ ، بلا نسبة .

(٦) يقصد ذكر الخاص بعد العام؛ فذكر الفاكهـــة عموماً ، ثم فصل في أنواعها وخص من الأنواع النخل والرمان .

(٧) وهنا كذلك ، أجمل الملائكة ، ثم فصَّلهم وخصَّ منهم جبريل وميكال بالذكر .

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٠٢ ، بنصه .

(٩) لقوله تعالى : ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق :١٨] ، وغيرها من الأدلة .

(١٠) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٨أ ، بنحوه ، وتفسير الماوردي ٣/ ١٩٢ ، بنحوه ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٢٣ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٥٤ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١١٣ .

(١١) انظـــر : تفســـير القرطبي ١٠/ ١١٣ ، وابـــن كثير ٢/ ٦٣٠ ، وأبي الســـعود ٥/ ١١٩ ، والشـــوكاني ٣/ ٢٣٨ ، وتفسير الألوسي ١٤/ ١٥٨ ، كلها بلا نسبة .

العبادة ، فمعنى لا يستكبرون في صفتهم أنهم يذعنون للخالق والصانع بالتسخير والتذليل وما فيهم من الضرورة إلى صانع فطرهم وخلقهم وأنشأهم ودبَّرهم ، ويجوز أن يكون قوله : ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ من صفة الملائكة خاصة[١] ؛ لأن الآية التي بعد هذا تختص بصفتهم .

٥٠. قوله تعالى : ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ . ذكر أهل العلم وأصحاب المعاني في هذه الآية ، قولين[٢] ؛ أحدهما : أن الآية من باب حذف المضاف ، على تقدير يخافون عقاب ربهم من فوقهم[٣] ؛ لأن أكثر ما يأتي العقاب المهلك من فوق ، سيَّما والآية في صفة الملائكة ، والآخر : أن الله تعالى لما كان موصوفاً بأنه عليٌّ ومتعال علو الرتبة في القدرة ، حَسُن أن يقال : ﴿مِّن فَوْقِهِمْ﴾ ليدل على أنه في أعلى مراتب القادرين[٤] ، وهذا معنى قول أبي إسحاق : ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم﴾ خوف مُجِلِّين[٥] ، ويدل على صحة هذا

---

(١) ورد في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٣ب ، بنحوه ، وهود الهواري ٢/ ٣٧٣ ، بمعناه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٥٤ ، والشوكاني ٣/ ٢٣٨ .

(٢) ورد القولان في تفسير الماوردي ٣/ ١٩٢ ، بنحوه ، والطوسي ٦/ ٣٨٩ ، بنصه تقريباً ، وانظر : تفسير الزمخشري ٢/ ٣٣١ ، وابن عطية ٨/ ٤٣٧ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٥٥ ، وأبي حيان ٥/ ٤٩٩ ، والدر المصون ٧/ ٢٣٤ .

(٣) ورد في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٣ب ، بمعناه ، والطبري ١٤/ ١١٧ـ١١٨ ، بمعناه ، والثعلبي ٢/ ١٥٨ ، بنحوه ، وانظر : تفسير القرطبي ١٠/ ١١٣ .

(٤) ورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٣٨ ، بمعناه .
والقولان باطلان؛ لأن فيهما تعطيلاً وتأويلاً؛ فالأول تعطيل ظاهر لصفة الفوقية ، والثاني تأويل وصرفٌ لظاهر النص من فوقية العلو إلى فوقية القدرة والعظمة ، وهو خلاف مذهب أهل الحق ، يقول ابن القيم : ومما ادعى المعطلة مجازه : الفوقية ، وقد ورد به القرآن ، كقوله : ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ ، وحقيقة الفوقية علو ذات الشيء على غيره ، فادعى الجهمي أنها مجاز في فوقية الرتبة والقهر ، كما يقال : الذهب فوق الفضة ، والأمير فوق نائبه ، وهذا وإن كان ثابتاً للرب تعالى ، لكن إنكار حقيقة فوقيته سبحانه وحملها على المجاز باطل من وجوه عديدة ، وقد ذكر سبعة عشر وجهاً . انظر : مختصر الصواعق المرسلة ٣٥٥ـ٣٦٣ ، والفتاوى ٥/ ١٢٦ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٠٣ ، بنصه . وقد ردَّ الألوسي القول بأن خوفهم ليس إلا خوف إجلال =

المعنى قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ [الأنعام :٦١] ، وقوله إخباراً عن فرعون : ﴿ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾ [الأعراف :١٢٧] ، وقد روى مجاهد عن ابن عباس في قوله : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ قال : ذاك مخافة الإجلال[١] ، وذهب بعض الناس إلى أن قوله : ﴿ مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ من صفة الملائكة[٢] ، والمعنى : أن الملائكة الذين هم فوق بني آدم وفوق ما في الأرض من دابة يخافون الله مع علو رتبتهم ، فلأن يخاف من دونهم أولى[٣] .

وقوله تعالى : ﴿ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ . قال المفسرون : يعني الملائكة[٤] ، وهذا كقوله في آية أخرى : ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ ﴾ [التحريم :٦] .

٥١. قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾ . قال الزَّجَّاج : ذكر اثنين توكيداً لقوله : ﴿ إِلَٰهَيْنِ ﴾ ، كما ذكر الواحد في قوله : ﴿ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾[٥] [التوبة :٣١] . وقال صاحب النظم : فيه تقديم وتأخير ،

= ومهابة لا خوف وعيد وعذاب ، بقوله : ﴿ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ﴾ [الأنبياء :٢٨ـ٢٩] .

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٢٥ ، وعزاه إلى الخطيب في تاريخه ، ولم أقف عليه . وانظر : تفسير الرازي ٢٠/ ٤٤ ، وتفسير الألوسي ١٤/ ١٥٩ ، وأورداه بصيغة التمريض ، وانتصر له الفخر الرازي وردَّه الألوسي ،كما مرَّ في الحاشية السابقة ، وورد بلا نسبة في تفسير أبي حيان ٥/ ٤٩٩ ، وأبي السعود ٥/ ١١٩ .

(٢) ورد في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٣ب ، بنحوه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٥٤ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١١٣ ، وأبي حيان ٥/ ٤٩٩ .

(٣) وفي هذا المعنى تكلُّف وصَرْفٌ لِلَّفظ عن ظاهره؛ فالفوقية هنا صفة لله وليس للملائكة .

(٤) ورد في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٣ب ، بنحوه ، وتفسير الماوردي ٣/ ١٩٢ ، بمعناه ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٢٣ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٥٤ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١١٣ ، والشوكاني ٣/ ٢٣٨ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٠٤ ، بنصه ، لكنه استشهد بقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ بالآية نفسها .

يريد : لا تتخذوا اثنين إلهين[١]؛ أي الاثنان لا يكونان ولا واحدٌ منهما إلهاً ، ولكن اتخذوا الواحد الذي لا يجوز أن يكون له ثانٍ إلهاً ، يدل على هذا قوله : ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ ، وقوله : ﴿فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ من تلوين الخطاب .

٥٢. وقوله تعالى : ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا﴾ ، الدين : الطاعة هاهنا ، والواصب : الدائم ، و[هو][٢] قول ابن عباس وجميع المفسرين[٣] ، يقال وصب الشيء يصب وصوباً إذا دام[٤] ، قال الله تعالى : ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ [الصافات :٩] ويقال : واظَبَ على الشيء وواصَبَ عليه إذا داوم[٥] ، قال أبو إسحاق أي طاعته واجبة أبداً[٦] ، وقال

---

(١) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٤٧ ، بنصه ، والظاهر نقله عن الواحدي ، والخازن ٣/ ١١٨ ، بنحوه .

(٢) ساقطة من النسخ جميعها ، ولا يستقيم الكلام إلا بها .

(٣) ورد في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٣ب ، بنحوه ، وأخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٢/ ٣٥٧ بلفظه عن قتادة ، وورد في الغريب لابن قتيبة ٢٤٣ ، بلفظه ، وأخرجه الطبري ١٤/ ١١٩ بلفظه عن ابن عباس ، وعن عكرمة من طريقين ، وعن مجاهد من طريقين ، وعن الضحاك من طريقين ، وعن قتادة ، وعن ابن زيد ، وأخرجه ، بلفظ : واجباً ، عن ابن عباس ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٧٢ ، بلفظه عن قتادة وعن مجاهد ، وعن ابن عباس قال : واجباً ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٣٨ ، بلفظه ، وهود الهواري ٢/ ٣٧٣ ، بلفظه ، والثعلبي ٢/ ١٥٨أ ، بنحوه ، وفيه عن ابن عباس قال : واجباً ، وتفسير الماوردي ٣/ ١٩٣ ، بلفظه عن الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك ، وعن ابن عباس قال : واجباً ، والطوسي ٦/ ٣٩٠ ، بنحوه عن ابن عباس ، وقال : وبه قال الحسن ومجاهد والضحاك وقتادة وابن زيد .

(٤) ورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٧٢ ، بنصه ، وانظر : جمهرة اللغة (وصب) ١/ ٣٥١ ، والمحيط في اللغة ٨/ ٢٠٢ ، والصحاح ١/ ٢٣٣ ، واللسان ٨/ ٤٨٤٨ ، وانظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٤٩ ، بنصه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٢٥ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٥) ورد في تهذيب اللغة (وصب) ٤/ ٣٩٠٠ ، بنصه تقريباً ، وانظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٤٩ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٠٣ ، بنصه .

عبدالله بن مسلم[١] : ليس من أحد يُدان له ويطاوع إلا انقطع ذلك عنه بزوال أو هلكة ، غير الله عز وجل؛ فإن الطاعة تدوم له[٢] ، ثم قال : ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ﴾؛ أي أفغير الله الذي قد أبان لكم أنه واحدٌ ، وأنه خالق كل شيء ، وأمر ألَّا يُتخذ معه إلَهٌ ، تتقون .

٥٣. قوله تعالى : ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ . قال ابن عباس : يريد من نعمة الإسلام وصحة الأبدان[٣]؛ أي ما أعطاكم الله من صحة في جسم أو سعة في رزق أو متاع بمال وولد ، فكل ذلك من الله ، ودخلت الفاء في قوله : ﴿فَمِنَ ٱللَّهِ﴾؛ لأن الباء في : ﴿بِكُم﴾ متصلة بفعل مضمر ، المعنى : ما يكن بكم أو ما حل بكم من نعمة فمن الله[٤] ، وقد شرحنا هذه المسألة في قوله : ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة :١٥٨] ، وفي قوله : ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [البقرة :٢٧٤] .

وقوله تعالى : ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ﴾ . قال ابن عباس : يريد الأسقام والأمراض والحاجة[٥] ، ﴿فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾؛ أي (ترفعون أصواتكم بالاستغاثة ،

---

(١) هو ابن قتيبة ، توفي ٢٧٦هـ .

(٢) الغريب لابن قتيبة ١/ ٢٤٥ ، بنصه .

(٣) انظر : تفسير الخازن ٣/ ١١٩ ، بنصه غير منسوب .

(٤) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٠٤ ، بنحوه ، وتفسير الطبري ١٤/ ١٢٠ـ١٢١ ، بنحوه ، وانظر : تفسير الرازي ٢٠/ ٥١ ، والإملاء ٢/ ٨٢ ، والفريد في إعراب القرآن ٣/ ٢٣٢ .

(٥) أخرجه الطبري ١٤/ ١٢١ من طريق أبي طلحة صحيحة بلفظ : السُّقْم ، وكذلك ورد في تفسير الماوردي ٣/ ١٩٣ ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٥٧ ، بنصه ، والفخر الرازي ٢٠/ ٥١ ، والخازن ٣/ ١١٩ .

وهو معنى قــول المفسرين : يتضرعون بالدعاء[١] ، يقال : جأر ويجأر)[٢] جُؤاراً ، وهو الصوت الشديد ، كصوت البقرة[٣] ، قال الأعشى يصف بقرة :

وكانَ النَّكيرُ أَنْ تُضِيفَ وتَجْأَرَا[٤]

فهذا[٥] في جُؤَار البقرة ، وقال عدي بن زيد في جُؤَار الإنسان :

إِنَّني والله فاقْبــَلْ حَـلْفَتِــي بأَبِيــل كلَّــما صَـلَّــى جَــأَرْ[٦]

---

(١) ورد في تفسـير مقاتـل ١/ ٢٠٣ب ، بلفظه ، وأخرجـه الطبري ١٤/ ١٢١ ، بلفظـه عن مجاهد من طريقين ، وورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٣٨ ، بلفظه ، وهود الهواري ٢/ ٣٧٣ ، بلفظه عن مجاهد ، والثعلبي ٢/ ١٥٨أ ، بمعناه ، وتفسير الماوردي ٣/ ١٩٣ ، بلفظه ، والطوسي ٦/ ٣٩١ ، بلفظه ، قال : وهو قول مجاهد ، وانظر : تفسير البغوي ١/ ٥١٩ ، وابن عطية ٨/ ٤٤١ ، وابن الجوزي ٢٠/ ٥١ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(د) .

(٣) انظر : تهذيب اللغة (جأر) ١/ ٥١٩ ، والمحيط في اللغة ٧/ ١٧٢ ، واللسـان ٢/ ٧٢٢ ، ونقله الفخر الرازي ٢٠/ ٥١ ، بنصه .

(٤) لم أجده في ديوانه ، وورد منسـوباً إليه في تفسـير الثعلبي ٢/ ١٥٨أ ، وتفسـير القرطبي ١٠/ ١١٥ ، برواية :

فطـافتْ ثلاثـاً بينَ يـوم وليلـةٍ وكـانَ النَّـكيرُ أن تُـضيـفَ وتجـأرا

والصحيح أن البيت للنابغة الجَعدي كما في شعر النابغة الجعدي ٤١ ، وصدره :

فجالتْ على وَحْشِيَّتِها مستَتِبَّةً

ونسب إليه كذلك في الكتاب ٣/ ٥٦٣ ، وأدب الكاتب ٢٧٥ ، والاقتضاب ٣٦٧ ، والخزانة ٧/ ٤٠٧ ، وبرواية : «أقامت» بدل «فطافت» في إصلاح المنطق ٢٩٨ ، وتهذيب إصلاح المنطق ٦٤١ ، واللسـان (خمس) ٢/ ١٢٦٢ ، (ضيف) ٥/ ٢٦٢٧ . (مستتبة) : واهنة ضعيفة ، يقال : استتبَّني : استضعفني ، وأتب الله قوتها؛ أي أوهنها . والنابغة يصف بقرة وحشية أكل السبع ولدها ، فطافت ثلاثة أيام وثلاث ليال تطلبه ولا إنكار عندها ولا غناء إلا الإضافة ، وهي : الجزع والإشـفاق ، و(الجؤار) : الصياح ، و(النكير) : الإنكار . وانظر : المحيط في اللغة (تب) ٩/ ٤١٦ .

(٥) في (أ) و(د) : «بهذا» .

(٦) ورد في الأغـاني ٢/ ١٠٥ ، وفيه : «لأبيـل» ، ومقاييس اللغة ١/ ٤٢ ، وتفسـير الطوسي ٦/ ٣٩١ ، واللسـان (أبل) ١/ ١١ ، وفيه «فاسـمع حَلِفي» ، وشـعراء النصرانية قبل الإسلام ٤٥٣ . الأبيل : الراهب ، سمي به لتأبله عن النساء وترك غشيانهنَّ ، والفعل منه : أَبَل يأْبُلُ أبالةً : إذا تنسَّك وترهَّب ، =

(أي رئيس النصارى)[١] .

٥٤. قوله تعالى : ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ﴾ الآية . قال ابن عباس في قوله : ﴿إِذَا فَرِيقٌ﴾ يريد أهل النفاق[٢] ، وقال الكلبي : يعني الكفار[٣] ، وهو اختيار الزَّجَّاج ، قال : هذا خاص في من كفر[٤] ، وقابل كشف الضُّر عنه بالجحود والكفر .

٥٥. قوله تعالى : ﴿لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾؛ أي ليجحدوا نعمة الله في كشف الضرِّ عنهم ، واللام هاهنا يحتمل أن تكون لام كي[٥] ، ويكون المعنى : أنهم أشركوا بالله غيره ليجحدوا نعمته ، فاللام بيان عما هو بمنزلة العلة التي يقع لأجلها الشرك ، وهؤلاء أشركوا بالعبادة ليكفروا النعمة[٦] ، ويحتمل أن تكون اللام للعاقبة[٧] ، ويكون المعنى : أنهم جعلوا ما رزقناهم وأنعمنا به عليهم سبباً إلى الكفر ، كما قلنا في قوله : ﴿رَبَّنَآ

= وفي اللسان : الأبيل : رئيس النصارى ، وقيل : هو الراهب ، وقيل : الراهب الرئيس ، وقيل : صاحب الناقوس ، وكانوا يسمون عيسى -عليه السلام- أبيل الأبيليين ، وكانوا يعظمون الأبيل فيحلفون به كما يحلفون بالله .

(١) ما بين القوسين كتب على الهامش في نسخة (أ) .

(٢) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٥٧ ، وأبي حيان ٥/ ٥٠٢ .

(٣) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٥٧ ، وأبي حيان ٥/ ٥٠٢ ، وورد غير منسوب في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٣٨ ، والزمخشري ٢/ ٣٣٢ ، وابن عطية ٨/ ٤٤٣ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٠٤ ، بنصه .

(٥) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٥٢ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١١٥ ، والخازن ٣/ ١١٩ ، وابن كثير ٢/ ٦٣٠ .

(٦) ورد في تفسير الطوسي ٦/ ٣٩٢ ، بنحوه .

(٧) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٥٢ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١١٥ ، والخازن ٣/ ١١٩ ، وابن كثير ٢/ ٦٣٠ .

إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ ﴾ إلى قوله : ﴿ لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ ﴾ [يونس :٨٨] وقد مر ، وذكر أبو إسحاق الوجهين أيضاً في اللام هاهنا[١] .

وقوله تعالى : ﴿ فَتَمَتَّعُواْ ﴾ لفظ أمر لتهدد ، كقوله : ﴿ قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ ﴾ [الإسراء :١٠٧] ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ عاقبة أمركم وما ينزل بكم من العذاب .

٥٦. قوله تعالى : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يعني الأوثان؛ لا يعلمون ضراً ولا نفعاً ، ومفعول العلم هاهنا محذوف ، والتقدير : لما لا يعلمون له حقّاً ولا فيه ضرّاً ونفعاً ، قال مجاهد : يعلمون أن الله خلقهم ويضرهم وينفعهم ، ثم يجعلون لما لا يعلمون أنه ينفعهم ويضرهم[٢] ، ونحو هذا قال قتادة وابن زيد : هم مشركو العرب جعلوا لأوثانهم جزءاً من أموالهم[٣] ، وقد بيّنّا[٤] مذهبهم في هذا عند قوله : ﴿ هَـٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ﴾ [الأنعام :١٣٦] جعلوا نصيباً من الحرث والأنعام يتقربون به إلى الله تعالى ، ونصيباً يتقربون به إلى الأصنام والحجارة على ما يجب أن يتقربوا إلى الله ، وعلى هذا : العِلمُ مسند إلى المشركين ، وهو قول عامة المفسرين[٥] .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٠٤ باختصار .

(٢) ليس في تفسيره ، وأخرجه الطبري ١٤/ ١٢٢ بنصه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٥٨ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٥٣ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١١٥ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٢٦ .

(٣) أخرجه الطبري ١٤/ ١٢٢ بنحوه عن قتادة ، وبمعناه عن ابن زيد ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٥٨ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٢٦ ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة .

(٤) في (أ) و(د) : «ساء» ، ولا معنى له ، والصحيح المثبت كما في (ش) و(ع) .

(٥) انظر : تفسير الطبري ١٤/ ١٢٢-١٢٣ ، والسمرقندي ٢/ ٢٣٨ ، وهود الهواري ٢/ ٣٧٤ ، والثعلبي ٢/ ١٥٨أ ، والطوسي ٦/ ٣٩٢ ، والزمخشري ٢/ ٣٣٢ ، وابن عطية ٨/ ٤٤٤ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٥٨ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٥٣ ، وذكر مسوغات ترجيح من رجحه ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١١٥ ، والخازن ٣/ ١١٩ ، وأبي حيان ٥/ ٥٠٣ .

وقال صاحب النظم : قوله : ﴿ يَعْلَمُونَ ﴾ هاهنا لازم ليس بمتعَدٍّ؛ لأنه الأصنام ومضاف إليها ، والتأويل لِمَا ليس لها[١]؛ لأنها موات لا معارف لها ولا حس ، وأخرجها في قوله : (ما) مخرج غير الآدميين ومن [لا][٢] يفهم ، وفي قوله : ﴿ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ مخرج من يفهم ، ومثله قوله : ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ ﴾[٣] [الأعراف :١٩٨] ، وحمله المعنى ﴿ وَيَجْعَلُونَ ﴾؛ أي المشركون ، ﴿ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ ﴾؛ أي للشركاء الذين لا يعلمون شيئاً ولا معرفة لهم ولا حس ، ﴿ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ﴾ ، هذا كلامه ، ولعل هذا القول أقرب؛ لأنه لا يحتاج فيه إلى تقدير محذوف ، قال صاحب النظم : ولو كان هذا العلم مضافاً إلى المشركين لاستحال المعنى؛ لأنه لا يحتمل أن يجعلوا نصيباً من رزقهم لما لا يعلمونه[٤] ، ثم خاطبهم بعد الخبر عنهم ، فقال : ﴿ تَاللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ ﴾؛ أي سؤال توبيخ حتى يعترفوا به على أنفسهم؛ لأن سؤال التوبيخ هو الذي لا جواب لصاحبه إلا ما يظهر فيه فضيحته[٥] .

وقوله تعالى : ﴿ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾؛ أي تتقوَّلونه على الله من أنه أمركم بذلك .

---

(١) أي لما ليس لها علم ولا فهم .

(٢) إضافة يقتضيها السياق ليستقيم الكلام ، ولعلها التبست على النساخ بما بعدها .

(٣) قال الواحدي : والأكثرون على أن المراد بالآية الأصنام ، وبيان صفات ما هي عليه من النقص .

(٤) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٥٣ ، ذكر القولين بوصفهما مسوغين لترجيح القول الثاني من دون نسبته لصاحب النظم أو الواحدي .

(٥) ورد في تفسير الطوسي ٦/ ٣٩٢ ، بنحوه .

٥٧. قوله تعالى : ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ﴾ . قال المفسرون : هؤلاء خزاعة[١] وكنانة[٢] زعموا أن الملائكة بنات الله[٣] ، ثم نَزَّه نفسه فقال : ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾؛ أي تنزيهاً عما زعموا .

وقوله تعالى : ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ . أجاز الفرَّاء في (ما) وجهين؛ أحدهما : أن يكون في محل النصب على معنى : ويجعلون لأنفسهم ما يشتهون ، والثاني : أن يكون رفعاً على الابتداء ، كأنه تم الكلام عند قوله : ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ ، ثم ابتدأ فقال : ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ يعني البنين ، وهذا كقوله : ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾[٤] [الطور :٣٩] ، ثم اختار الوجه الثاني فقال : لو كان نصباً لقال : ولأنفسهم ما يشتهون؛ لأنك تقول : جعلتَ لنفسِك كذا وكذا ، ولا تقول : جَعلتَ لك[٥] ،

---

(١) خزاعة : قبيلة من الأزد من القحطانية ، وهم بنو عمرو بن ربيعة ، وهو لُحَيُّ بن عامر بن قَمَعَة بن إلياس ، وهو أول من بحَّر البحيرة وسيَّب السائبة . . سُمُّوا بذلك لأنهم انخزعوا عن جماعة الأسد أيام سيل العرم لمَّا صاروا إلى الحجاز ، فافترقوا بالحجاز ، فصار قومٌ إلى عُمان وآخرون إلى الشام ، وبطونهم هي : بنو كعب ، وبنو عديٍّ ، وبنو نصر ، وبنو مُلَيح ، وبنو جفنة ، وبنو المُصْطَلِق ، وبنو الحياء . انظر : الاشتقاق ٤٦٨ ، وجمهرة أنساب العرب ٤٦٧ ، ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ٢٢٨ ، ومعجم قبائل العرب ١/ ٣٣٨ .

(٢) كنانة : قبيلة عظيمة من العدنانية ، وهم بنو كنانة بن خُزيمة بن مُدْرِكة بن إلياس ، كانت ديارهم بجهات مكة ، وُلِد له : النَّضر ، ومَلْك ، وملِكان ، وعبد مناة ، وترجع جميع أنساب كنانة إلى هؤلاء ، ويرجع نسب قريش إلى النَّضر بن كنانة ، ومنه يتفرع نسب نبينا محمد ﷺ . انظر : جمهرة أنساب العرب ١١ ، ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ٣٣٦ ، ومعجم قبائل العرب ٣/ ٩٩٦ .

(٣) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٨أ ، بنصه ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٢٤ ، والزمخشري ٢/ ٣٣٢ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٥٨ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٥٤ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١١٦ ، وتفسير البيضاوي ٣/ ١٨٤ ، والخازن ٣/ ١٢٠ ، وأبي حيان ٥/ ٥٠٣ .

(٤) حيث تم الكلام على الآية السابقة [٣٨] ، وهي : ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ ، ثم ابتدأ بهذه الآية .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٠٥ ، بتصرف .

و[١] الزَّجَّـاج أجاز[٢] الوجه الأول[٣] وقال : (ما) في موضع رفع لا غير ، المعنى : ولهم الشيء الذي يشتهونه ، ولا يجوز النصب؛ لأن العرب تقول : جَعَل لنفْسِه ما يشتهي ، ولا تقول جَعَل زيدٌ له ما يَشْتهي ، وهو يعني نفسه[٤] .

٥٨. قولـه تعـالى : ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ﴾؛ أي أُخـبر بـولادة بنت ، والتبشـير هاهنا بمعنى الإخبار أو بمعنى حقيقة التبشير على ما بينا في قوله : ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة :٢٥]؛ لأن الحزن يؤثر في البَشَرة كما يؤثر السرور ، يدل على هذا قوله : ﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾ . قال الزَّجَّاج أي متغـيراً تَغَيُّرَ مغتم ، ويقال لمن لَقِي مكروهاً : قد اسـود وجهه غماً وحُزْنـاً[٥] ، وشرح أبو علي هذا فقال : ليس المعنى على السـواد الذي هو خلاف البياض ، ولكن على مـا يلحق من غضاضة عن مذمة[٦] ، ونَزَّلُـوا ولادةَ الأنثـى -وإن لم يكن من فِعْلِهم- منزلـةَ ما يكونُ من فِعْلِهم مما يلحق من أجله العار ، وعلى ضِدِّ هذا يمدحون بالبياض من لم يلحقه عار ، من ذلك قوله[٧] :

وأَوْجُهُهُمْ بيضُ المـسَافِرِ غُرَّانُ[٨]

---

(١) ورد في النسخ جميعها : «وابن الزَّجَّاج» ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبته .

(٢) في النسخ جميعها : «أجازه» ، والصحيح المثبت .

(٣) الصحيح أنه أجاز الوجه الثاني كذلك .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٠٦ ، بتصرف يسير .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٠٦ ، بنصه ، وانظر : تفسـير البغـوي ٥/ ٢٤ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٥٨ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٥٥ .

(٦) لم أقف عليه ، وورد نحوه في تفسير القرطبي ١٠/ ١١٦ .

(٧) البيت لامرئ القيس .

(٨) وصدره :

ثيابُ بَني عَوْفٍ طَهَارَى نَقِيةٌ

شرح ديوان امرئ القيس ١٦٧ ، وفيه : «عند المشاهد» بدل «بيض المسافر» ، وورد في العين ٤/ ١٩ ، =

يريد أنهم لا يرتكبون ما يُدَنِّس الوجه ، وعلى هذا المعنى وصفهم الرجلَ بالبياض في المدح لا على معنى بياض اللون ونصوعه ، قال قتادة في هذه الآية : هذا صنيع مشركي العرب ، فأما المؤمن فهو حقيق أن يرضى بما قسم الله له[١] .

وقوله تعالى : ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾؛ أي ممتلئ غمّاً[٢] ، وفسرنا هذا الحرف في سورة يوسف [٨٤] .

٥٩. قوله تعالى : ﴿يَتَوَارَىٰ﴾؛ أي يختفي ويتغيب ، وقد ذكرنا هذا الحرف وتفسيره في قوله : ﴿مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا﴾ [الأعراف :٢٠] .

وقوله تعالى : ﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ﴾ . قال المفسرون : كان الرجل في الجاهلية إذا ضرب امرأتَه المخاضُ توارى إلى أن يعلم ما يُولدُ له ، فإن كان ذكراً سُرَّ به وابتهج ، وإن كانت أُنثى اكتأب لها وحزن ولم يظهر للناس أياماً ، يُدبِّر كيف يصنع في أمرها[٣] ، وهو قوله : ﴿أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ﴾؛ أي أيحبسه ، والإمساك هاهنا بمعنى الحبس ،كقوله : ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الأحزاب :٣٧] ، والكناية تعود على ما في قوله : ﴿مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ﴾ ، والهُون : الهَوَان[٤] .

= وفي تهذيب اللغة (غرر) ٣/ ٢٦٥٢ ، والصحاح ٢/ ٧٦٧ ، واللسان ٦/ ٣٢٣٤ ، والتاج ٧/ ٣٠١ ، وفيه : (المشاهد) بدل (المسافر) ، ومقاييس اللغة ٣/ ٤٢٨ ، برواية : «عند المسافر» ، الأساس ٢٩٨ . المسَافر؛ أصله : سفر أي أشرق ، يقال : سفر وجهه حُسناً ، وأسفر : أشرق ، ومنه : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾؛ أي مشرقة ، ومَسَافرُ الوجه : ما يظهر منه ، المشاهد : الوقائع والحروب ، غرَّان : جمع أغرَّ ، ورجلٌ أغرُّ الوجه إذا كان أبيض الوجه .

(١) أخرجه الطبري ١٤/ ١٢٣ بنصه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٢٦ ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٨أ ، بنصه .

(٣) ورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٧٥ ، بنحوه ، وانظر : تفسير ابن عطية ٨/ ٤٤٦ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٥٨ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٥٥ ، والخازن ٣/ ١٢٠ ، وأبي حيان ٥/ ٥٠٤ .

(٤) لم يفرق بعضهم بين الهَوْن والهُون ، وذهب الكثير إلى التفريق بينهما؛ فقال بعضهم : الهُون : الهوان ، والهَون : الرفق . وقال آخرون : الهُون : العذاب ، والهَون : الرفق . وقال الليث : الهَون : مصدر =

قال ابن شميل : إنه لَيَهُون عليَّ هَوْناً وهَواناً[١] ، وأهنته هَوْناً وهواناً ، وذكرنا هذا في سورة الأنعام عند قوله : ﴿عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ [آية : ٩٣] .

قال المفسرون : كان أحدُهم في الجاهلية إذا وُلِدت له بنتٌ ضاق بها ذرعاً ، فلم يدر ما يصنع بها؛ أَيَدُسُّها تحت التراب أو يتهاون بها فيُلْقِيها[٢] ، والهَوان على قول أكثرهم يعود إلى المولودة على معنى أنه سيهينها في التعب والعمل ، ويمسكها على هوان منه لها .

وقال عطاء عن ابن عباس في قوله : ﴿أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ﴾ يريد على رغم أنفه وعلى الكراهية منه[٣] ، وعلى هذا القول الهوان راجع إلى الوَالِد[٤]؛ لأنه يمسكه على رضا بهوان نفسه وكراهته ، واختاره الفرَّاء ، فقال : لا يدري أيدفنها أم يصبر عليها وعلى مكروهها[٥] .

= الهينِّ في معنى السكينة والوقار . وقال شمر : الهَوْنُ : الرفق والدعة . وقال الفرَّاء : الهُوْنُ في لغة قريش : الهَوَانُ ، وبعض تميم يجعل الهُون مصدراً للشيء الهيِّن؛ أي القليل . انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٠٦ ، وتهذيب اللغة (هان) ٤/ ٣٦٩٩ ، واتفاق المباني وافتراق المعاني ٩٩ .

(١) ورد في تهذيب اللغة (هان) ٤/ ٣٦٩٩ ، بنصه .

(٢) ورد بنحوه في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٤أ ، والطبري ١٤/ ١٢٤ ، والسمرقندي ٢/ ٢٣٩ ، وهود ٢/ ٣٧٤ ، والثعلبي ٢/ ١٥٨أ ، ولعل المقصود بقوله : «فيلقيها»؛ أي يلقيها من شاهق ، فقد ذكر الرازي وسائل عدة كانوا يسلكونها في قتل البنات ، أشهرها : أن يحفر لها الحفيرة ويدفنها حتى تموت ، ومنهم من يرميها من شاهق جبل ، ومنهم من يغرقها ، ومنهم من يذبحها . انظر : تفسير الرازي ٢٠/ ٥٦ .

(٣) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٥٥ .

(٤) في النسخ جميعها : (الولد) والصحيح (الوالد)؛ لأن هذا هو المعنى الثاني ، وفي الأول عاد الهوان على الولد ، ويؤيده التعليل بعده .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٠٧ ، بنصه .

وقوله تعالى : ﴿أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾؛ أي يخفيه ، والدسُّ : إخفاء الشيء[١] ، وهذا على ما كانوا يفعلونه من الوأد في الجاهلية ، والجملة التي وقع عليها الاستفهام من الإمساك أو[٢] الوأد متعلقة بمحذوف يدل عليه القَسَم في الاستفهام ، على تقدير ﴿يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾ مقدراً أيمسكه أم يدسه ، أو مفكراً أو مدبراً؛ أي يُقَلِّبُ رأيه في أحد الأمرين .

وقال صاحب النظم : قوله : ﴿أَيُمْسِكُهُۥ﴾ متصل في النظم بقوله : ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ، والكظيم بمعنى الكاظم ، ومعنى الكظم : ستر الشيء في القلب وترك إظهاره[٣] ، ومنه : ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ [آل عمران :١٣٤] ، والتأويل : وهو كاظم ، ﴿أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾؛ أي إن هذا المعنى في قلبه من شدة الغَمِّ وهو يكظمه ولا يظهره .

وقوله تعالى : ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ . قال ابن عباس والمفسرون : بئس ما حكموا أن جعلوا لمن يعرفون بأنه خالقهم البنات؛ اللاتي محلهن منهم هذا المحل ، ونسبوه إلى اتخاذ الولد ، وجعلوا لأنفسهم البنين[٤] ، نظير هذه الآية قوله : ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝٢١ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ [النجم :٢١–٢٢] .

---

(١) انظر : تهذيب اللغة (دس) ٢/ ١١٨٣ ، والمحيط في اللغة ١٢/ ٢٣٥ ، والأساس ١/ ٢٧١ ، وعمدة الألفاظ ٢/ ٨ .

(٢) في النسخ جميعها : (و) ، وما أثبته هو الصواب ، والظاهر أن الألف سقطت أو تصحفت .

(٣) أصل الكَظْم : اجتراعُ الغَيْظ ، والكَظَمُ : مخرجُ النفس ، يقال : أخذ بكَظَمِه ، والكُظُومُ : السكوت ، والكُظومُ : إمساكُ البعيرِ عن الجِرَّة . انظر : العين (كظم) ٥/ ٣٤٥ ، وتهذيب اللغة ٤/ ٣١٥١ ، والمحيط في اللغة ٦/ ٢٣٣ ، ومجمل اللغة ٢/ ٧٨٦ ، وعمدة الحفاظ ٣/ ٤٦٩ .

(٤) ورد بمعناه غير منسوب في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٤أ ، والطبري ١٤/ ١٢٤ ، والسمرقندي ٢/ ٢٣٩ ، والثعلبي ٢/ ١٥٨أ ، والطوسي ٦/ ٣٩٤ ، وانظر : تفسير الزمخشري ٢/ ٣٣٣ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٥٩ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١١٨ ، والخازن ٣/ ١٢٠ ، وأبي حيان ٥/ ٥٠٤ .

٦٠. قولـه تعـالى : ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ﴾ . قال ابن عباس والكلبي : يريد العذاب والنار .

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ شهادة أن لا إله إلا الله[١] ، وهذا قول قتادة ، ورُوي عنه ﴿ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ : الإخلاص والتوحيد[٢] ، وهذا قول المفسرين في هذه الآية ، لا أدري لم قيل للعذاب : المثل السَّوء ، وللإخلاص : المثل الأعلى .

وقال قوم : المثلُ السَّـوء : الصفةُ السَّوء؛ من احتياجهم إلى الولد وكراهيتهم الإنـاث خوفَ العَيلة والعَـار[٣] ، ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ الصفـة العليا من تنزُّهه وبراءته عن الولد ، وهذا قول صحيح ، والمَثَلُ يَردُ[٤] كثيراً بمعنى الصفة ، وقد بَيَّنَّا ذلك مستقصى في قوله : ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ﴾ في سورة الرعد [آية : ٣٥] وإن أنكر ذلك بعض المتأخرين[٥] ، فقد رُوي عن المتقدمين من أئمة اللغة المثل بمعنى الصفة[٦] .

---

(١) أخرجه عبدالـرزاق في مصنفه ٢/ ٣٥٧ ، بنصه عن قتادة ، والطـبري ١٤/ ١٢٥ ، بنصه عن قتادة ، وورد في معـاني القرآن للنحاس ٤/ ٧٧ ، بنصه عن قتادة ، وتفسـير الثعلبي ٢/ ١٥٨ب ، بنصه عن ابن عباس ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٢٤ ، عن ابن عباس ، وابن عطية ٨/ ٤٤٨ ، عن قتادة ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١١٩ ، عن ابـن عباس ، والخازن ٣/ ١٢٠ ، عن ابن عباس ، وأبي حيان ٥/ ٥٠٥ عن ابن عباس وقتادة ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٢٦ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة .

(٢) أخرجه الطبري ١٤/ ١٢٥ بنصه ، ورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٧٧ ، بنصه ، وتفسـير الماوردي ٣/ ١٩٥ ، بنصه ، وانظر : تفسـير القرطبي ١٠/ ١١٩ ، وورد بنصه غير منسـوب في تفسـير هود الهواري ٢/ ٣٧٥ ، والثعلبي ٢/ ١٥٨ب ، والطوسي ٦/ ٣٩٤ ، والقولان عن قتادة متطابقان .

(٣) ورد في تفسـير الثعلبـي ٢/ ١٥٨أ ، بنصه تقريباً ، وانظر : تفسـير البغـوي ٥/ ٢٥ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٥٩ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٥٦ ، والبيضاوي ١/ ٢٧٨ .

(٤) في : (أ) و(د) : (يريد) ، والمثبت من (ش) و(ع) ، وهو الصحيح .

(٥) يقصـد محمد بن يزيد المبرِّد ، (ت٢٨٥هـ) . فقد قال عند قوله تعالى : ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ﴾ [الرعد :٣٥] : فمـن قال : إنما معناه : صفة الجنة فقد أخطأ؛ لأن (مَثَل) لا يوضع في موضع صفة ، وإنما المثل مأخوذ من المثال والحذو ، والصفة تحلية ونعْت . انظر : المقتضب ٣/ ٢٢٥ .

(٦) كيونس بن حبيب ، المتوفى ١٨٢هـ ، والفرَّاء المتوفى ٢٠٧ ، ومحمد بن سلَّام الجمحي المتوفى ٢٣١هـ ، =

وقال ابن كيسان : ﴿ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ﴾ ما ضَرب اللهُ للأصنام وعبدتها من الأمثال[١] ، مِثلُ قوله : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ﴾ الآية [العنكبوت :٤١] ، وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ ﴾ الآية [الحج :٧٣] ، ولله المثل الأعلى نحو قوله : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ ﴾ الآية [النور :٣٥] .

فإن قيل : كيف جاء ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ مع قوله : ﴿ فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾؟ [النحل :٧٤] قيل : لأنه بمعنى الأمثال التي توجب الأشباه ، فأما الأمثال التي يضربها الله من غير شَبَه له بخلقه فحقٌّ وصوابٌ؛ لما فيها من الحِكم[٢] .

٦١. قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ ﴾ . قال ابن عباس : يريد المشركين ، ﴿ بِظُلْمِهِمْ ﴾ قال : يريد بافترائهم على الله ، ﴿ مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ قال : يريد من[٣] مفتر ، هذا قوله في رواية عطاء[٤] ، ومعناه : أنه لو عاجلهم بالعقوبة على كفرهم ما أمهلهم طرفة عين ، ولأخلى وجه الأرض عنهم ، والكناية في : ﴿ عَلَيْهَا ﴾ تعود إلى الأرض ولم يسبق لها ذكر ، ولكن ذكر الدابة تدل على الأرض؛ فإنها تَدُبُّ عليها ، وكثير ما يُكَنَّى عن الأرض وإن لم يتقدم ذكرها؛ لأنه لا يُشْكِل ، يقولون : ما عليها مثل فلان ، وما عليها أكرم من فلان ، يعنون على الأرض[٥] ، وعلى هذا التفسير الدابة

= وإليه ذهب ابن جرير عند آية الرعد [٣٥] ، ومال إليه الأزهري ونصره . انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٦٥ ، وتفسير الطبري ١٣/ ١٦٢ ، وتهذيب اللغة (مثل) ٤/ ٣٣٤١ .

(١) لم أقف عليه .

(٢) ورد في تفسير الطوسي ٦/ ٣٩٤ ، بنصه تقريباً ، وانظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٥٦ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١١٩ .

(٣) موضع طمس في (ع) وغير واضح .

(٤) انظر : تفسير الزمخشري ٢/ ٣٣٣ ، وأبي حيان ٥/ ٥٠٦ ، وفيهما قال : ﴿ مِن دَآبَّةٍ ﴾؛ أي من مشرك يدبُّ عليها .

(٥) نقله الفخر الرازي بنصه من دون عزو ، انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٦٠ .

تختص بالمفتري ، وقال سائر المفسرين : يعنى دواب الأرض ، روى السدي عن أصحابه في قوله : ﴿مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ يقول : لأقحط المطر ، فلم يبقَ في الأرض دابة إلا هلكت[١] ، ورُوي عن ابن مسعود أنه قرأ هذه الآية ، فقال : كاد[٢] أن يَهْلِكَ الجُعَلُ[٣] في جُحْره بذنب ابن آدم[٤] ، وقال قتادة في هذه الآية : قد فَعَل ذلك زمان نوح[٥] ، والمعنى على هذا : أن شؤم ذنوب المشركين كاد أن يصيب دواب الأرض حتى تهلك بسبب ذلك ، لولا حلم الله وتأخيره العقوبة ، كما روى عن أبي حمزة الثُّمالي[٦] أنه قال : يحبس المطر فيَهلكَ كلُّ شيء[٧] .

وقال أهل المعاني : معنى الآية ، أن الله تعالى لو أهلك الآباء بكفرهم لم يكن الأبناء[٨] ، فكانت الأرض تبقى خالية ، وقد ضرب الله لهلاك الخلق وخلو الأرض

---

(١) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٥٩ ، وأبي حيان ٥/ ٥٠٦ ، وورد في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٤أ ، بنحوه غير منسوب .

(٢) في (أ) و(د) : (كان) ، والمثبت من (ش) و(ع) يتفق مع السياق والمعنى .

(٣) الجُعَلُ : دويِّبة سوداء صغيرة تألف المواضع النديَّة ، وهي من الخنافس ، أو هو الحرباء ، وكنيته أبو جعْران ، وأبو وجزة في لغة طيئ ، وجمعه جِعْلَان . انظر : المحيط في اللغة (جعل) ١/ ٢٥٦ ، ومتن اللغة ١/ ٥٣٨ .

(٤) أخرجه الطبري ١٤/ ١٢٦ بنصه ، وورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٣٩ ، بنحوه ، والثعلبي ٢/ ١٥٨ب ، بنحوه ، وانظر : تفسير البغوي ٣/ ٧٤ ، والزمخشري ٢/ ٣٣٣ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٢٠ ، والبيضاوي ١/ ٢٧٨ ، والخازن ٣/ ١٢١ ، وابن كثير ٢/ ٦٣١ .

(٥) انظر : تفسير البغوي ٥/ ٢٦ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٥٩ ، والخازن ٣/ ١٢٠ ، وأبي حيان ٥/ ٥٠٦ .

(٦) أبو حمزة ثابت بن أبي صفية الثُّمالي ، اسم أبيه دينار ، وقيل : سعيد ، مولى المهلَّب بن أبي صُفرة ، كوفي ضعيف رافضي ، روى عن أنس والشعبي ، وعنه : وكيع وأبو نعيم ، مات في خلافة أبي جعفر . انظر : الجرح والتعديل ٢/ ٤٥٠ ، وميزان الاعتدال ١/ ٣٦٣ ، والكاشف ١/ ٢٨٢ ، وتقريب التهذيب ١٣٢ ، ٨١٨ .

(٧) لم أقف عليه .

(٨) ورد في تفسير الماوردي ٣/ ١٩٦ ، بنصه ، والطوسي ٦/ ٣٩٦ ، بنصه ، وانظر : تفسير البغوي = ٥/ ٢٦ ، والزمخشري ٢/ ٣٣٣ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٥٩ ، ونسبه إلى أبي علي الجبائي ، وتفسير =

عن سكانها أجلاً ، فهو يؤخرهم إلى أجل مُسَمَّى كي يتوالدوا ، والأجل المسمى في هذه الآية : القيامة ، في قول عطاء عن ابن عباس[١] ، ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ يريد أجل القيامة ، وفي قول الآخرين : يعني منتهى الأجل وانقضاء العمر[٢] ، ولعل الأقرب هذا؛ فإن المشركين يؤاخذون بالعقوبة إذا انقضت أعمارهم وخرجوا من الدنيا ، ووجه القول الأول : أن معظم العذاب يوافيهم يوم القيامة ، وذكرنا معنى : ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ في سورة الأعراف [٣٤] .

٦٢. قوله تعالى : ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ ، معنى ﴿وَيَجْعَلُونَ﴾ هاهنا يصفونه بذلك ويحكمون به له ، لقولك : جعلت زيداً أعلى الناس ، وذكرنا معاني الجَعْل عند قوله : ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ﴾ [المائدة :١٠٣] .

وقوله تعالى : ﴿مَا يَكْرَهُونَ﴾ يعني البنات في قول جميع المفسرين[٣] ، والمعنى : ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ لأنفسهم ، ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ

القرطبي ١٠/ ١١٩ ، والبيضاوي ١/ ٢٧٨ ، والخازن ٣/ ١٢١ .

(١) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٦٠ ، وورد غير منسوب في تفسير هود الهواري ٢/ ٣٧٥ ، وتفسير الماوردي ٣/ ١٩٥ ، والخازن ٣/ ١٢١ .

(٢) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٨ب ، بنصه ، والطوسي ٦/ ٣٩٦ ، بمعناه ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٢٦ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٦٠ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٦٠ ، وتفسير البيضاوي ١/ ٢٧٨ ، والخازن ٣/ ١٢١ ، وذهب بعضهم إلى أنه الوقت الذي قدَّره الله لإنزال العذاب بهم في الدنيا ، فيكون الناس من العام المخصوص؛ أي أهل المعاصي والكفر ، كما في قول ابن عباس القول الأول . انظر : تفسير مقاتل ١/ ٢٠٤أ ، والطبري ١٤/ ١٢٥ـ١٢٦ ، وتفسير الماوردي ٣/ ١٩٥ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٦٠ ، والقرطبي ١٠/ ١١٩ ، والخازن ٣/ ١٢٠ .

(٣) ورد بلفظه في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٤أ ، والطبري ١٤/ ١٢٦ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ٧٨ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٣٩ ، وتفسير هود الهواري ٢/ ٣٧٥ ، والثعلبي ٢/ ١٥٨ب ، والطوسي ٦/ ٣٩٦ .

أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ قال الفـرَّاء والزَّجَّاج : موضـع (أنَّ) نصب؛ لأنه عبارة عن الكذب وبدل منه ، المعنى : وتصف ألسنتهم أن لهم الحسنى[١] .

وأما تفسـير ﴿ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ فكثير من المفسرين على أنه الغلمان والبنون ، وهو[٢] قول السدي ومجاهد وقتادة[٣] ، قال يمان بن رِئاب[٤] : ﴿ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ : الجنة[٥] ، وهو معنى قول ابن عباس في رواية عطاء[٦] ، واختيار الزَّجَّاج[٧] ، قال : المعنى يصفون أن لهم مع قولهم هذا القبيح من الله الجزاء الحسن[٨] ، فحصل في ﴿ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ هاهنا قولان؛ الأول : على أنهم قالوا : لله البنات ولنا البنون ، والثاني : على أنهم حكموا لأنفسـهم بالجنة والثواب من الله إن كان محمد صادقاً[٩] في البعث؛ لأنهم كانوا لا

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٠٧ ، بنحوه ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٠٧ ، بنحوه .

(٢) في النسخ جميعها : (وهي) ، والصواب ما أثبته؛ لأن الضمير يعود على القول ، وهو مذكر .

(٣) تفسـير مجاهد ٤٢٢ بلفظه ، وأخرجه عبدالـرزاق في مصنفه ٢/ ٣٥٧ بلفظه عـن قتادة ، والطبري ١٤/ ١٢٧ بلفظـه عـن مجاهد وقتادة من طريقين لـكلٍّ ، وورد في معاني القـرآن للنحاس ٤/ ٧٨ ، بلفظه عن مجاهد ، وتفسـير الماوردي ٣/ ١٩٦ ، بنحوه عـن مجاهد ، والطوسي ٦/ ٣٩٧ ، بنحوه عن مجاهد ، وانظر : تفسير الزمخشري ٢/ ٣٣٣ ، عن مجاهد ، وابن الجوزي ٤/ ٤٦٠ ، عن مجاهد وقتادة ، والقرطبي ١٠/ ١٢٠ ، عن مجاهد ، وأبي حيان ٥/ ٥٠٦ ، عن مجاهد ، وابن كثير ٢/ ٦٣٢ ، عن مجاهد وقتادة ، وأورده السـيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٢٨ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة . ولم أقف عليه منسوباً إلى السدِّي .

(٤) في النسخ جميعها : (رباب) ، وكذا في لسان الميزان ، والصحيح رِئاب كما ذكره الدار قطني والذهبي ، وقد صوَّب محقق كتاب الضعفاء للدار قطني هذه الرواية ورجحها على رواية اللسان .

(٥) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٨ب بلفظه ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٢٦ وورد بلفظه غير منسوب في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٧٨ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٣٩ ، وابن عطية ٨/ ٤٥١ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٦٠ ، والخازن ٣/ ١٢١ .

(٦) انظر : تنوير المقباس ٢٨٨ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٠٧ ، بنصه .

(٨) في (أ) و(د) : (الحسنى) ، والمثبت من (ش) و(ع) ، وهو الموافق للمصدر .

(٩) في (أ) و(د) : «صادق» ، وهو خطأ نحوي ظاهر ، لعله من النسـاخ ، والمثبت من (ش) و(ع) . تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٨ب .

يؤمنون بالمعاد، ولعل الأقرب في تفسير الحسنى: الجنة، وفي الآية ما يدل على هذا، وهو قوله: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾، فردَّ عليهم قولَهم وأثبت لهم النار، فدلَّ هذا أنهم حكموا لأنفسهم بالجنة، قال الزَّجَّاج: (لا) ردٌّ لقولهم، المعنى ليس ذلك كما وصفوا، جَرَمَ فعلُهم هذا؛ أي كَسَبَ النارَ[1]، فعلى هذا (أنَّ) يكون في محل النصب بوقوع الكسبِ عليه، وقال قطرب: (أنَّ) في موضع رفع، المعنى: وجب أنَّ لهم النار[2]، وقيل: لا بُدَّ ولا محالةَ أن لهم النَّار، وذكرنا في ما تقدم استقصاء الكلام في هذا الحرف[3].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾؛ أي مُتْرَكون[4] مَنْسِيُّون في النار، قاله الكلبي ومجاهد والضحاك[5].

(١) أي: كَسَبَ فعلُهم هذا لهم النارَ.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٠٧، بتصرف يسير.

(٣) سورة هود: الآية [٢٢]، وتفسير السمرقندي ١/ ١٦٩، والنحل الآية [٢٣].

(٤) هكذا في النسخ جميعها، ولعلها (متروكون) كما في مجاز القرآن ١/ ٣٦١، وتفسير الطبري ١٤/ ١٢٧، والحجة للقراء ٥/ ٧٣.

(٥) تفسير مجاهد ٤٢٢، بنصه، وأخرجه الطبري ١٤/ ١٢٨ من ثلاث طرق عن مجاهد بلفظ: مَنْسيون، وعن الضحاك بلفظ: متروكون في النار، ورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٧٩، بلفظه عن مجاهد، وتفسير الماوردي ٣/ ١٨٦، بلفظه عن مجاهد والضحاك، والطوسي ٦/ ٣٩٥، بنصه عن مجاهد والضحاك، وانظر: تفسير ابن عطية ٨/ ٤٥٢، عن مجاهد، وأبي حيان ٥/ ٥٠٦ عن مجاهد، وابن كثير ٢/ ٦٣٢، عن مجاهد.

وقال قتادة : مُعَجَّلُون إلى النار[١] ، وهو قول الحسن ، والقول الأول اختيار أبي عبيدة[٢] والفرَّاء[٣] ، قال الكسائي : يقال : ما أَفْرَطْتُ من القوم أحداً[٤] ، وقال الفرَّاء : العرب تقول : أَفْرَطتُ منهم ناساً؛ أي خَلَّفتهم ونَسِيتُهم[٥] ، ومَنْ قال : مُعَجَّلُون ، وهو الاختيار[٦]؛ فَوَجْهُهُ[٧] ما قال أبو زيد وغيره : فَرَطَ الرجلُ

(١) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٢/ ٣٥٧ ، بلفظه عن قتادة ، والطبري ١٤/ ١٢٨ـ١٢٩ ، بنصه عن قتادة من طريقين ، ورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٧٩ ، بنصه عن الحسن ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٣٩ بنصه عن قتادة ، والثعلبي ٢/ ١٥٨ ، بنصه عن قتادة ، والماوردي ٣/ ١٩٦ ، بمعناه عن قتادة ، والطوسي ٦/ ٣٩٥ ، بمعناه عنهما ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٢٧ ، عن قتادة ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٢١ ، والخازن ٣/ ١٢١ ، عن قتادة ، وابن كثير ٥/ ٢٧ ، عن قتادة ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٢٨ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر عن قتادة ، وأورده وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم عن الحسن .

(٢) مجاز القرآن ١/ ٣٦١ ، بنصه .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٠٧ ، بنصه .

(٤) أي ما تركتُ أحداً ، ورد في تهذيب اللغة (فرط) ٣/ ٢٧٧٣ ، بنصه تقريباً ، وانظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٦١ ، ورجَّحَ الطبري هذا القول ١٤/ ١٢٩ .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٠٧ ، بنصه .

(٦) وقد رجحه النحاس كذلك ، وقال : قول الحسنِ أشهرُ في اللغة وأعرف ، وأيَّده بقول القُطامي كما في ديوانه ٩٠ :

واسْتَعْجَلُونا وكانوا من صَحَابَتِنا ... كما تَعَجَّل فُرَّاطٌ لِوُرَّادِ

وهذا الذي ذكره أوضح دلالة مما ذكره الواحدي رحمه الله ، كما يؤيِّده حديث رسول الله ﷺ : «أنا فَرَطكُم على الحوض . . . .» .؛ أي متقدِّمكم وسابقكم إليه حتى تردوه . أخرجه البخاري (٦٥٧٥) : الرقاق ، في الحوض ، ومسلم (٢٢٨٩) ، كتاب : الفضائل ، باب : إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته ، وقد جمع ابن كثير بين القولين في (مفرطون) ، وقال : ولا منافاة؛ [أي بينهما] ، لأنهم يعجل بهم يوم القيامة إلى النار وينسون فيها؛ أي يخلدون . تفسير ابن كثير ٢/ ٥٩٥ .

(٧) في النسخ جميعها : «فوجه» ، والصحيح ما أثبته ، وينسجم مع السياق .

أصحابَه يَفْرُطُهم فِراطاً وفُرُوطاً ، إذا تقدمهم إلى الماء ليصلح الدِّلاء والأرْسَان[١] ، وأنشدوا[٢] :

فأثارَ فارِطُهم غَطَاطاً جُثَّماً أصواتُها كتَراطُنِ الفُرْسِ[٣]

وأَفْرَط للقوم الفَارِطُ ، وفَرَّطُوه : إذا قدَّموه ، فمعنى قوله : ﴿مُّفْرَطُونَ﴾ من هذا ، كأنهم أُعجلوا إلى النار ، فهم فيها فَرْطٌ للذين يدخلون بعدهم[٤] .

---

(١) ورد في الحجة للقراء ٥/ ٧٣ ، بنحوه ، ونقله الفخر الرازي ٢٠/ ٦١ ، بنصه ونسبه إلى الواحدي . (الأرْسانُ) هكذا في النسخ جميعها ، جمع رَسَن؛ وهو الحبل تقاد به الدابَّة ، ويحتمل أن يكون (الأرْشَان) جمع رَشْن بسكون الشين وفتحها ، وهي مَشْرَبُ الماء من النَّهر؛ أي الثُّلمة في النهر يُستقى منها ، وذكر الطبري نحواً من هذا القول بلفظة (الأرشية) وهو جمع الرَّشاء : وهو حبل الدلو ، وهو الأقرب لولا اختلاف مبنى الكلمة ، انظر : تفسير الطبري ١٤/ ١٢٨ بمعناه ، والمحيط في اللغة ٧/ ٣٢٠ ، ٣٧٤ ، ٨/ ٣٠٥ ، واللسان (رشن) ٣/ ١٦٥٢ ، (رشا) ٣/ ١٦٥٣ ، والمعجم الوسيط ١/ ٣٤٧ ، ومتن اللغة ٢/ ٥٨٨ ، ٥٩٢ .

(٢) لطرفة بن العبد (جاهلي) .

(٣) لم أجده في ديوانه ، وذكر محقق مستدرك التهذيب (غط) ١٦/ ٤٩ ، أنه ليس في ديوانه ، ولكنه مما نسب إليه في زيادات [ط : أوربا/ باريس] ، ورد في لسان العرب (رطن) ٣/ ١٦٦٦ ، وورد بلا نسبة في : شرح القصائد السبع لابن الأنباري ٥٧٢ وفيه : «فأراد» بدل «فأثار» ، وتهذيب اللغة (فرط) ٣/ ٢٧٧٣ ، (غط) ٣/ ٢٦٧٦ ، ومقاييس اللغة ٢/ ٤٠٤ ، ٤/ ٣٨٤ ، واللسان (غطط) ٦/ ٣٢٧١ ، (فرط) ٦/ ٣٣٩٠ ، والتاج (غطط) ١٠/ ٣٥٣ ، (فرط) ١٠/ ٣٦٠ . (الفارطُ) : المتقدِّم السابق ، (الغَطاطُ) بفتح الغين كسَحَاب ، هي القَطَا أو ضرب منه ، وقيل : ضربٌ من الطير ليس من القطا ، هنَّ غُبرُ الظهور والبُطون والأبدان ، سُودُ بُطون الأجنحة ، طوال الأرجل والأعناق ، لطافٌ ، لا تجتمعُ أسراباً ، أكثرُ ما تكونُ ثلاثاً أو اثنين ، وواحدتُها : غَطاطَة ، سميت لصوتها غطاطاً ، (جُثَّماً) يقال : جثم الإنسان والطائر ، يجْثِم ويجْثُم جَثْماً وجُثوماً ، فهو جاثِم أي لزم مكانه فلم يبْرح؛ أي تلَبَّد بالأرض ، (تراطن) من الرَّطانة بفتح الراء وكسرها ، والتراطن : كلام لا يفهمه الجمهور ، إنما هو مُواضعةٌ بين اثنين أو جماعة ، والعرب تخص بها غالباً كلام العجم . وانظر : اللسان (جثم) ١/ ٥٤٥ .

(٤) ورد في الحجة للقراء ٥/ ٧٣ ، بنصه .

وقال أبو إسحاق : معنى ﴿مُّفْرَطُونَ﴾ : مُقَدَّمُون إلى النَّار[١] ، وقرأ نافع بكسر الراء[٢] .

قال الفرَّاء : يقول : كانوا مُفْرِطين على أنفسهم في الذنوب[٣] ، ونحوه قال الزَّجَّاج : المعنى على أنهم أَفْرَطُوا في مَعْصِية الله[٤] .

قال ابن عباس في رواية عطاء : أفرطوا في الافتراء على الله .

وقال أبو علي : كأنه من أَفْرَطَ ؛ أي صارَ فَرَطٌ ، مِثْلُ : أَقْطَفَ[٥] وأَجْرَبَ ؛ أي هم ذَوو فَرَطٍ إلى النَّار[٦] ، كأنهم قد أَرْسَلُوا من يُهيئ لهم مواضعَهم منها .

٦٣. قوله تعالى : [﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ . قال ابن عباس : يعزي الله نبيه ﷺ بهذا[٧] يقول][٨] : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ﴾ يعني رسلاً وأنبياءَ من قبلك ، ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ : حتى عَصَوا وكذبوهم ، ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ [يحتمل معنيين؛ أحدهما : أن المراد بهذا كفار

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٠٨ ، بنصه .

(٢) قرأ نافع وحده : ﴿مُّفْرَطُونَ﴾ من أَفْرَطْتَ ، وقرأ الباقون : ﴿مُّفْرَطُونَ﴾ بفتح الراء ، من أُفْرِطُوا فهم مُفْرَطُونَ . انظر : السبعة ٣٧٤ ، وعلل القراءات ١/ ٣٠٦ ، والحجة للقراء ٥/ ٧٣ ، والمبسوط في القراءات ٢٢٥ ، والتيسير ١٣٨ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٠٨ ، بنصه تقريباً .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٠٨ ، بنصه .

(٥) في (ش) و(ع) : «قَطَفٌ» . قال الصاحب ابن عباد : يقال : أقطف الرجل؛ أي صار صاحبَ دابة قطوف ، والقطوف من الدواب والإبل : هو البطيءُ المقاربُ . انظر : المحيط في اللغة (قطف) ٥/ ٣٣٠ .

(٦) الحجة للقراء ٥/ ٧٤ ، بنصه تقريباً .

(٧) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٦٢ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٦١ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٢١ ، والخازن ٣/ ١٢١ ، وأبي حيان ٥/ ٥٠٧ ، وابن كثير ٢/ ٦٣٢ ، وأبي السعود ٥/ ١٢٣ ، وهو بلا نسبة في المصادر كلها .

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ع) .

قريش ، يقول : الشيطان وليهم اليوم][1] ؛ يتولى إغواءهم وصرفهم عنك كما فعل بكفار الأمم قبلك[2] ، فيكون قد رجع عن الإخبار عن[3] الأمم الماضية إلى الإخبار عن كفار مكة . الثاني : أنه أراد باليوم يوم القيامة ، يقول : فهو ولي أولئك الذين زَيَّن لهم أعمالهم يوم القيامة[4] ، ومن كان الشيطان وليَّه ذلك اليوم دخل[5] النار ، وأطلق اسم اليوم على يوم القيامة لشهرة ذلك اليوم .

٦٤. قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ . قال ابن عباس : يريد ما قص من أخبار الأمم الخالية في القرآن ، ﴿ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ ، قال : يريد لاتخاذ الحجة عليهم ، كأن المعنى : إلا لتُبَيِّن لهم ما يختلفون فيه من الدين والأحكام ، فيذهبون فيها إلى خلاف ما يذهب إليه المسلمون ، فَتقومُ الحجةُ عليهم بدعائك وبيانك .

وقوله تعالى : ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً ﴾ . قال أبو إسحاق : بنصب ﴿ وَرَحْمَةً ﴾ ؛ لأن المعنى : وما أنزلنا عليك الكتاب إلا للهداية والرحمة ، فهو مفعول له[6] .

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ع) .

(٢) ورد في تفسير الطبري ١٤/ ١٢٩ـ١٣٠ ، بمعناه ، والثعلبي ٢/ ١٥٨ب ، بمعناه ، والطوسي ٦/ ٣٩٧ ، بمعناه ، وانظر : الكشاف ٢/ ٣٣٤ ، وابن عطية ٨/ ٤٥٤ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٦٢ ، والبيضاوي ١/ ٢٧٨ ، وأبي حيان ٥/ ٥٠٧ ، ونسبه إلى الزمخشري ، واستبعده بحجة اختلاف الضمائر من غير ضرورة ، وهذا تحامل منه على الزمخشري كما هو معروف عنه؛ لأن القول قديم كما هو واضح في المصادر ، والقول ليس بضعيف ، بل هو محتمل كما قال الواحدي رحمه الله .

(٣) في النسخ جميعها : (إلى) ، وما أثبته هو الصواب ، كما في تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٦٢ .

(٤) ورد في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٤ب ، بنحوه ، والطوسي ٦/ ٣٩٧ ، بمعناه ، وانظر : تفسير الزمخشري ٢/ ٣٣٤ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٦٢ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٦٢ ، نقل القولين بنصهما بلا نسبة ، وأبي حيان ٥/ ٥٠٧ ، والدر المصون ٧/ ٢٤٩ ، وابن كثير ٢/ ٦٣٢ .

(٥) في (أ) و(د) : (ذلكل) ، والمثبت من (ش) و(ع) ، وهو الصحيح الذي يستقيم به الكلام .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٠٨ ، بنصه .

٦٥. قولـه تعـالى : ﴿ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ إلى قوله : ﴿ يَسْمَعُونَ ﴾ أخبر الله تعـالى أنه هو الذي أنزل المطرَ فأخصبـت الأرض به بعد جُدُوبتها ويُبُوسـتها ، وفي ذلك آية ودلالة على قدرته على البعث والإحياء بعد الإماتة لمن سمع ذلك سَماعَ اعتبارٍ وتَفَكُّر .

٦٦. قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً ﴾ . ذكرنا معنى العبرة في سورة آل عمران عند قوله : ﴿ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴾ [آية : ١٣] .

وقوله تعالى : ﴿ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ ﴾ مَنْ فتح النون[١] فحجته ظاهرة يقول : سقيته حتى رَوِي ، أسقيه ، قال الله تعالى : ﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ [الإنسان : ٢١] ، وقـال : ﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴾ [الشـعراء : ٧٩] ، وقـال : ﴿ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا ﴾ [محمد : ١٥] ، وما كان للشـفة فهو بفتح النون ، ومن ضَمَّ النونَ[٢] فهو من قولك : أسـقاه إذا جعل له شِرباً كقوله : ﴿ وَأَسْقَيْنَـٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴾ [المرسـلات : ٢٧] ، وقوله : ﴿ فَأَسْقَيْنَـٰكُمُوهُ ﴾ [الحجر : ٢٢] ، والمعنى هاهنا أنا جعلناه في كثرته وإدامته كالسُّقْيَا ، واختار أبو عبيدة الضَّمَّ ، وقال : لأنه شِرْبٌ دائم[٣] ، وأكثر ما يقال في هذا المعنى : أَسْقَيْت ، وذكرنا الكلام في سقى وأسقى في سورة الحجر[٤] .

واختلف النحويون في علة تذكير الكنايـة في قوله : ﴿ مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ ﴾ ، وهي راجعة إلى الأنعام ، فقال أبو إسحاق : الأنعام لفظه لفظ جمع ، وهو اسم للجنس

---

(١) وهم ابـن عامر ونافع وعاصم في رواية أبي بكر . انظر : السـبعة ٣٧٤ ، وإعراب القراءات السـبع وعللها ١/ ٣٥٧ ، وعلل القراءات ١/ ٣٠٧ ، والحجة للقراء ٥/ ٧٤ ، والمبسوط في القراءات ٢٢٥ ، والمُوضح في وجوه القراءات ٢/ ٧٣٩ .

(٢) وهم : ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي . انظر : المصادر السابقة .

(٣) لم أجده في مجازه ، وورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٨ ، بنصه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٦٤ .

(٤) آية : [٢٢] .

يذكر ويؤنث ، يقال : وهو الأنعام ، وهي الأنعام ، ﴿ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ ﴾ ، وفي موضع آخر : ﴿ مِّمَّا فِي بُطُونِهَا ﴾[1] [المؤمنون :٢١] .

وهذا مذهب سيبويه ، قال في ذِكْره أن الاسم الواحد يجيء على أَفْعَال ، قال : يقال : هو الأَنْعَام ، وقال : ﴿ فِي بُطُونِهِۦ ﴾[2] ، فذهب إلى أنه اسم مذكر يقع للجميع كالقوم والنفر والرهط ، وقال الفرَّاء : النَّعَمُ والأنعامُ شيء واحد ، فرجع التذكير إلى معنى النَّعَم إذ كان يؤدي عن معنى الأنعام ، وأنشد[3] :

وطابَ أَلْبانُ اللِّقَاحِ وَبردْ[4]

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٠٩ ، بنصه .

(٢) الكتاب ٣/ ٢٣٠ ، بنحوه ، وانظر : إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٤٠١ .

(٣) لم أقف على القائل ، وفي تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٩أ ، أنه رجز لبعض الأعراب .

(٤) وصدره :

بالَ سُهَيلٌ في الفَضِيخِ فَفَسَدْ

ورد بلا نسبة في معاني القرآن للفرَّاء ١/ ١٢٩ ، ٢/ ١٠٨ ، وتفسير الطبري ١٤/ ١٣١ ، والثعلبي ٢/ ١٥٩أ ، والطوسي ٦/ ٤٠٠ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٦٣ ، واللسان (خرت) ٢/ ١١٢٤ ، (كتد) ٦/ ٣٨١٩ ، والدر المصون ٧/ ٢٥٧ ، والتاج (خرت) ٣/ ٤٤ـ٤٥ ، (كتد) ٥/ ٢١٨ ، وفي المصادر جميعها عدا الدُّر : (فبرد) . سهيل : كوكب يُرى في ناحية اليمن والعراق ، ولا يُرى بخُراسان ، الفضيخ : عصير العنب ، وهو أيضاً شراب يتخذ من البُسر المفضوخ وحده من غير أن تمسه النار ، وهو المشدوخ . ومعنى البيت : يقول لما طلع سُهيلٌ ذهب زمن البسر وأرطب ، فكأنه بال فيه ، وعندها تطيب ألبان النوق ، والشاهد : أنه لم يقل : وبردت؛ لأنه رده إلى اللبن؛ المفرد . انظر : تهذيب اللغة (سهل) ٢/ ١٧٨٦ ، ١٧٨٧ ، واللسان (فضخ) ٦/ ٣٤٢٦ .

فرجع إلى اللبن[١]؛ لأن اللبن والألبان في معنى واحد[٢]، والدليل على أن النَّعَمَ مذكر قول الراجز[٣]:

أَكُلَّ عَامٍ نَعَمٌ تَحْوُونَهُ يُلْقِحُهُ قَوْمٌ وتَنْتُجُونَه[٤]

قال الكسائي: أراد مما في بطون ما ذكرنا[٥]، قال الفرَّاء: وهو صواب، أنشدني بعضهم:

مِثْلُ الفِراخِ نَتَقَتْ حَواصِلُه[٦][٧]

---

(١) في النسخ جميعها: (اللبن والألبان) بزيادة الألبان، وقد أدى زيادتها إلى اضطراب المعنى، ويؤيِّد أنها زائدة، عدم وجودها في المصدر والوسيط، تحقيق سيسي ٢/ ٤١٠.

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٠٨، بنصه تقريباً.

(٣) هو قيس بن حصين بن يزيد الحارثي (جاهلي).

(٤) ورد في الخزانة ١/ ٤٠٧، ٤١٢، وورد بلا نسبة في الكتاب ١/ ١٢٩، ومجاز القرآن ١/ ٣٦٢، وتفسير الطبري ١٤/ ١٣٢، والمذكر والمؤنث للأنباري ١/ ٤٢٦، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢١٧، وتهذيب اللغة (نعم) ٤/ ٣٦١٧، وتفسير الثعلبي ٢/ ١٥٩أ، والمخصص ١٧/ ١٩، وتفسير الزمخشري ٢/ ٣٣٤، وأبي حيان ٥/ ٥٠٩، والدر المصون ٧/ ٢٥٣، وتخليص الشواهد ١٩١، وفي بعض هذه المصادر ورد برواية: «في كل» بدل «أكل».

(٥) ورد في معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٠٩، بنصه، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٤٠١، بنصه، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري ١/ ٤٢٧، بنصه، وتهذيب اللغة (نعم) ٤/ ٣٦١٥، بنصه، وانظر: تفسير البغوي ٣/ ٧٥، والفخر الرازي ٢٠/ ٦٤.

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٠٩، بنصه.

(٧) رجز ورد بلا نسبة في معاني القرآن للفرَّاء ١/ ١٣٠، وتفسير الطبري ١٤/ ١٣٢، وتهذيب اللغة (نعم) ٤/ ٣٦١٦، والمحتسَب ٢/ ١٥٣، وتفسير ابن عطية ٨/ ٤٥٦، وابن الجوزي ٤/ ٤٦٣، وشرح شواهد الإيضاح ٣٤٧، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٢٤، واللسان (خلف) ٢/ ١٢٣٧، (نعم) ٧/ ٤٤٨٢، وتفسير أبي حيان ٥/ ٥٠٩. نتقت: سمنت وامتلأت شحماً. حواصله: جمع حوصلة؛ أسفل البطن، وهي للطير والنعام كالمعدة للإنسان، وهي المصارين لذي الظلف والخُفِّ، والشاهد: أنه أعاد على الفراخ ضمير الواحد؛ لأنها في معنى الفرخ، إذا أريد به الجنس والكثرة، وقال الطبري: لم يقل: حواصلها؛ أي ذكَّرها. انظر: المحيط في اللغة (نتق) ٥/ ٣٦٧، ومتن اللغة ٢/ ١٠٦، ووردت برواية: «نُتِفَتْ».

وقال المبرِّد : هذا فاشٍ في القرآن وفي كلامهم ، مثل : ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي ﴾ [الأنعام :٧٨] ، بمعنى هذا الشيء الطالع ، وكذلك قوله : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ۝٥٤ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴾ [المدثر :٥٤ـ٥٥]؛ أي ذَكَرَ هذا الشيء ، وكذلك : ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ ﴾ [النمل :٣٥] ، ثم قال : ﴿ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ ﴾ [النمل :٣٦] ، ولم يقل : جاءت؛ لأن المعنى : جاء الشيءُ الذي ذكرنا[١] .

قال أبو عبيد : وسمعت الكسائي يُنْشِد ما هو أشد من هذا[٢] :

وعَفْرَاءُ أَدْنَى الناسِ مِنِّي مَـوَدَّةً ... وعَفراءُ عَنِّي المـُعْرِضُ الْمُتَوَانِي[٣]

قال وأنشدنا الأحمر[٤] :

إذ[٥] الناسُ نَاسٌ والبِلَادُ بِغِـرَّةٍ ... وإِذْ أُمُّ عَـمَّارٍ صَدِيقٌ مُسَـاعِفُ[٦]

---

(١) لم أقف على مصدره ، وورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٤١٠ ، بنحوه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٦٣ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٦٤ ، وأبي حيان ٥/ ٥٠٩ ، والدر المصون ٧/ ٢٥٦ ، وورد بلا نسبة في تفسير الطبري ١٤/ ١٣٣ ، بنصه تقريباً ، والثعلبي ٢/ ١٥٩أ ، بنحوه .

(٢) البيت لعروة بن حزام ، المتوفى ٣٠هـ ، شاعر إسلامي ، أحد المتيَّمين ، لا يُعرف له شعرٌ إلا في عفراءَ بنتِ عمِّه .

(٣) ورد في المذكر والمؤنث للأنباري ١/ ١٨٧ ، برواية :

فعفراءُ أرجى الناسِ عندي مودةً

وورد في الأغاني برواية :

فعفراءُ أحظى الناسِ عندي مودَّةً

وورد بلا نسبة في تفسير الطبري ١٤/ ١٣٣ ، والثعلبي ٢/ ١٥٩أ ، والشاهد : أنه لم يقل : المعرضة المتوانية ، وذكَّرَ المعرض؛ لأنه أراد التشبيه؛ أي وعفراء عنِّي مثْلُ المـُعرضِ ، والمؤنث قد يشبَّه بالمذكر .

(٤) هو لأَوْس بن حَجَر ، كما في ديوانه واللسان .

(٥) في النسخ جميعها : (إذا) والتصويب من الديوان والمصادر جميعها عدا الثعلبي .

(٦) ديوانه ٧٤ ، وفيها : (الزمان) بدل (البلاد) ، و(بعزة) بدل (بغرة) ، وورد في اللسان (سعف) ٤/ ٢٠١٨ ، وفيه : والزمان ، وورد بلا نسبة في تهذيب اللغة (سعف) ٢/ ١٦٩٦ ، كاللسان ، وورد برواية : «بغبطة» بدل «غِرة» في تفسير الطبري ١٤/ ١٣٣ ، والثعلبي ٢/ ١٥٩أ ، وفي الخزانة =

فهذا التذكير في هذه الأشـياء أشَدُّ منه في الأنعام ، ومثله كثير[١] ، وإنما توَجَّه على معنى هذا الشـخص والسواد وكل شيء ، فالشيء يَشْرَكُه في اسمه ، فالأصل التذكـير؛ لأن الشيء مذَكَّر ، غـير أن الشيء إذا كان تأنيثـه حقيقيًّا فلا بد من أن يؤنث في مستقيم الكلام ، لا يَحْسُن أن يقول : جَارِيتُك ذهب ولا غلامك ذهبت ، بحمله على النَّسْـمة[٢] ، وذهب المؤرج في هذا إلى وجه آخر؛ وهو أن الكناية تعود إلى ما في قوله : ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾ وأضمر اللبن ، كأنه قيل : نسـقيكم مما في بطونه اللبن ، ﴿مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا﴾ أراد أنه يُسقى من أَيِّها كان ذا لبن؛ لأنه ليس لكلها لبـن[٣] ، واختار صاحب النظم هذا الوجه وزاده بيانـاً ، فقال : الأنعام يقع على الذكر والأنثى ، والصغير والكبـير ، والحائل[٤] والحامل ، وذات الدَّرِّ والبِلَى[٥] ، فلما ذَكَرَ -عز وجل- مُجْمَلَه في أول الفصل ، وليس الدّرُّ إلا لبعضها؛ مَيَّزَ واختص منها في الخبر ذات الدَّر دون سـائرها . فقوله : ﴿مِّمَّا﴾ مِثْلُ قولك : مِنْ الَّتي ، إلا أنه لـمَّا ذَكَرَ (الَّتي) بلفظ (ما) ذَكَرَ الكناية؛ لأن (ما) لا تبين فيه تذكير ولا تأنيث ،

= ٥/ ٤٢٩ ، برواية : «والزمان بعزَّة» ، (غرة) بكسر الغين : الغفلة ، يقـال : غَرَّ الرجلُ غَرارةً وغِرَّةً : جهلَ الأمور وغفل عنها ، مساعف : قريب ، والإسعاف : قضاء الحاجة ، وهو المقصود .

(١) لم أقف على مصدره .

(٢) النَّسَمَةُ : النَّفسُ ، والنسمة في العتق : المملوك ذكراً كان أو أنثى . المحيط في اللغة ٨/ ٣٤٥ .

(٣) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٩ ، بنحوه ، والطبري ١٤/ ١٣١ ، بنحوه غير منسوب ، وورد في إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢١٧ ، بنحوه منسوباً إلى أبي عبيدة عن أبي عبيد ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٢٨ ، ووضح البرهان ٥٠٧ .

(٤) الحائل : التي لا تحمل تلك السـنة ، حَالتْ تَحُـولُ حُؤُولاً وحِيَالاً ، والمُـْحتالة : الحائل من ذوات الحَمْل . انظر : المحيط في اللغة (حول) ٣/ ٢١٠ .

(٥) يقـالَ : ناقة بَلِيَّة : هي التي يموت صاحبها ، فيحفر لها حفرة وتشـدُّ رأسـها إلى خلفها ، وتُبْلَى؛ أي تترك هناك لا تعلف ولا تسـقى حتى تموت جوعاً وعطشاً . انظر : المحيط في اللغة (بلى) ١٠/ ٣٥٤ ، واللسان (بلا) ١/ ٣٥٥ .

فكأنه مذكر ، والتقدير : نُسقيكم مِن التي في بطونها لبن ، ﴿مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا﴾ ، وأضمر ذِكرَ اللبن لعلم المخاطب بذلك ، ولمجيء[1] ذِكرِ اللبن في ما بعده .

وقوله تعالى : ﴿مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ﴾ ، الفَرْثُ : سِرْجين الكرش[2] ، قال ابن عباس : يريد العلف الذي يكون في الكرش ، وروى الكلبي عن أبي صالح عنه أنه قال : إذا استقر العَلَفُ في الكرش صار أسفله فَرْثاً وأعلاه دماً وأوسطه لبناً ، فيجري الدمُ في العروق واللبنُ في الضَّرع ويبقى الفَرْثُ كما هو[3] ، فذلك قوله : ﴿مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصًا﴾ لا يَشُوبُه الدم ولا الفرث ، ﴿سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ جائزاً في حلوقهم لذيذاً هنيئاً ، يقال : ساغَ الشَّرَابُ في الحلق وأَسَاغَهُ صاحِبُه[4] ، ومنه قوله : ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ [إبراهيم :١٧] ، وقد مر ، والآية بيان عن إقامة الدلالة على الصانع حيث جعل العَلَف وهو جنس واحد أنواعاً في بطن الدابة ، فإذا تفكر العاقلُ عَلِمَ أن ذلك بقدرة الله الذي لا إله إلا هو ، قال أصحابنا : وهذه

---

(١) في النسخ جميعها : (والمجيء) ، ويستقيم الكلام بالمثبت .

(٢) يقال : سرجين بالجيم ، وسرقين بالقاف ، ويسمى فرْثاً ما دام أنه بالكرش ، فإذا خرج لا يسمى فرثاً ، انظر : العين (فرث) ٨/ ٢٢٠ ، وتهذيب اللغة ٣/ ٢٧٥٧ ، والمحيط في اللغة ١٠/ ١٣٨ ، ومجمل اللغة ٢/ ٧١٩ ، واللسان ٦/ ٣٣٦٩ .

(٣) ورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٤٠ ، والثعلبي ٢/ ١٥٩أ ، بنحوه ، وهذه أوهى الطرق إلى ابن عباس ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٢٨ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٦٤ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٦٤ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٢٥ ، وتفسير البيضاوي ١/ ٢٧٩ ، والخازن ٣/ ١٢٣ ، وأبي حيان ٥/ ٥٠٩ ، وهذا التفسير مردود لضعف الأثر ، وزاد الفخر الرازي تضعيفه لمخالفته للحس ، فقال : وقد دللنا على أن هذا القول على خلاف الحس والتجربة ، ولأن الدم لو كان يتولد في أعلى المعدة والكرش ، كان يجب إذا قاء أن يقيء الدم ، وذلك باطل قطعاً ، ثم بيَّن كيفية تولُّد اللبن حسيَّاً . الفخر الرازي ٢٠/ ٦٥ .

(٤) انظر : جمهرة اللغة (سوغ) ٢/ ٨٤٦ ، وتهذيب اللغة ٢/ ١٥٩٧ ، والمحيط في اللغة ٥/ ١٠٧ ، ومجمل اللغة ١/ ٤٧٨ ، ومقاييس اللغة ٣/ ١١٦ ، والصحاح ٤/ ١٣٢٢ ، والعباب الزاخر : غ/ ص٤٨ ، واللسان ٤/ ٢١٥٢ .

الآية تدل على أن مَنِيَّ الآدمي لا يكون نجساً وإن كان في باطنه مجاوراً للنجاسات كاللبن ، فإنه يخرج طاهراً من بين نجسين[١] .

---

(١) هذا مشهور لكن فيه نظر؛ لأن الدم مختلف في نجاسته ، فالمذاهب الأربعة على نجاسته ، وقد حكى النووي في ذلك الإجماع فقال : «وفيه أن الدم نجس ، وهو بإجماع المسلمين» . شرح مسلم ٣/ ٢٠٠ ، وانظر : أحكام النجاسات في الفقه الإسلامي ١٨٧ ، لكن الذي عليه المحققون ـ كابن تيمية والشوكاني وصديق خان ـ أن الدم المسفوح ليس بنجس ، وعمدة القائلين بالنجاسة أمران؛ أحدهما : قوله تعالى : ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ ﴾ [الأنعام :١٤٥] ، والثاني : حديث أسماء قالت : جاءت امرأة إلى النبي ﷺ ، فقالت : «إحدانا يصيب ثوبها من دم الحيضة كيف تصنع به؟» قال : «تَحُتُّهُ ثم تَقْرُصُهُ بالماء ثم تَنْضِحُهُ ثم تُصَلِّي فيه» . شرح مسلم ٣/ ١٩٩ .

وقد رد المحققون على هذين الدليلين : أما الآية فدلالتها على نجاسة الدم غير صريحة؛ لأن كون تناول الدم المسفوح محرم لا يقتضي نجاسته ، وكلمةُ ﴿ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ ﴾ وإن كان من معانيها في اللغة النجاسة ، إلا أنه مختلف في عودة الضمير ، وإذا وقع الاحتمال بطل الاستدلال . أما الحديث فالكلام فيه على دم الحيض ولا خلاف في نجاسته؛ لأنه خارج من أحد السبيلين ، لذلك كان قياس سائر الدماء عليه قياساً مع الفارق ، لذلك قال صديق خان : «وأما سائر الدماء فالأدلة فيها مختلفة مضطربة ، والبراءة الأصلية مستصحبة حتى يأتي الدليل الخالص عن المعارضة» . الروضة الندية شرح الدرر البهية ١/ ٨٢ ، وحتى على القول بنجاسة الدم فإن الدم قبل انفصاله عن الجسم يعد طاهراً ، وهو ما ذهب إليه ابن تيمية في الفتاوى ٢١/ ٥٩٨ـ ٦٠٠ ، ونصره من وجوه عدة ، فقال : «إنا لا نسلم أن الدم قبل ظهوره وبروزه يكون نجساً ، فلا بد من الدليل على تنجيسه» ، ثم ذكر وجوهاً على طهارته ، وهي : أن النجس هو المستقذر المستخبث ، وهذا الوصف لا يثبت لهذه الأجناس إلا بعد مفارقتها مواضع خلقها ، فوصفها بالنجاسة فيها وصف بما لا تتصف به . أن الدماء في الأبدان وغيرها هي أحد أركان الحيوان التي لا تقوم حياته إلا بها حتى سميت نفساً ، فالحكم بأن الله يجعل أحد أركان عباده من الناس والدواب نوعاً نجساً في غاية البعد . أن الأصل الطهارة ، فلا تثبت النجاسة إلا بدليل ، وليس في هذه الدماء شيء من أدلة النجاسة ، وخصائصها . أما روث الحيوان فالأرجح فيه الطهارة أيضاً ، وهو مذهب الحنابلة والمالكية والهادوية وغيرهم . انظر : نيل الأوطار ١/ ٥٩ـ ٦٠ ، والروضة الندية ١/ ٧١ ، وأحكام النجاسات ٥٠ـ ٩٨ . ومن أدلتهم : حديث أنس في الصحيحين : «أن النبي ﷺ أمر العُرَنيين بأن يشربوا من أبوال الإبل» ، البخاري ٢٣٣ ، كتاب الوضوء ، أبوال الإبل والدواب ، مسلم ١٦٧١ : القسامة ، حكم المحاربين والمرتدين ، واستدلوا كذلك بأن النبي ﷺ كان يصلي قبل أن يبنى المسجد في مرابض الغنم . أخرجه البخاري ٢٣٤ بالباب نفسه ، كذلك استدلالات ابن تيمية السابقة على طهارة الدم تنطبق على طهارة الروث .

كذلك يجوز أن يخرج المنيُّ طاهراً ، وإن جرى في طريق النجاسة[١][٢] .

٦٧. قوله تعالى : ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ ﴾ الآية .

قال صاحب النظم : تأويل الآية : ولكم من ثمرات النخيل والأعناب ما تتخذون منه سكراً[٣] ؛ لأنه لو كان مبتدأً ومنقطعاً مما قبله لوجب أن يقال : منها؛ لأن تأويله يكون راجعاً على قوله : ﴿ ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ ﴾ على ما نظم ، وتتخذون من ثمرات النخيل والأعناب سكراً .

---

(١) الكلمة ساقطة من (أ) و(د) .

(٢) نسبه القرطبي إلى النقاش من الشافعية ، المتوفى ٣٥١هـ ، وقال : وقاله أيضاً غيره ، وهذا الاستدلال على طهارة المنيِّ فيه تكَلُّف وبُعد ، والقياس الوارد قياس مع الفارق ، لذا أنكره ابن العربي وشكك في أهلية المستدل على الدعوى بهذه الآية . انظر : تفسير ابن العربي ٣/ ١١٥٢ ، وقد أنكر ابن تيمية هذه الدعوى في معرض الرد على القائلين بنجاسة المني ، فقال : لا نسلم أنه يجري في مجرى البول ، فقد قيل : إن بينهما جلدة رقيقة ، وإن البول إنما يخرج رشحاً ، وهذا مشهور . الفتاوى ٢١/ ٦٠٢ ، أما طهارة المني فمختلف فيها ، وقد بسط العلماء القول فيها في كتبهم في مظانها . وانظر : أحكام النجاسات ٩٩ـ١٢٤ ، ومن أقوى أدلة القائلين بطهارته ـ وهو الراجح ـ قول عائشة رضي الله عنها : «كان رسول الله ﷺ يسْلُت المنيَّ من ثوبه بعرق الإذخر ثم يصلي فيه ، ويحته من ثوبه يابساً ثم يصلي فيه» . صحيح ابن خزيمة ، باب : سلت المني من الثوب بالإذخر إذا كان رطباً ١/ ١٤٩ .

(٣) وإلى هذا ذهب الطبري في تفسيره ١٤/ ١٣٨ ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٢٨ ، وابن عطية ٨/ ٤٥٨ ، قال البغوي : يعني : ولكم أيضاً عبرة في ما نسقيكم ونرزقكم من ثمرات النخيل والأعناب ، ﴿ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ ﴾ والكناية في ﴿ مِنْهُ ﴾ عائدة إلى (ما) محذوفة؛ أي ما تتخذون منه ﴿ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ .

والعرب تضمر (ما) و(من) كقوله تعالى : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾[١] [الإنسان :٢٠] ، ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ﴾[٢] [الصافات :١٦٤] وذكرنا[٣] هذا قديماً .

والأعناب عطف على الثمرات لا على النخيل؛ لأنه يصير التقدير : ومن ثمرات الأعناب ، والأعناب ثمار ، ولكنه ومن الأعناب ، وأمَّا السكر فروى سعيد بن جبير وشهر بن حَوْشب وعمرو[٤] بن سفيان[٥] عن ابن عباس أنه قال : السَّكَر ما حُرِّم من ثمرتيهما ، والرزق الحسن ما أُحلَّ من ثمرتيهما[٦] ، وقال في رواية عطاء : سَكَراً يريد ما أَسْكَر ، وهذا قبل أن يحرم الخمر .

---

(١) قال الفرَّاء أي ما ثَمَّ رأيت . معاني القرآن للفرَّاء ٣/ ٢١٨ ، وانظر : الدر المصون ١٠/ ٦١٤ .

(٢) وتقديره عند الكوفيين : وما منا إلَّا مَنْ له ، فحذف الموصول وأبقى الصلة ، وأباه البصريون؛ لأن الموصول عندهم لا يحذف . انظر : البيان في غريب إعراب القرآن ٢/ ٣١٠ ، والفريد في إعراب القرآن ٤/ ١٤٦ .

(٣) ساقطة من (أ) و(د) .

(٤) في النسخ جميعها : (عمر) ، والصحيح المثبت كما في تفسير الطبري ١٤/ ١٣٤ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ٨١ .

(٥) عمرو بن سفيان الثقفي ، روى عن ابن عباس وابن عمر وعن أبيه رضي الله عنه ، وروى عنه الأسود بن قيس ، صحح له الحاكم حديثاً في تفسير السَّكر ، وضعفه النحاس في معانيه . انظر : الجرح والتعديل ٦/ ٢٣٤ ، وتهذيب التهذيب ٣/ ٢٧٣ ، وتقريب التهذيب ٥٠٣٨ .

(٦) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٢/ ٣٥٧ ، بنصه ، والطبري ١٤/ ١٣٤ ، بنصه من طرق كثيرة ، والجصاص ٣/ ١٨٥ ، بنحوه ، والحاكم : التفسير/ النحل ٢/ ٣٥٥ ، بنصه وصححه ، وورد في الناسخ والمنسوخ للنحاس ٢/ ٤٨٥ ، بنصه ، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ٨١ ، بنصه ، وقال : وهي روايةٌ تضعفُ من جهة عمرو بن سفيان ، وتفسير هود الهواري ٢/ ٣٧٦ ، بنصه ، والثعلبي ٢/ ١٥٩أ ، بنصه ، وتفسير الماوردي ٣/ ١٩٨ ، بنحوه ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٢٩ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٦٤ ، وابن كثير ٢/ ٦٣٣ ، والدر المنثور ٤/ ٢٢٨ ، وزاد نسبته إلى الفريابي وسعيد بن منصور وأبي داود في ناسخه وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه .

﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ يريد الخَلَّ والزبيب والتمر وكل ما يُتَّخَذ من النخيل والأعناب[١] ، وهذا قول عامة المفسرين ، قالوا : السكر هي الخمر بعينها ، والسكر حرام ، والرزق الحسن حلال ، وقالوا : نزلت هذه قبل تحريم الخمر[٢] ، ونزل تحريمها في سورة المائدة[٣] .

---

(١) أخرجه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ ٢٥٢ ، بنحوه من طريق الحجاج عن ابن جريج صحيحة ، ومن طريق أبي طلحة صحيحة ، والطبري ١٤/ ١٣٤ـ١٣٥ بنحوه من طريق عمرو ، ومن طريق أبي طلحة ، والجصاص ٣/ ١٨٥ ، بنحوه من طريق الحجاج ، والسمرقندي ٢/ ٢٤١ ، بمعناه ، وانظر : تفسير ابن عطية ٨/ ٤٥٨ .

(٢) أخرجه الطبري ١٤/ ١٣٥ ، بنحوه من طرق عن سعيد بن جبير وأبي رزين والحسن ومجاهد ، ورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٨٢ ، بنحوه ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٤١ ، بنحوه ، وتفسير الماوردي ٣/ ١٩٨ ، بنحوه ، والطوسي ٦/ ٤٠١ ، بنحوه ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٢٨ .

(٣) في قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة :٩٠] ، وعلى هذا فآية النحل منسوخة بآية المائدة ، وهو ما ذهب إليه ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والحسن والشعبي والنخعي وأبو رَزين وجمهور المفسرين ، وقد ردَّ هذه الدعوى جماعة من العلماء ، وبينوا أن هذا خبر ، ولا يجوز فيه النسخ ، قال مكي : وقيل : إن هذا لم ينسخ ؛ لأن الله لم يأمرنا باتخاذ ذلك ، ولا أباحه لنا في هذه الآية ، وإنما أخبرنا بما كانوا يصنعون من النخيل من السَّكَر الذي حرَّمه الله في المائدة . اهـ . ومن القائلين بعدم النسخ الطبري ، لكنه حمل السَّكر على أن معناه : كل ما حلَّ شربه ، مما يتخذ من ثمر النخل والكرم ، وفَسَّد أن يكون معناه الخمر أو ما يُسْكِر من الشراب . انظر : الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد ٢٥٢ ، وتفسير الطبري ١٤/ ١٣٤ـ ١٣٦ ، والناسخ والمنسوخ للنحاس ٢/ ٤٨٦ ، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه لمكي ٣٣١ ، وأسباب النزول للواحدي ٢٠٨ ، ونواسخ القرآن لابن الجوزي ١٨٦ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٣٠ .

والسَّكَر في اللغة : الخمر[١] ، وقال جرير :

إذا رَوِينَ على الخِنْزِيرِ من سَكَرٍ نادَيْنَ يا أعظمَ القِسِّيَن جُرْدانَا[٢]

وهذا القول هو اختيار الفرَّاء[٣] والزَّجَّاج[٤] .

وقال أبو عبيدة بوحده : السَّكَر : الطعام ، واحتج بقوله[٥] :

جَعَلْتَ أعْرَاضَ الكِرَامِ سَكَراً[٦]

أي : جعلتَ ذَمَّهم[٧] طُعْماً لك[٨] .

---

(١) أصل السَّكر في اللغة : السَّدُّ ، ومنه سَكَرَ فلانٌ؛ لأنه سُدَّ عقله ومنع منه ، والسَّكَرُ : الخمر نفسها ، وكُلُّ ما يُسْكِرُ ، وقيل : هو شراب يُتخذ من التَّمر والكَشُوث ، والسُّكر : حالةٌ تعرض بين المرء وعقله ، وأكثر ما يستعمل ذلك في الشراب المسكر ، انظر : تهذيب اللغة (سكر) ٢/ ١٧٢٠ ، والمفردات ٤١٦ ، والأساس ٣٠٢ ، واللسان (سكر) ٤/ ٢٠٤٧ ، وعمدة الحفاظ ٢/ ٢٣٧ ، والتاج (سكر) ٦/ ٥٣٤ ، ومتن اللغة ٣/ ١٧٩ .

(٢) ديوانه ١/ ١٦٧ ، وفيه : (لمَّا) بدل (إذا) ، وورد في تهذيب اللغة (سكر) ٢/ ١٧٢٠ ، واللسان (جرد) ١/ ٥٩٠ ، (سكر) ٤/ ٢٠٤٨ ، (جردانا) : الجُردانُ بالضم : من أسماء الذَّكَرِ ، وهو قضيب ذوات الحوافر ، والجمع : جرادين .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٠٩ ، بلفظه .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٠٩ ، بلفظه .

(٥) نسبه في المجاز إلى جندل ، وهوابن المثنى الطَّهوي .

(٦) ورد في تهذيب اللغة (سكر) ٢/ ١٧٢٠ ، وتفسير الزمخشري ٢/ ٣٣٥ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٦٨ ، واللسان : (سكر) ٤/ ٢٠٤٨ ، وورد برواية : «جَعَلْتَ عَيْبَ الأكْرمين سكراً» في مجاز القرآن ١/ ٣٦٣ ، وتفسير الطبري ١٤/ ١٣٨ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ٨٣ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٣٨ ، وتفسير الثعلبي ٢/ ١٥٩ب ، والطوسي ٦/ ٤٠١ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٦٤ ، والقرطبي ١٠/ ١٢٩ .

(٧) في معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٠٩ : دَمَهُم ، ولعل الخطأ من المحقق ، والمثبت هو الصحيح المتفق مع المعنى .

(٨) مجاز القرآن ١/ ٣٦٣ ، بنحوه ، وورد في التهذيب (سكر) ٢/ ١٧٢٠ ، بنصه ، والظاهر أنه نقله من التهذيب .

قال الزَّجَّاج : هذا بالخمر أشبَهُ منه بالطعام ، المعنى : جعلْتَ تتخمَّرُ بأعراضِ الكرام ، وهو أبينُ في ما يقال : يبترك[١] في أعراض الناس[٢]؛ يتخَمَّر بهم .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ قال ابن عباس : يريد عقلوا عن الله قدرَته وما لا يقدر عليه أحدٌ غيُره وحدَه ، فصَدَّقوا نَبِيَّه وأيْقَنُوا بالثواب والعقاب .

٦٨. قوله تعالى : ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ﴾ الآية . وَحَى وأوحَى واحد[٣] ، وهو الإلهام هاهنا ، قال المفسرون : ألهَمَها وقذف في أنفسها[٤] ، وذكرنا معنى الوحي والإيحاء[٥] عند قوله : ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [النساء :١٦٣] وفي مواضع .

---

(١) يقال : بارك على الشيء : واظب ، وأبرك في عدْوه : أسرع مجتهداً ، والاسم : البُرُوك ، يقال : ابْتَرك الرجلُ في عرض أخيه : إذا اجتهد في ذمِّه وشتمه وانتقاصه ، والابتراك في العدو : الاجتهاد فيه . انظر : تهذيب اللغة (برك) ١/ ٣١٩ ، والمحيط في اللغة ٦/ ٢٦٠ ، واللسان ١/ ٢٦٧ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٠٩ ، بنحوه ، وورد في تهذيب اللغة (سكر) ٢/ ١٧٢٠ ، بنصه تقريباً ، والظاهر أنه نقله منه .

(٣) يقال : أوْحى لها وَوَحى لها ، لكن اللغة الفاشية في القرآن بالألف ، وأما في غير القرآن فوحيْتُ إلى فلان هو المشهور . انظر : تهذيب اللغة (وحى) ٤/ ٣٨٥٢ ، والمحيط في اللغة ٣/ ٢٤١ ، والصحاح ٦/ ٢٥١٩ .

(٤) ورد في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٤ب ، بنحوه ، والطبري ١٤/ ١٣٩ بنصه عن معمر من طريقين ، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ٨٣ ، بنحوه ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٤١ ، بنحوه ، وهود الهواري ٢/ ٣٧٧ ، بنحوه ، والثعلبي ٢/ ١٥٩ب ، بنصه ، والماوردي ٣/ ١٩٩ ، بنحوه ، والطوسي ٦/ ٤٠٢ ، بنحوه ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٢٩ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٦٥ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٦٩ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٣٣ .

(٥) في (أ) و(د) : (إيحاء) ، والمثبت من (ش) و(ع) .

وقوله تعالى : ﴿ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾ ، النَّحْل : زنبور[١] العَسَلِ ، والواحدة نَحْلَة[٢] .

قال الزَّجَّاج : جائز أن يكون سمي نحلاً؛ لأن الله -عز وجل- نحل الناس العسل الذي يخرج من بطونها ، وقال غيره : النَّحْل يذكر ويؤنث[٣] ، وهي مؤنثة في لغة الحجاز؛ ولذلك أنثها الله تعالى ، وكذلك كل جمع ليس بينه وبين واحده إلا الهاء .

وقال أهل المعاني : الله تعالى أوحى إلى كل دابة وذي روح وحي الإلهام في التماس منافعها واجتناب مضارِّهَا ، فذكر من ذلك أمر النحل؛ لأن فيها من لطيف الصنعة وبديع الخلق ما فيه أعظم معتبر ، بأن ألهمها اتخاذ المنازل والمساكن[٤] ، وذلك قوله : ﴿ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ ﴾ ، قال ابن عباس : هي تتخذ من الجبال لأنفسها إذا كانت لا أصحاب لها[٥] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾؛ أي يبنون ويسقفون ، وفيه لغتان : قُرئ بها ضَمُّ الراء[٦] وكسرها[٧] مثل يَعْكِفون ويَعْكُفون .

---

(١) في (أ) و(د) : (زبر) ، وفي كتب اللغة : (دَبْرُ العسل) ، قال الخازن : «النحل : زنبور العسل ، ويسمى الدَّبْر أيضاً» . تفسير الخازن ٣/ ١٢٣ .

(٢) انظر : العين (نحل) ٣/ ٢٣٠ ، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٠٣٢ ، والمحيط في اللغة ٣/ ١٠٣ ، والصحاح ٥/ ١٨٢٦ ، واللسان ٧/ ٤٣٦٨ .

(٣) ليس في معانيه ، وورد في تهذيب اللغة ٤/ ٣٥٣٢ ، بنصه ، وقال الأزهري في مادة (نحل) «فمن ذكَّر النحل فلأن لفظه مذكَّر ، ومن أنث فلأنه جَمْعُ نَحْلَة» .

(٤) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢١٠ ، بنحوه .

(٥) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٤١٤ ، بنصه .

(٦) قرأ بضم الراء : ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر : ﴿يَعْرِشُونَ﴾ ، انظر : السبعة ٣٧٤ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٥٨ ، والحجة للقراء ٥/ ٧٦ ، وحجة القراءات ٣٩٢ ، والمُوضح في وجوه القراءات ٢/ ٧٤٠ .

(٧) قرأ الباقون بكسر الراء : ﴿يَعْرِشُونَ﴾ ، وروى حفص عن عاصم بكسر الراء أيضاً . انظر : المصادر السابقة .

قال ابن عباس : يريد ما يعرش الناس لها من الجِبَاح[١] ، وهو : خلايا النحل[٢] .

وقال ابن زيد في قوله : ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ هو الكروم[٣] ، ولا معنى للكروم هاهنا؛ لأنها لا تأوي الكُرومَ ، والمعنى ما قاله ابن عباس أن معنى يعرشون : يبنون لها من خلاياها ، ويعرشون صحيح في البناء للكروم ، ولكن المراد هاهنا في البناء للنحل لا الكَرْم .

قال أهل المعاني : لولا التسخير وإلهام الله تعالى ما كانت تأوي إلى ما يبني لها الناس من بيوتها[٤] .

٦٩. قوله تعالى : ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ . قال ابن قتيبة أي من الثمرات ، وكل هاهنا لا يقع على العموم ، كقوله : ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل :٢٣] ، وقوله : ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾[٥] [الأحقاف :٢٥] .

---

(١) الأجْبُح : مواضع النحل في الجبل ، والواحد : جِبْحٌ وجِبَحٌ . انظر : المحيط في اللغة (جبح) ٢/ ٤١٦ ، ومجمل اللغة ١/ ٢٠٥ .

(٢) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٧٠ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٣٤ ، وأبي حيان ٥/ ٥١٢ ، كلها بنحوه وبلا نسبة .

(٣) أخرجه الطبري ١٤/ ١٣٩ بلفظه ، ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٩ب ، بلفظه ، وتفسير الماوردي ٣/ ١٩٩ ، بلفظه ، والطوسي ٦/ ٤٠٢ بلفظه ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٢٩ ، وتفسير ابن عطية ٨/ ٤٦١ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٦٥ ، وأبي حيان ٥/ ٥١٢ .

(٤) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٦٥ .

(٥) الغريب لابن قتيبة ٢٤٦ ، بنصه ولم يستشهد إلا بالآية الثانية .

وقوله تعالى : ﴿فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ﴾ . قال ابن عباس : يريد طُرُقَ ربك[١] ، تطلب فيها الرعي ، ﴿ذُلُلًا﴾ جمع ذَلُول ، وهو المنقاد اللين المُسَخَّر ، يقال : فرس ذلول بَيِّن الذُّلِّ[٢] .

قال مجاهد : لا يتوعَّرُ عليها مكان سلكته[٣] ، فعلى هذا الذُّلُلُ من صفة السُّبُل ، والنحل يرعى الأماكن البعيدة ذات الغِيَاض[٤] ، الأشْبَهُ : لا تتوعر عليها لتذليل الله لها إياها ، وهذا القول اختيار الزَّجَّاج؛ لأنه قال في قوله : ﴿سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾؛ أي قد ذَلَّلَها الله لك وسَهَّلَ عليك مَسالِكَها[٥] .

وقال قتادة : ذُلُلاً يعني مطيعة[٦] ، وهو اختيار ابن قتيبة؛ لأنه قال : منقادة بالتَّسْخِير[٧] ، وعلى هذا الذُّلُلُ من نعت النَّحل ، وحكى الفرَّاء القولين؛ فقال :

---

(١) ورد بلفظه بلا نسبة في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٤١ ، وهود الهواري ٢/ ٣٧٦ ، والثعلبي ٢/ ١٥٩ب ، والقرطبي ١٠/ ١٣٥ ، وأبي حيان ٥/ ٥١٢ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (ذل) ٢/ ١٢٩٠ ، والمحيط في اللغة ١٠/ ٥٧ ، ومجمل اللغة ١/ ٣٥٤ ، والصحاح ٤/ ١٧٠١ .

(٣) تفسير مجاهد ١/ ٣٤٩ ، بنصه ، وأخرجه الطبري ١٤/ ١٤٠ بنصه من طريقين ، ورد في تفسير هود الهواري ٢/ ٣٧٧ ، بنصه ، والثعلبي ٢/ ١٥٩ب ، بنصه ، وتفسير الماوردي ٣/ ١٩٩ ، بنصه ، والطوسي ٦/ ٤٠٤ ، بنحوه ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٢٩ ، وابن عطية ٨/ ٤٦٢ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٦٦ ، والدر المنثور ٤/ ٢٣٠ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤) جمع غَيْضَة : وهي الأجمة؛ وهي مَغِيضُ ماء يجتمع فينبت فيه الشجر . انظر : الصحاح (غيض) ٣/ ١٠٩٧ ، واللسان ٦/ ٣٣٢٧ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢١٠ ، بنصه .

(٦) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٢/ ٣٥٧ بلفظه ، والطبري ١٤/ ١٤٠ بلفظه من طريقين ، وورد بلفظه في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٩ب ، وتفسير الماوردي ٣/ ١٩٩ ، والطوسي ٦/ ٤٠٤ ، وانظر : تفسير أبي حيان ٥/ ٥١٢ ، والدر المنثور ٤/ ٢٣٠ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر .

(٧) الغريب لابن قتيبة ٢٤٦ ، بنصه .

ذُلُلاً نعتُ للسبيل ، ويقال : نعت للنحل؛ أي ذُلِّلَت لأن يخرج الشراب من بطنها[١] .

وقوله تعالى : ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا﴾ رجوع من الخطاب إلى الخبر ، ﴿شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾ . قال ابن عباس : منه أحمر وأبيض وأصفر[٢] .

قال أبو إسحاق : هي تأكل الحامضَ والمُرَّ وما لا يُوصفُ طعمُهُ فيحيل اللهُ ذلك عَسَلاً يخرج من بطونها ، إلا أنها تلقيه من أفواهها ، كالريق الذي يخرج من فم ابن آدم[٣] .

قوله تعالى : ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ أكثرُ المفسرين على أن الكناية تعود إلى قوله : ﴿شَرَابٌ﴾ ، وهو العسل ، وقالوا : إن في العسل شفاء للناس[٤] ، فإن قيل : قد رأينا من يَضُرُّه العسل ، فكيف يكون فيه شفاء للناس؟! أجاب عن هذا الزَّجَّاج ، وقال : الماء حياة كل شيء ، وقد رأينا من يقتله الماء إذا أخذه على ما يُضَادُّه من علة في البدن[٥] ، وهذا معنى قول السدي : فيه شفاء للأوجاع التي شفاؤها فيه[٦] .

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٠٩ ، بتصرف يسير ، وكذلك النحاس ذكر القولين في معانيه ٤/ ٨٤ ، بنحوه ، وأورد الطبري الروايات على القولين ، ثم قال : وكلا القولين غير بعيد من الصواب . . . غير أنا اخترنا أن يكون نعتاً للسُّبل؛ لأنها إليها أقرب . تفسير الطبري ١٤/ ١٤٠ .

(٢) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٦٦ ، وتنوير المقباس ٢٨٨ ، وورد بلفظه بلا نسبة في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٤ب ، والسمرقندي ٢/ ٢٤١ ، والثعلبي ٢/ ١٥٩ب ، والطوسي ٦/ ٤٠٤ ، والبغوي ٥/ ٢٩ ، وابن العربي ٣/ ١١٥٧ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٧٢ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٣٥ ، وابن كثير ٢/ ٦٣٤ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢١٠ ، بتصرف يسير .

(٤) ورد بنحوه في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٤ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ٨٥ ، والثعلبي ٢/ ١٥٩ب ، وتفسير الماوردي ٣/ ٢٠٠ ، والطوسي ٦/ ٤٠٤ ، وانظر : تفسير ابن عطية ٨/ ٤٦٣ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٦٦ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٣٦ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢١١ ، بنصه ، لكنه في المصدر قال : «ما يصادف من علة» .

(٦) ورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٤٢ ، بنصه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٦٧ .

وروي عن مجاهد : ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾؛ أي في القرآن[١] .

قال أبو [إسحاق][٢] وهذا القول إذا فُسِّرَ عُلم أنه حَسَنٌ ، المعنى في ما قصصنا عليكم من قصة النحل في القرآن وسائر القصص التي تدل على أن الله واحدٌ ، شفاء للناس[٣] ، وعلى هذا كون القرآن شفاء؛ أن فيه بيان الحلال والحرام ، والدليل على وحدانية الله تعالى ، ونفياً لما يتخالج ويعترض من الشكوك ، يدل على هذا قوله تعالى [في][٤] وصفه القرآن : ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس :٥٧] .

[وقال ابن مسعود : العسل فيه شفاء من كل داء ، والقرآن شفاء لما في الصدور[٥]][٦] ، وذكر الفرَّاء والزَّجَّاج القولين جميعاً[٧] .

---

(١) أخرجه الطبري ١٤/ ١٤٠ بلفظه ، وورد بلفظه في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٤٢ ، والثعلبي ٢/ ١٥٩ب ، والماوردي ٣/ ١٩٩ ، والطوسي ٦/ ٤٠٤ ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٢٩ ، وابن العربي ٣/ ١١٥٧ ، واستبعده ، وقال : ولو صح نقلاً لم يصح عقلاً ، وذكره أيضاً ابن عطية ٨/ ٤٦٣ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٦٧ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٧٣ ، وضعَّفه . لا خلاف أن القرآن شفاء بنص آية الإسراء [٨٢] ، لكن السياق هنا لا يساعد على حمل الشفاء على القرآن ، بل هو محمول على العسل .

(٢) في (أ) و(ش) و(د) بياض مكان (إسحاق) ، وفي (ع) : (علي) ، والصحيح المثبت؛ لوروده في معاني القرآن وإعرابه بنصه .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢١١ ، بنصه .

(٤) إضافة يقتضيها السياق .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) و(د) .

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١٢٧) ، بنصه ، والطبري ١٤/ ١٤١ ، بنصه ، والثعلبي ٢/ ١٥٩ب ، بنصه ، وورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٤٢ ، بنصه ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٢٩ ، والخازن ٣/ ١٢٤ .

(٧) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٠٩ ، بنصه ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢١١ ، بنصه .

واختار قوم القول الأول ، وقالوا : إنه أليق بظاهر الكتاب[١] ، واحتجوا بما أخبرناه أبو إسحاق بن أبي منصور المقرئ[٢] أنا عبدالله بن حامد[٣] ، أنا مكي بن عبدان[٤] ، أنا عبدالرحمن بن بشر[٥] ، أنا يحيى بن سعيد[٦] ، عن شعبة عن قتادة عن أبي المتوكل[٧] ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : إن أخي يشتكي بطنه فقال : «اسقه عسلاً» فذهب ثم رجع فقال : قد سقيته فلم يغن عنه شيئاً ، فقال عليه السلام : «اذهب واسقه عسلاً ، فقد صدق

---

(١) منهم : الطبري ١٤/ ١٤١ ، وقال : لأن قوله : ﴿فِيهِ﴾ في سياق الخبر عن العسل ، فأن تكون الهاء من ذكر العسل ، إذ كانت في سياق الخبر عنه أولى من غيره ، واختاره الثعلبي ٢/ ١٥٩ب ، بنصه ، ورجحه البغوي ٥/ ٢٩ ، وابن العربي ٣/ ١١٥٩ ، والرازي ٢٠/ ٧٣ ، وابن كثير ٢/ ٦٣٤ ، وغيرهم ، وذكروا نحو قول ابن جرير .

(٢) هو الثعلبي ، وقد تقدمت ترجمته ضمن شيوخه .

(٣) عبدالله بن حامد بن محمد ، أبو محمد النيسابوري ، الواعظ الفقيه الشافعي ، ولد في نيسابور ، وتفقه على أبي محمد علي البيهقي ، سمع مكي بن عبدان ، ورحل إلى أبي علي بن أبي هريرة ، روى عنه أبو عبدالله الحاكم ، توفي سنة ٣٨٩هـ ، وعاش ٨٣ سنة . انظر : طبقات الشافعية للسبكي ٣/ ٣٠٦ ، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢٧/ ١٨٢ .

(٤) أبو حاتم مكي بن عبدان التميمي النيسابوري ، ثقة مأمون مقدم على أقرانه ، سمع عبدالله بن هاشم ومحمد بن يحيى الذُّهلي ، مات سنة ٣٠٥هـ . انظر : تاريخ بغداد ١٣/ ١١٩ ، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٧٠ ، وشذرات الذهب ٢/ ٣٠٧ .

(٥) عبدالرحمن بن بشر بن الحكم النيسابوري ، أبو محمد ، محدث حافظ ثقة ، روى عن سفيان بن عيينة ، ويحيى بن سعيد ، وعنه : البخاري ومسلم ، مات سنة ٢٦٠هـ . انظر : الجرح والتعديل ٥/ ٢١٥ ، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٤٠ ، وتهذيب التهذيب ٣/ ٤٩٠ .

(٦) يحيى بن سعيد بن أبَان بن سعيد بن العاص ، إمام محدث ثقة ، روى عن الأعمش وسفيان الثوري ، وروى عنه : أحمد بن حنبل وعبدالرحمن بن مهدي ، مات سنة ١٩٤هـ .
انظر : الجرح والتعديل ٩/ ١٥٠ ، وسير أعلام النبلاء ٩/ ١٣٩ ، وتذكرة الحفاظ ١/ ٣٢٥ ، وتقريب التهذيب ٥٩٠ (٧٥٥٤) .

(٧) علي بن داود ، أبو المتوكل النَّاجي البصري ، مشهور بكنيته ، ثقة ، حدَّث عن أبي سعيد وأبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهما ، وعنه : قتادة وحُميد الطويل ، مات سنة ١٠٢هـ . انظر : التاريخ الكبير ٦/ ٢٧٣ ، والجرح والتعديل ٦/ ١٨٤ ، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٨ ، وتقريب التهذيب ٤٠١ ، ٤٧٣١ .

الله وكذب بطنُ أخيك ، وسقاه فبرأ كأنما أُنْشِط من عقال»[١] ، وتأوَّلُوا في قوله : «صدق الله» قوله تعالى : ﴿ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ . قال ابن عباس : يريد في عظمة الله وقدرته[٢] .

٧٠. قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ﴾ الآية . قال المفسرون : ولم تكونوا شيئاً[٣] ، ﴿ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ﴾ عند انقضاء آجالكم ، ﴿ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ ﴾ وهو أَرْدَاه وأَوْضَعه ، يقال : رَذُلَ الشيء يَرْذُلُ رَذَالَةً ، وأَرْذَلَه غيره[٤] ، ومنه قوله : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا ﴾ [هود :٢٧] ، ﴿ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴾ [الشعراء :١١١] . روى أسباط عن السُّدِّي : ﴿ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ ﴾ قال : الخرف[٥] ، ونحوه قوله : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ [التين :٥] ، ونظير هذه

---

(١) أخرجه بنحوه عبدالرزاق ٢/ ٣٥٨ ، عن قتادة مرسلاً ، وأحمد ٣/ ١٩ ، والبخاري ٥٦٨٤ : الطب ، الدواء بالعسل ، ومسلم ٢٢١٧ في السلام ، باب : التداوي بسقي العسل ، والترمذي ٢٠٨٣ : الطب ، ما جاء في التداوي بالعسل ، والطبري ١٤/ ١٤١ من طريقين عن قتادة مرسلاً ، والحاكم : الطب/ العسل لشفاء المعدة ، والبيهقي ٩/ ٣٤٤ ، والثعلبي ٢/ ١٥٩ب ، بنصه وإسناده ، والبغوي : ٥/ ٢٩ـ٣٠ ، بنحوه ، وورد بنحوه في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٤١ ، وهود الهواري ٢/ ٣٧٨ ، والماوردي ٣/ ٢٠٠ ، ومشكاة المصابيح ٤٥٢١ ، والرازي ٢٠/ ٧٣ ، والخازن ٣/ ١٢٤ ، والدر المنثور ٤/ ٢٣١ ، وزاد نسبته إلى ابن مردويه .

(٢) ورد في تفسيره الوسيط ٢/ ٤١٩ ، بنصه بلا نسبة ، وبنحوه غير منسوب في تفسير ابن كثير ٢/ ٦٣٥ .

(٣) ورد في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٤ب ، بنصه ، والطبري ١٤/ ١٤١ بنصه ، وانظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٧٧ ، والخازن ٣/ ١٢٥ .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (رذل) ٢/ ١٣٩٨ ، والمحيط في اللغة ١٠/ ٧١ ، والصحاح ٤/ ١٧٠٨ ، واللسان ٣/ ١٦٣٣ .

(٥) انظر : تفسير الرازي ٢٠/ ٧٧ ، والدر المنثور ٤/ ٢٣٢ ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، وتصحفت الكلمة فيه إلى (الخوف) .

الآية لفظاً ومعنى في الحج[١] ، وقال مقاتل : ﴿ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ ﴾ الهرم[٢] ، وقال قتادة : تسعون سنة[٣] ، روي عن علي رضي الله عنه قال : ﴿ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ ﴾ خمس وسبعون سنة[٤] .

قوله تعالى : ﴿ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾؛ أي ليرجع إلى حال الطفولية بنسيان ما كان علم؛ للكِبَر ، قال ابن عباس : كي يصير كالصبي الذي لا عقل له[٥] .

وقال أبو إسحاق : معنى قوله : ﴿ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾؛ أي ليريكم من قدرته أنه كما قدَّر إماتته وإحياءَه ، إنه على نقله من العلم إلى الجهل قادر[٦] .

قال عطاء عن ابن عباس : ليس هذا في المسلمين ، والمسلم لا يزداد في طول العمر والبقاء عند الله إلا كرامة وعقلاً ومعرفة[٧] ، وقال في قوله : ﴿ ثُمَّ

---

(١) آية : [٥] وهي : ﴿ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾ .

(٢) تفسير مقاتل ١/ ٢٠٤ب ، بلفظه

(٣) في النسخ جميعها : (تسعون) ، وكذلك في تفسير الثعلبي ٧/ ١٩٩أ ، نسخة المحمودية ، لكن في نسخة الحرم النبوي ٢/ ١٥٩ب ، ذكرت أنها سبعون سنة ، والصحيح الأول كما دلت عليه المصادر الأخرى ، انظر : تفسير البغوي ٥/ ٣٠ ، والزمخشري ٢/ ٣٣٦ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٦٧ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٧٧ ، والخازن ٣/ ١٢٥ ، وأبي حيان ٥/ ٥١٤ .

(٤) أخرجه الطبري ١٤/ ١٤١ بنصه ، وورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٥٩ب ، بنصه ، وتفسير الماوردي ٣/ ٢٠٠ ، بنصه ، والطوسي ٦/ ٤٠٥ بنصه ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٣٠ ، والزمخشري ٢/ ٣٣٦ ، وابن عطية ٨/ ٤٦٤ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٦٧ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٧٧ ، والخازن ٣/ ١٢٥ ، وأبي حيان ٥/ ٥١٤ ، وابن كثير ٢/ ٦٣٥ ، والدر المنثور ٥/ ٢٣٢ ، وما ذكره علي ـ رضي الله عنه ـ هو الأغلب ، والأمر يختلف من إنسان لآخر؛ فمنهم من يرد إلى أرذل العمر قبل ذلك ، ومنهم من يتعدى ذلك وهو بكامل قواه العقلية مثل العلماء . انظر : تفسير ابن عطية ٨/ ٤٦٤ ، وأبي حيان ٥/ ٥١٤ .

(٥) انظر : تفسير القرطبي ١٠/ ١٤٠ ، بنصه ، والخازن ٣/ ١٢٥ ، بنصه ، وورد في تفسير هود الهواري ٢/ ٣٧٨ ، بنحوه بلا نسبة .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢١١ ، بنصه .

(٧) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٦٨ ، بنصه ، والخازن ٣/ ١٢٥ ، بنصه ، والفخر الرازي ٢٠/ ٧٧ ، بلا نسبة .

رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ [التين :٥] يريد الكافر ، ثم استثنى المؤمنين فقال : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[١] [التين :٦] .

ونحو هذا روى عاصم[٢] عن عكرمة ، قال : من قرأ القرآن لم يُردَّ إلى أرذل العمر حتى لا يعلم بعد علم شيئاً[٣] ، وقال في قوله : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ : قرؤوا القرآن[٤] .

---

(١) الاستدلال بهذه الآية فيه نظر؛ فقد اختلف السلف في تأويلها وفي المراد بقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ ، فقال ابن عباس وعكرمة وقتادة والضحاك والنخعي : معناه الهرم والخرف وذهاب العقل ، وهو اختيار ابن جرير ، واستحسنه ابن عطية ، وقال الحسن ومجاهد وقتادة وابن زيد وأبو العالية : معناه رددناه إلى النار ، وهو اختيار ابن كثير والسعدي والشنقيطي . انظر : تفسير الطبري ٣٠/ ٢٤٤ ، وابن عطية ١٥/ ٥٠٤ ، وابن كثير ٤/ ٥٥٩ ، والسعدي ١٥٩٩ ، والشنقيطي ١٠/ ٣٣٨ . والراجح القول الأول ، وهو رده إلى الهرم ، وعليه فيكون الاستثناء في قوله : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ منقطعاً ، ويكون المراد أن المؤمن وإن ردَّ إلى الهرم فإن أجر عمله الصالح لا ينقطع لعجزه ، بل يستمر على ما كان عليه قبل الهرم . أملاه عليَّ شيخي .

(٢) عاصم بن سليمان الأحول ، البصري الحافظ الثقة ، من أكبر شيوخه عبدالله بن سرجس ، وأنس ، وعمرو بن سلمة ، وروى عنه شعبة ويزيد بن هارون ، كان على قضاء المدائن ، وولي حسبة الكوفة ، مات سنة ١٤٢هـ . انظر : الجرح والتعديل ٦/ ٣٤٣ ، وميزان الاعتدال ٣/ ٦٤ ، والكاشف ١/ ٥١٩ ، ٢٥٠١ ، وتقريب التهذيب ٢٨٥ ، ٣٠٦٠ .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٦/ ١٢١ ، بنصه ، والطبري ١٤/ ١٤١ـ١٤٢ ، بنحوه ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٣٠ ، بنحوه ، وابن الجوزي ٤/ ٤٦٨ ، بنصه ، والفخر الرازي ٢٠/ ٧٧ ، بنصه ، والخازن ٣/ ١٢٥ ، بنصه ، وأبي حيان ٥/ ٥١٤ ، ونسبه إلى قتادة ، فلعله وَهِمَ في ذلك ، والدر المنثور ٤/ ٢٣٢ ، وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم .
وذكره الألوسي في روح المعاني ١٤/ ١٨٨ ، وهذا القول غير صحيح وواقع الناس على خلافه؛ فكم رد من المسلمين إلى أرذل العمر ، وقد يكونون من العلماء ، ومشهور بين علماء الحديث مصطلح اختلط بآخرة . وقد رده الألوسي قائلاً : والمشاهدة تكذب كلا القولين؛ أي عدم رد المسلمين ومن قرأ القرآن ، فكم رأينا مسلماً قارئاً القرآن قد رد إلى ذلك ، والاستدلال بالآية على خلافه فيه نظر ، وكان من دعائه ﷺ : «اللهم إني أعوذ بك من البخل ، وأعوذ بك من الجبن ، وأعوذ بك أن أُرد أرذل العمر» . رواه البخاري ٦٣٧٠ ، كتاب : الدعوات ، باب : التعوذ من البخل .

(٤) انظر : تفسير الخازن ٣/ ١٢٥ ، بنصه .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ ﴾ قال ابن عباس : يريد بما صنع بأوليائه وأعدائه ، ﴿ قَدِيرٌ ﴾ : على ما يريد[١] .

٧١. قولـه تعـالى : ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ ﴾ : كَثَّر وقَلَّلَ ، وبَسَطَ وقَبَضَ ، ووَسَّعَ وضَيَّقَ ، ﴿ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ ﴾ في الرزق وأُعطوا الفَضْل ، ﴿ بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ ﴾ ، يقول : لا يردُّ المولى على ما ملكت يمينه مما رُزق شـيئاً حتى يكون المولى والمملوك في المال سواء .

قال أبو إسحاق أي قد فَضَّلَ اللهُ الـمُلَّاكَ على مماليكِهِم ، فجعلَ المملوك لا يقدر على مِلْكٍ من مَوْلَاه ، وأعلم أن المالكَ ليس يَرُدُّ على مملوكه من فضل ماله حتى يستوي حالهما في الملك[٢] ، وهذا مَثَلٌ ضربه اللهُ مثلاً للمشركين في تَصْيِيرِهم عباد الله شركاء له ، فقال : إذا لم يكن عبيدكم معكم سواء في الملك ، فكيف تجعلون عبيدي معي سواء؟! وقال صاحب النظم : معنى الفاء في قوله : ﴿ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ﴾ حتى[٣]؛ لأن التأويل : ﴿ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ ﴾ بجاعلي رزقهم لعبيدهم

---

(١) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٧٧ بنصه ، والخازن ٣/ ١٢٥ ، بنصه غير منسوب .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢١٢ ، بنصه تقريباً .

(٣) أشـار المرادي إلى أن الفاء قد تأتي بمعنـى (حتى) عند بعض النحويين ، كـما في قوله : ﴿ فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ﴾ [الأنعام :١٣٩] لكنه ضعف هذا القول ، وعدَّ الفاء هنا عاطفة . الجنى الداني ٧٧ ، وهذا القـول الذي ذكره صاحب النظم قول جيد ، وقد انفرد بـه ، فلم أجده في كتب إعراب القرآن ، وقد ذكر المنتجب في الفريد في إعراب القرآن ٣/ ٢٣٩ ، عند قوله تعالى : ﴿ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ﴾ ثلاثة أقوال : أن الجملة من المبتدأ والخبر جملة اسمية واقعة في موضع جملة فعلية ، ومحلها النصب على جواب النفي بالفاء ، والتقدير : فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فيسـتووا مع عبيدهم ، أو على الحال على تقدير زيادة الفاء . أن محلها الرفع ، إما على الاستئناف؛ أي هم سواء في أني رزقت الجميع ، أو عـلى العطف على موضع برادي ، على تقدير : فما الذين فضلوا يردون رزقهم على ما ملكت أيمانهم فما يستوون . أنه على إضمار ألف الاستفهام؛ أي أفهم فيه سواء؟ على سبيل التوبيخ والتقريع ، ومعناه النفي؛ أي ليسوا مستوين فيه .

حتى يكون عبيدهم فيه معهم سواء في الملك ، فقوله : ﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ صفة لما تَقَدَّمه من الخبر لا جوابٌ له؛ ولو كان جواباً له لكان قد أوجب أن يكون المولى والعبيد في ذلك سواء ، وهو -عز وجل- إنما أراد أنهم لا يستوون في الملك ، ونظير هذه الآية قوله تعالى : ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ إلى قوله : ﴿فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ [الروم :٢٨] بمعنى : حتى أنتم فيه سواء إليَّ ، هل يشاركونكم في أموالكم حتى تكونوا أنتم وهم فيه سواء؟

وهذا الذي ذكرنا هو قول جميع المفسرين في هذه الآية؛ قال مجاهد : هذا مَثَلُ آلهة الباطل مع الله[١] .

وقال السدي : يقول : فكما لا يرد أحدهم على مملوكه مما رزقه الله حتى يكون مثله ، فلذلك لا أكون أنا وهذا الصنم الذي هو من خلقي ومما ملكت سواءً في ما خلقت[٢] .

وقال قتادة : يقول : هذا الذي فُضِّل في المال والولد لا يشرك عبدَه في ماله وزوجته ، يقول : قد رضيتَ بذلك لله ولم ترض به لنفسك ، فجعلت لله شريكاً في خلقه وملكه[٣] .

---

(١) تفسير مجاهد ٣٤٩ ، بنصه ، وأخرجه الطبري ١٤/ ١٤٣ ، بنصه ، وورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٤٢ ، بنحوه ، وانظر : تفسير ابن كثير ٢/ ٦٣٦ ، والدر المنثور ٤/ ٢٣٣ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٢/ ٣٥٨ ، بنصه ، والطبري ١٤/ ١٤٣ بنصه ، ومن طريق آخر بمعناه ، وورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٤٢ ، بنحوه ، وورد بمعناه في تفسير الجصاص ٣/ ١٨٥ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ٨٦ ، وتفسير الثعلبي ٢/ ١٥٩ب ، والطوسي ٦/ ٤٠٦ ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٣١ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٤١ ، والخازن ٣/ ١٢٦ ، وأبي حيان ٥/ ٥١٤ ، وابن كثير ٢/ ٦٣٦ ، والدر المنثور ٤/ ٢٣٣ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

وروي عن ابن عباس أنه قال : نزلت هذه الآية في نصارى نجران حين قالوا : عيسى ابن مريم ابن الله[١] .

قال الفرَّاء : فهذا مثل ضربه الله للذين قالوا : إن عيسى ابنه ، فقال : أنتم لا تُشركون عبيدكم في ما ملكتم ، فتكونون سواءً فيه ، فكيف جعلتم عَبْدَه شريكاً له تعالى[٢] ، وتلخيص معنى الآية ، أنه يقول : إنكم كلكم [من بني آدم وأنتم بينكم في ما ملكت أيمانكم ، وأنتم[٣] كلكم][٤] بشر ، فكيف تشركون بين الله وبين الأصنام وأنتم لا ترضون لأنفسكم في من هو مثلكم بالشركة .

وقوله تعالى : ﴿ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ قرأه العامة : يجحدون بالياء[٥]؛ لأنه يراد به غير المسلمين ، والمسلمون لا يخاطبون بجحدهم نعمة الله ، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر بالتاء[٦]؛ على تقدير : قل لهم : أفبنعمة الله -بهذه الأشياء التي تقدم اقتصاصها- تجحدون بالإشراك به .

---

(١) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٦٠أ ، بنصه بلا إسناد ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٦٨ ، بنصه ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٤١ ، بنصه ، وورد بلا نسبة في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٤٢ ، ولم أجده في أسباب النزول ، ولم يورده المؤلف في أسباب النزول ، كما أنه ورد من دون إسناد ، فلا يثبت .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١١٠ ، بنصه .

(٣) (أنتم) ساقطة من (ش) .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ع) ، وهو أشبه بكلام معترض ، ويستقيم الكلام من دونه ، بل من دونه أوضح .

(٥) انظر : السبعة ٣٧٤ ، إعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٥٨ ، وعلل القراءات ١/ ٣٠٨ ، والحجة للقراء ٥/ ٧٦ ، والمبسوط في القراءات ٢٢٥ ، وشرح الهداية ٢/ ٣٨١ ، والتيسير ١٣٨ .

(٦) انظر : المصادر السابقة .

وذكر الزَّجَّاج في هـذا وجهين؛ أحدهما : أفبِأنْ أَنْعَمَ اللهُ عليكم اتَّخَذْتُم النِّعَمَ لتجحدوا وتشركوا به الأصنام؛ فعلى هذا النعمة بمعنى الإنعام .

والثاني : قال أفبما أنعم الله به عليكم بأن بَيَّنَ لكم ما تحتاجون إليه تجحدون[١] ، وعلى هذا ، النِّعْمَة : اسم لما أَنعمَ اللهُ عليهم لا مصدر ، والباء في : ﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ﴾ يجوز أن تكون زيادة[٢]؛ لأن الجحود لا يُعدَّى بالباء ، وهذا قول المفضَّل كما يقول : خذ الخطام وبالخطام ، وتعلقت زيداً وبه[٣] ، ويجوز أن يراد بالجحود : الكفر[٤] ، فعُدِّيَ بالباء لمعنى الكفر[٥] .

٧٢. قوله تعالى : ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ . قال المفسرون : يعني النساء؛ خَلَقَ حواءَ من ضلع آدم[٦] ، ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢١٢ ، بنصه .

(٢) انظر : التعليق على دعوى الزيادة في القرآن ، عند آية [١٠] من سورة إبراهيم .

(٣) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٨٠ ، بنصه بلا نسبة .

(٤) ورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٤٢ ، بنحوه ، وانظر : تفسير البغوي ٣/ ٧٧ ، وتفسير البيضاوي ٣/ ١٨٧ ، وأبي السعود ٥/ ١٢٧ .

(٥) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٨٠ ، بنصه من دون عزو للواحدي .

(٦) ورد في تفسير الطبري ١٤/ ١٤٣ ، بنصه ، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ٨٧ ، بنصه ، وتفسير الثعلبي ٢/ ١٦٠أ ، بنصه ، وتفسير الماوردي ٣/ ٢٠٢ ، بنصه ، وانظر : تفسير البغوي ٣/ ٧٧ ، والزمخشري ٢/ ٣٣٦ ، وابن عطية ٨/ ٤٦٦ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٨٠ ، وقد ذهب ابن عطية إلى أن الأظهر من قوله : ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾؛ أي من نوعكم وعلى خلقتكم ، كما قال : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة :١٢٨] ، وكذلك ضعف الفخر الرازي هذا القول ، وقال : وهذا ضعيف؛ لأن قوله : ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ خطاب مع الكل ، فتخصيصه بآدم وحواء خلاف الدليل ، بل الحكم عام في جميع الذكور والإناث ، والمعنى : أنه تعالى خلق النساء ليتزوج بهن الذكور ، ومعنى : ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ مثل قوله : ﴿فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة :٥٤] وقوله : ﴿فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور :٦١]؛ أي بعضكم على بعض ، ونظير هذه الآية ، قوله تعالى : ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [الروم :٢١] . انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٦٩ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٨٠ ، وابن كثير ٢/ ٥٩٩ .

وَحَفَدَةً ﴾ اختلفوا في تفسير الحفدة ، فقال ابن عباس في رواية الوالبي : هم الأَختانُ[١] ، وهو قول ابن مسعود وإبراهيم وسعيد بن جبير ، قالوا : هم الأصهار؛ أَخْتَان [الرجل][٢] على بناته[٣] ، وقال في رواية

(١) أخرجه الطبري ١٤/ ١٤٤ بنصه من طريق عكرمة ، (جيدة) ، وأخرج عنه من طريق ابن أبي طلحة ، (صحيحة) بلفظ : الأصهار ، وورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٦٠أ ، بنصه ، وانظر : فتح الباري ٨/ ٢٣٨ ، والأختان : جمع خَتَن ، وهو زوج فتاة القوم ومن كان من قِبَله من رجل أو امرأة ، فهم كلهم أختانٌ لأهل المرأة ، وأم المرأة وأبوها خَتَنَان للزَّوْج ، وقال الأصمعي : الأحماءُ من قِبَل الزوج ، والأختان من قبل المرأة ، والصهر يجمعهما ، وقيل : الختنُ : الزوج ومن كان من ذوي رَحِمه ، والصِّهرُ : من كان من قِبَل المرأة؛ نحو أبيها وعمِّها وخالها ، وقيل العكس ، ومن العرب من يجعلهم كلهم أصهاراً . انظر : تهذيب اللغة (ختن) ٢/ ١١٠٢ ، والمحيط في اللغة ٤/ ٣١٢ ، والصحاح ٥/ ٢١٠٧ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ٨٨ .

(٢) ما بين المعقوفين زيادة يقتضيها السياق ، وهي ثابتة في تفسير الثعلبي .

(٣) ورد في غريب الحديث ٢/ ٩٦ ، عن ابن مسعود : الأصهار ، وأخرجه الطبري ١٤/ ١٤٣ـ١٤٤ من طرق عنهم قالوا : الأختان ، وعن ابن مسعود : الأصهار ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٨٨ ، عن ابن مسعود قال : الأختان ، وورد عنه وعن النخعي : الأصهار ، وتفسير هود الهواري ٢/ ٣٧٩ ، عن ابن مسعود : الأختان ، والجصاص ٣/ ١٨٦ ، عنهم : الأختان ، والسمرقندي ٢/ ٢٤٢ ، عن ابن مسعود : الأختان ، وعنه : الأصهار ، والثعلبي ٢/ ١٦٠أ ، بنصه عنهم ، وتفسير الماوردي ٣/ ٢٠٢ ، بنصه عنهم ، والطوسي ٦/ ٤٠٧ ، بنحوه عنهم ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٣١ ، بنصه عن ابن مسعود والنخعي ، وابن الجوزي ٤/ ٤٦٩ ، عنهم ، قال البغوي : فيكون معنى الآية على هذا القول : وجعل لكم من أزواجكم بنين وبنات تزوجونهم فيحصل بسببهم الأختان والأصهار ، وفتح الباري ٨/ ٢٣٨ ، عنهم .

أبي حمزة[١] عنه : من أعانك فقد حفدك؛ أما سمعت قول الشاعر[٢] :

حَفَدَ الوَلائِدُ حَوْلَهُنَّ وأُسلَمتْ بأكُفِّهِنَّ أَزِمَّةُ الأجْمَالِ[٣][٤]

فعلى هذا الحفدة : الأعوان ، وهذا قول مجاهد والحسن والسدي وعكرمة ، قالوا : هم الأنصار والأعوان والخدم[٥] ، غير أن السدي وعكرمة قالا : هم ولده

---

(١) أبو حمزة السكري ، هو محمد بن ميمون المَرْوزي ، إمام مشهور ، ثقة فاضل ، روى عن الأعمش والسدي ، وروى عنه : عبدان ونعيم بن حماد ، لقب بالسكري لحلاوة منطقه ، توفي سنة ١٦٧هـ . انظر : الجرح والتعديل ٨/ ٨١ ، وميزان الاعتدال ٥/ ١٧٨ ، والكاشف ٢/ ٢٢٦ ، وتقريب التهذيب ٥١٠ ، وتفسير الطبري ، تحقيق شاكر ٢/ ٣٧٢ .

(٢) نسبه أبو عبيد إلى الأخطل ، وليس في ديوانه ، ونسبه أبو عبيدة إلى جميل ، وهو جميل بثينة ، وليس في ديوانه ، ونسبه الطبري إلى حميد .

(٣) ورد في : غريب الحديث لأبي عبيد ٢/ ٩٦ ، ومجاز القرآن ١/ ٣٦٤ ، وتفسير الطبري ١٤/ ١٤٤ ، ونسب إلى جميل كذلك في تفسير الماوردي ٣/ ٢٠٢ ، وتفسير ابن عطية ٨/ ٤٦٧ ، وابن كثير ٢/ ٦٣٦ ، وتفسير الألوسي ١٤/ ١٩٠ ، وورد بلا نسبة في العين ٣/ ١٨٥ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢١٣ ، وتفسير الطبري ١٤/ ١٤٤ ، وجمهرة اللغة ١/ ٥٠٤ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ٩٠ ، وتهذيب اللغة (حفد) ١/ ٨٦١ ، وتفسير الزمخشري ٢/ ٣٣٦ ، وابن العربي ٣/ ١١٦٣ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٤٣ ، وأبي حيان ٥/ ٥٠٠ ، واللسان (حفد) ٢/ ٩٢٣ وفي بعض المصادر برواية «بينهن» بدل «حولهن» . الولائد : الخدم ، مفردها : وليدة ، والبيت يصور ما يقوم به الولائد من خدمة وسعي ، ومن إمساكٍ بأزمَّة الأجمال .

(٤) أخرجه الطبري ١٤/ ١٤٤ ، بنصه ، ورد في تهذيب اللغة (حفد) ١/ ٨٦١ بنصه ما عدا عجز البيت ، والثعلبي ٢/ ١٦٠أ ، بنصه ، وانظر : تفسير القرطبي ١٠/ ١٤٣ ، واللسان (حفد) ٢/ ٩٢٣ ، والدر المنثور ٥/ ١٤٩ .

(٥) تفسير مجاهد ٣٤٩ بنصه ، وأخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٢/ ٣٥٨ ، عن الحسن : هم الخدم ، ورد في غريب الحديث ٣/ ٣٧٤ ، عن مجاهد : هم الخدم ، وأخرجه الطبري ١٤/ ١٤٥ بنصه عن مجاهد ، ومن طرق عن الحسن ومجاهد قالا : هم الخدم ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٨٩ ، عن الحسن : هم الخدم ، وتفسير الجصاص ٣/ ١٨٦ ، عن مجاهد : هم الخدم ، والسمرقندي ٢/ ٢٤٢ ، بنصه عن مجاهد ، والثعلبي ٢/ ١٦٠ ، عن عكرمة والحسن : هم الخدم ، وعن مجاهد : هم الأنصار والأعوان ، وتفسير الماوردي ٣/ ٢٠٢ ، عن الحسن : الأعوان ، وعن مجاهد : الخدم ، والطوسي ٦/ ٤٠٦ ، عن مجاهد : هم الخدم ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٣١ ، وابن عطية ٨/ ٤٦٧ ، وأبي حيان ٥/ ٥١٥ ، عن =

الذيـــن يعينونه[١] ، ونحوه قـــال قتادة وعطاء[٢] ، وقال في رواية ســـعيد بن جبير ومجاهد : إنهم ولد الولد[٣] ، وقال في رواية العوفي : هم بنو امرأة الرجل ، ليســـوا منه ، وهو قول ابن زيد والضحاك[٤] .

= مجاهد ، وابن كثير ٢/ ٦٣٦ ، عن مجاهد ، وقد استحســـن النحـــاس من قال أنهم الخدم ، ثم قال : إلا أنه يكون منقطعاً مما قبله عند أبي عبيد ـ لم أقف عليه ـ ويُنْوى به التقديمُ والتأخيرُ ، كأنه قال : وجعل لكم حَفَدةً ، أي خدَماً ، وجعل لكم مـــن أزواجكم بنين ، وجعل ابن الأنباري التقدير : وجعل لكم من أزواجكم بنين ، وجعل لكم حفدةً من غير الأزواج . تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٧٠ .

(١) أخرجه عبدالـــرزاق في مصنفه ٢/ ٣٥٨ ، بمعنـــاه ، والطـــبري ١٤/ ١٤٥ ، ١٤٦ ، من طرق بنصه وبمعناه عن عكرمة ، وعن السُّـــديِّ ، قال : الأعوان ، ورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٨٩ ، بمعناه عن عكرمة ، وتهذيب اللغة (حفد) ١/ ٨٦٢ ، بمعناه عن عكرمة ، وانظر : اللسان (حفد) ٢/ ٩٢٣ ، عن عكرمة .

(٢) أخرجـــه الطبري ١٤/ ١٤٥ ، بنحوه عن قتادة ، ورد في تفســـير الثعلبي ٢/ ١٦٠أ ، بنصه عن عطاء ، وبنحوه عن قتادة ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٣١ ، عنهما ، والخازن ٣/ ١٢٦ ، عن عطاء .

(٣) أخرجه الطبري ١٤/ ١٤٦ بنصه عن ســـعيد ، وعن مجاهد من طريقين قال : البنون ، ورد في تفســـير الثعلبـــي ٢/ ١٦٠أ ، بنصه من طريقهما ، وتفســـير الماوردي ٣/ ٢٠٢ بنصـــه ، والطوسي ٦/ ٤٠٦ ، بمعناه ، وانظر : تفســـير البغـــوي ٥/ ٣١ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٧٠ ، وتفســـير القرطبي ١٠/ ١٤٣ ، والخازن ٣/ ١٢٦ . وقـــد نصر ابن العربي هذا القول ، فقال : فالظاهـــر عندي من قوله : ﴿بَنِينَ﴾ : أولاد الرجل من صُلْبه ، ومن قولـــه : ﴿وَحَفَدَةً﴾ : أولاد ولده ، وليس في قوة اللفظ أكثر من هذا ، ويكون تقدير الآية : والله جعل لكم من أنفســـكم أزواجاً ، ومن أزواجكم بنين ، ومن البنين حفدة . تفسير ابن العربي ٣/ ١١٦٢ .

(٤) أخرجـــه الطـــبري ١٤/ ١٤٦ بنصـــه عن ابـــن عبـــاس ضعيفـــة ، وورد في تهذيب اللغـــة (حفد) ١/ ٨٦٢ ، بنحوه عن الضحـــاك ، والثعلبي ٢/ ١٦٠أ ، بنصه عن ابن عبـــاس ضعيفة ، وبنحوه عن ابن زيد ، وتفســـير المـــاوردي ٣/ ٢٠٢ ، بنحوه عـــن ابن عباس ، والطـــوسي ٦/ ٤٠٦ ، بنحوه عن ابن عباس ، وانظر : تفســـير البغوي ٥/ ٣١ ، عن ابن عباس ، وابن عطية ٨/ ٤٦٧ ، عن ابن عباس ، وابن الجوزي ٤/ ٤٧٠ ، عن ابن عباس والضحاك ، واللسان (حفد) ٢/ ٩٢٣ ، عن الضحاك ، وتفسير الخـــازن ٣/ ١٢٦ ، عن ابن عباس ، والدر المنثور ٤/ ٢٣٣ ـ ٢٣٤ ، وزاد نســـبته إلى ابن أبي حاتم عن ابن عباس .

وأصلُ الحَفَدَةِ من الحَفْد ، وهو : الخِفَّةُ في الخدمة والعمل ، يقال : حفد يَحْفِدُ حَفْداً وحَفُوداً وحَفَداناً إذا أسرع[١] ، ومنه الدعاء : «وإليك نسعى ونحفد»[٢] ، قال أبو عبيدة : الحَفَدُ : الأعوان ، يقال : حفدني ، وهو حافدي[٣] ، وأنشد لطرفة :

يَحْفِدون الضيفَ في أبياتِهِمْ كَرَماً ذلك منهم غيرَ ذُلِّ[٤]

قال أبو عبيد : وفيه لغة أخرى؛ أَحْفَدَ إِحْفاداً ، وأنشد للراعي :

أَخَبَّ بِهِن الْمُخْلِفَان وأَحْفَدَا[٥]

---

(١) ورد في تفسير الطبري ١٤/ ١٤٧ ، بنحوه ، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ٩٠ ، بنحوه ، وانظر : تهذيب اللغة (حفد) ١/ ٨٦٢ ، والمحيط في اللغة ٣/ ٤٢ ، واللسان ٢/ ٩٢٣ ، والتاج (حفد) ٤/ ٤٢٣ .

(٢) هذا جزء من دعاء القنوت الذي ورد عن عمر ـرضي الله عنهـ موقوفاً عليه ، أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه : الدعاء/ ما يدعو به في قنوت الفجر ٦/ ٩١ من طرق عدة ، والبيهقي : الصلاة/ دعاء القنوت ٢/ ٢١٠ ، وورد في الأذكار للنووي ٩٦ ، وكنز العمال ٨/ ٧٤ـ٧٥ .

(٣) مجاز القرآن ١/ ٣٦٤ ، بنحوه .

(٤) ليس في ديوانه ، وورد في تفسير الماوردي ٣/ ٢٠٢ ، وورد غير منسوب في تفسير أبي حيان ٥/ ٥٠٠ ، والدر المصون ٧/ ٢٦٥ ، وتفسير الألوسي ١٤/ ١٩٠ .

(٥) وصدره :

مَزَايِدُ خَرْقَاءِ اليَدَيْن مُسِيْفَةٍ

شعر الراعي النميري ٦١ ، وورد في تهذيب اللغة (حفد) ١/ ٨٦١ ، (ساف) ٢/ ١٥٩٨ ، ومجمل اللغة ١/ ٤٨١ ، ومقاييس اللغة ٣/ ١٢٢ ، واللسان (حفد) ٢/ ٩٢٣ ، (سوف) ٤/ ٢١٥٣ ، (سيف) ٤/ ٢١٧٢ ، والتاج (حفد) ٤/ ٤٢٤ ، ويروى : (مزائدُ) ، وقياسها : مزاود؛ لأنها جمع مزادة : وهي وعاء الزاد وراوية يحمل فيها الماء ، (خرقاء) : بَيِّنَةُ الخرق ، وهو الجهل والحمق ، (مسيفة) : المُسِيفُ؛ المتقلِّد بالسيف ، وأساف الخرز؛ أي خرقه ، (أخب) : يقال : أخبَّ فلان في الأمر : أسرع فيه ، (المخلفان) : المُخْلِفُ : الذي لم تُصِبْ ماشيته الرَّبيعَ ، وقيل : هو الذي يحمل الماء العذب إلى القوم ليس معهم ماء عذب ، أو يكونون على ماء ملح ، ولا يكون الإخلاف إلا في الربيع ، وهو في غيره مستعار منه .

قال : خَدَمَا[١] ، قال الليث : ومثله الاحْتِفادُ[٢] ، فالحفدة جمع الحافد ، والحافد : كل من يخف في خدمة أو يسرع في العمل بطاعتك ، ويقال في جمعه : الحَفَدُ ، بغير هاء ، كما يقال : الرصد والعيب ، فمعنى الحفدة في اللغة : الأعوان والخدم ، ثم هؤلاء الأعوان مَنْ هم على ما ذكره المفسرون ، والأولى بأن يفسر بأعوان حصلوا للرجل [نْ قِبَل المرأة؛ لأن الله تعالى قال : ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ وأعوان الرجل لا][٣] من قِبَل امرأته لا يكونون ممن عناهم[٤] الله بقوله هاهنا : ﴿وَحَفَدَةً﴾[٥] .

قوله تعالى : ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ . قال ابن عباس : يريد من أنواع الثمار والحبوب والحيوان[٦] ، ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ . قال ابن عباس : يعني بالأصنام[٧] ، وقال مقاتل : يعني بالشيطان[٨] ، وقال عطاء : يعني[٩] تُصدِقوا أن لي شريكاً وصاحبة وولداً[١٠] ، ﴿وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ ، رُوي عن ابن عباس : أنه قال :

---

(١) غريب الحديث ٢/ ٩٦ ، بنصه تقريباً ، وانظر : تهذيب اللغة ١/ ٨٦١ ، بنصه تقريباً .

(٢) ورد في تهذيب اللغة (حفد) ١/ ٨٦١ ، وفيه ، «قال الليث : الاحْتفادُ : السُّرعةُ في كلِّ شيء» .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ش) و(ع) .

(٤) في (أ) و(د) : (عبادهم) ، والمثبت من (ش) و(ع) هو الصحيح .

(٥) اختلفت ترجيحات العلماء في المقصود بـ (حفدة) وقد ذكرتها مقترنة بالأقوال ، وهنا يرجح الواحدي ـ رحمه الله ـ نوعاً خاصّاً من الأعوان؛ هم مَنْ كانوا مِنْ قِبَل المرأة ، ولم يرتض الطبري تخصيص المقصود بالحفدة بأحد الأقوال الواردة؛ لأن المنَّة تحصل بكل ذلك ، لذلك قال : فكل الأقوال التي ذكرنا عمن ذكرنا وجه في الصحة ، ومَخْرج في التأويل ، وهو الصحيح . تفسير الطبري ١٤/ ١٤٧ .

(٦) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٧٠ ، بنصه ، وبلا نسبة في تفسير القرطبي ١٠/ ١٤٥ ، والخازن ٣/ ١٢٦ ، وأبي حيان ٥/ ٥١٥ ، وتفسير الألوسي ١٤/ ١٩١ .

(٧) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٦٠أ ، بلفظه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٧٠ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٨١ ، والقرطبي ١٠/ ١٤٥ .

(٨) تفسير مقاتل ١/ ٢٠٥أ ، بلفظه .

(٩) ساقطة من : (أ) و(ش) و(ع) .

(١٠) لم أقف عليه .

يعني التوحيد[١] ، وقيل : أراد بما أنعم الله عليهم مما أحل لهم يكفرون؛ فيحرمونه ويجحدون تحليله[٢] ، يعني ما حَرَّمُوا على أنفسهم من الأنعام والحرث ، وذكرنا وجهين في قوله : ﴿ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ ، والوجهان هاهنا جائزان .

٧٣. قوله تعالى : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ ، يعني الغيث الذي يأتي من جهتها ، ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ يعني النبات والثمار التي تخرج منها .

وقوله تعالى : ﴿مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ، (من) صفة النكرة التي هي : ﴿رِزْقًا﴾ كأنه قيل : لا يملك لهم رزقاً من الغيث والنبات .

وقوله تعالى : ﴿شَيْـًٔا﴾ . قال الأخفش : جعل الشيء بدلاً من الرزق ، وهو في معنى : لا يملكون رزقاً قليلاً ولا كثيراً[٣]؛ أي لا يملكون أن يرزقهم شيئاً من السموات والأرض ، وقال الفرَّاء : نصب ﴿شَيْـًٔا﴾ بوقوع الرزق عليه[٤] ، كما قال : ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ۝٢٥ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ [المرسلات :٢٥-٢٦]؛ أي تكْفِت الأحياء والأموات ، ومثله : ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾[٥] [البلد :١٤-١٥] .

---

(١) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٦٠أ ، بلفظه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٧٠ ، وورد بلفظه غير منسوب في تفسير البغوي ٣/ ٧٧ .

(٢) ورد في تفسير الطبري ١٤/ ١٤٧ ، بنحوه ، والثعلبي ٢/ ١٦٠أ ، بنحوه ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٣١ .

(٣) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٠٦ ، بنصه ، وأورده الطبري ١٤/ ١٤٨ بنصه .

(٤) أي أن ﴿شَيْـًٔا﴾ منصوبة بالمصدر ﴿رِزْقًا﴾ على أنه مفعول به .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١١٠ ، بنصه ، وأورده الطبري ١٤/ ١٤٨ بنصه ، والشاهد : أنه نصب ﴿يَتِيمًا﴾ بالمصدر ﴿إِطْعَٰمٌ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾؛ أي لا يقدرون على شيء ، وليست لهم استطاعة ، وجمع هاهنا؛ لأن (ما) في مذهب جمع لآلهتهم التي يعبدون ، فَوَحَّدَ ﴿ يَمْلِكُ ﴾ على لفظ (ما)[١] وجمع يستطيعون على المعنى[٢] .

٧٤. وقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ﴾ . قال المفسرون : يعني لا تُشَبِّهُوهُ بخلقه[٣] ، وقال الزَّجَّاج أي لا تجعلوا لله مِثْلاً؛ لأنه واحدٌ لا مِثْلَ له[٤] ، فعلى هذا ضَرْبُ المَثَل ، استُعْمِل في التَّشْبِيه؛ لأن أكثرَ ما يُضْرَب المَثَلُ إنما يُضْرَب لتشبيه وصف بوصف أو ذات بذات ، وتعالى الله عن أن يُشْبِهَ شيئاً أو يُشْبِهَهُ شيءٌ في ذاته وصفاته .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ﴾ . قال ابن عباس : يريد ما يكون قبل أن يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة[٥] ، ﴿ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ قَدْرَ عظمتي؛ حيث أشركتم بي وعَجَّزْتُمُوني أن أبعثَ خلقي .

٧٥. قوله تعالى : ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا ﴾؛ أي بَيَّنَ الله شِبْهاً فيه بيانٌ للمقصود ، ثم ذكر ذلك فقال : ﴿ عَبْدًا مَمْلُوكًا ﴾ إلى قوله : ﴿ سِرًّا وَجَهْرًا ﴾ . قال

---

(١) ساقطة من (أ) و(د) .

(٢) ورد في معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١١٠ بنصه ، وأغلب الظن أنه اقتبسه منه من دون عزو .

(٣) ورد بنحوه في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٥أ ، والطبري ١٤/ ١٤٨ ، وهود الهواري ٢/ ٣٧٩ ، والثعلبي ٢/ ١٦٠أ ، والطوسي ٦/ ٤٠٨ ، وانظر : تفسير البغوي ٣/ ٧٨ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٧١ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٨٢ ، والخازن ٣/ ١٢٦ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢١٣ ، بنصه .

(٥) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٤٢٢ ، بنصه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٧١ ، وورد عن بعض المفسرين قولٌ آخر في الآية ، لعله أكثر مناسبة للسياق ، قالوا : المعنى : والله يعلم ما يستحقه وما يليق به من وصف الكمال وأنتم لا تعلمون؛ لذلك تجعلون له أشباهاً وأمثالاً لا تليق به سبحانه . انظر : تفسير الطبري ١٤/ ١٤٨ ، والثعلبي ٢/ ١٦٠أ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٧١ .

مجاهد في هذه الآية والتي تليهـا : كل هذا مَثَلُ إله الحق وما يُدْعَى من دونه من الباطل[١] .

وقال السُّـدي : هذا مَثَلٌ ضربـه الله للآلهة؛ يقول : كما لا يسـتوي عندكم عبدمملـوك لا يقدر من أمره على شيء ورجل حُرٌّ قد رُزق رزقاً حسـناً فهو ينفق منه سرَّاً وجَهراً لا يخاف من أحد ، فكذلك أنا وهذه الآلهة التي تَدْعُون ، ليسـت تملكَ شيئاً وأنا الذي أملك وأرزق مَنْ شئت[٢] ، وهذا القول هو اختيار الفرَّاء[٣] ، والزَّجَّاج قال : بَيَّنَ اللهُ لهم أمرَ ضلالتهم وبعدهم عن الطريق في عبادتهم الأوثان ، فذكر أن المالك المقتدر على الإنفاق والعاجز الذي لا يقدر أن ينفق لا يسـتويان ، فكيف يُسَـوَّى بين الحجارة التي لا تتحرك ولا تعقل وبين الله الذي هو على كل شيء قدير ، وهو رازقُ جميع خلقه[٤] .

وفي الآية قـول آخر ، وهو : أن هذا مثل للمؤمـن والكافر ، قال عطاء عن ابن عباس : يريد أبا جهل بن هشام وأبا بكر الصديق[٥] ، وقال قتادة : هو الكافر

---

(١) ليس في تفسيره ، وأخرجه الطبري ١٤/ ١٥٠ بنصه من طريقين ، وانظر : تفسير ابن عطية ٨/ ٤٧٥ ، والدر المنثور ٤/ ٢٣٥ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٤٢٢ ، بنصه .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١١١ ، بمعناه .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢١٣ ، بتصرف يسير .

(٥) ورد في تفسـير الثعلبي ٢/ ١٦٠ب ، بنصه عن ابن جريج عن عطاء ضعيفة ، وانظر : تفسـير البغوي ٥/ ٣٣ ، وابن الجـوزي ٤/ ٤٧٢ ، وقد روي عن ابن عباس أنهما : هشـام بن عمرو ، ومولاه الذي كان ينهـاه ، انظر : معاني القرآن للنحاس ٤/ ٩٣ ، وتفسـير ابن الجـوزي ٤/ ٤٧٢ ، والدر المنثور : ٤/ ٢٣٥ـ٢٣٦ ، وعـزاه إلى ابن جرير ـروايته ليس فيها الشـاهدـ وابـن أبي حاتم وابن مردويه ، وابن مردويه وابن عسـاكر وليس لتخصص الآية بهـما داع ، بل الآية عامة ، وكفى بتضارب الأقوال المُـعَيِّنة دليلاً على عدم التعيين ، وقد أشـار الواحدي ـرحمه اللهـ إلى التعميم بقوله : المراد بقوله : ﴿عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾ ، وقولـه تعالى : ﴿وَمَن رَّزَقْنَـٰهُ مِنَّا﴾ ، الشُّـيوع في الجنس لا التخصيص ، وقد ردَّ الجصاص هذا التخصيص بأمرين : بضعف الحديث الـوارد ، وبظاهر اللفظ ، فقال : وظاهر اللفظ ينفيها؛ لأنه لو أراد عبداً بعينـه لعرَّفه ولم يذكره بلفظ منكور ، وأيضاً معلوم أن الخطاب في ذكر عبدة =

لا يعمل بطاعة الله ولا ينفق خيراً ، ﴿وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا﴾ هو المؤمن يطيع الله في نفسه وماله[١] ، فعلى هذا القول : الكافر لما لم ينفق في طاعة الله صار كالعبد الذي لا يملك شيئاً ، والمؤمن ينفق في الخير وفي طاعة الله ، فليسا يستويان ، كذلك قال الله تعالى : ﴿هَلْ يَسْتَوُۥنَ﴾ وجمع الفعل؛ لأن المراد بقوله : ﴿عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾ ، وقوله تعالى : ﴿وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا﴾ ، الشُّيوع في الجنس لا التخصيص[٢] .

واختار ابن قتيبة القول الأول[٣] ، فقال : هذا مثل ضربه الله لنفسه ولمن عُبد دُونَه ، فقوله : ﴿عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ مَثَلٌ من عُبِد مِن دونه؛ لأنه عاجزٌ مُدَبَّرٌ مملوكٌ لا يقدر على نفع ولا ضرٍّ ، ثم قال : ﴿وَمَن رَّزَقْنَٰهُ﴾ إلى قوله : ﴿وَجَهْرًا﴾ وهذا مَثَلُه جلَّ وعز؛ لأنه الواسع الجواد القادر الرَّزاق عباده جَهْراً من حيث يعلمون وسرَّاً من حيث لا يعلمون ، قال : وهذا القول أعجب إليَّ؛ لأن المَثَل توسَّط كلامين؛ هما لله جلَّ وعز؛ أما الأول فقوله : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾

= الأوثان والاحتجاج عليهم . . . إلخ . انظر : تفسيره ٣/ ١٨٧ وهو كلام نفيس في الردِّ على تخصيص هذا المثل والذي يليه ، وانظر : تفسير ابن عطية ٨/ ٤٧٦ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٨٤ ، وأبي حيان ٥/ ٥١٩ .

(١) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٢/ ٣٥٩ بنصه ، والطبري ١٤/ ١٥٠ـ١٥١ من طريقين بنصه وبنحوه ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٩٢ ، بمعناه ، وتفسير الطوسي ٦/ ٤٠٨ ، بمعناه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٧٢ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٤٧ ، والدر المنثور ٤/ ٢٣٤ـ٢٣٥ ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم . والغريب أن لابن عباس قولاً مثله ـ حتى إن كثيراً من المفسرين نسبوا القول إليهما ، بل إن بعضهم اكتفى بنسبته إلى ابن عباس ـرضي الله عنهماـ ومع ذلك لم يذكره واكتفى بنسبته إلى قتادة .

(٢) قال الثعلبي : ﴿هَلْ يَسْتَوُۥنَ﴾ ، ولم يقل : هل يستويان؛ لمكان (مَنْ) لأنه اسم مبهم يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث . تفسير الثعلبي ٢/ ١٦٠ب .

(٣) وكذلك رجحه ابن عطية ٨/ ٤٧٦ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٨٤ ، وأبو حيان ٥/ ٥١٩ ، وابن القيم في الأمثال ٢٠٥ .

الآية . فهذا[١] لله ومن عُبِدَ من دونه ، (وأما الآخر فقوله)[٢] بعد انقضاء المثل : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٣] ، ومعنى قوله : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ هاهنا : أنه بَيَّنَ أن له الحمدَ على ما فعل بأوليائه ، وأنعم عليهم بالتوحيد ، هذا معنى قول ابن عباس[٤] .

وقال غيره : بَيَّنَ أن له جميعَ الحمد ، وأنه المستحق للحمد دون ما يعبدون من دونه؛ لأنه لا يَدَ للأصنام عندهم ، ولا نعمة لها عليهم[٥] ، ومعنى قوله : ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يقول : أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون أن الحمد لي؛ لأن جميع النعمة مني ، وذكر الأكثر وهو يريد الجميع .

قال أهل المعاني : عزل البعض احتقاراً له أن يُذْكَر ، وقال آخرون : هو من الخاص في صِيَغِهِ ، الذي هو عموم في معناه ، والمعنى : بل هم لا يعلمون[٦] ، ثم زاد في البيان ، فقال :

٧٦. ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ ﴾ قال أبو زيد : رجل أَبْكَم وهو العَيُّ المُفْحَمُ ، وقد بَكِمَ بَكَماً وبَكَامَةً ، وقال أيضاً : الأَبْكَمُ :

---

(١) في النسخ جميعها : (عهد الله) ، وهو تصحيف ، والتصويب من المصدر .

(٢) ما بين القوسين كتب على الهامش في نسخة (أ) .

(٣) تأويل مشكل القرآن ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، بتصرف واختصار ، وورد نحوه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٩٢ .

(٤) قال : الحمد لله على ما فعل بأوليائه وأنعم عليهم بالتوحيد . انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٨٥ ، بنصه ، وأبي حيان ٥/ ٥١٩ ، بنصه .

(٥) ورد في تفسير الطبري ١٤/ ١٤٩ ، بنحوه ، والثعلبي ٢/ ١٦٠ب ، بنحوه ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٣٣ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٧٣ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٨٥ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٤٨ ، والخازن ٣/ ١٢٧ .

(٦) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٧٣ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٤٨ ، وأبي حيان ٥/ ٥١٩ .

الأَقْطَعُ اللِّسَانِ؛ وهو العَيُّ بالجوابِ الذي لا يُحْسِنُ وَجْهَ الكَلَامِ[١]؛ لأنه لا يَفْهَم ولا يُفْهَم عنه .

وقوله تعالى : ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾؛ أي هذا الأبكم ثِقْلٌ وَوَبَالٌ على صاحبه وقرينه وابن عمه وَوَلِيِّه ، والكلُّ : الذي هو عِيالٌ وثِقْلٌ على صاحبه[٢] .

قال أهل المعاني : وأصله من الغِلَظ الذي هو نقيض الحدة ، يقال : كَلَّ السكينُ كلولاً ، إذا غَلُظَ شفرته فلم يقطع ، وكَلَّ لسانه إذا لم ينبعث في القول لِغِلَظه وذهاب حَدِّه ، وكَلَّ عن الأمر يَكَلُّ إذا ثقل عليه فلم ينبعث فيه ، فهو يَكَلُّ إذا لم ينفذ في الأمر[٣] .

وقوله تعالى : ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ﴾؛ أي أينما[٤] يرسله ، ومعنى التوجيه : أن ترسل صاحبك في وجه من الطريق ، يقال : وجهته إلى موضع كذا فتوَجَّه إليه[٥] .

وقوله تعالى : ﴿لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ لأنه عاجز لا يُحْسِن ولا يَفْهَم ما يُقَال له ولا يُفْهَم عنه ، ﴿هَلْ يَسْتَوِى هُوَ﴾؛ أي هذا الأبكم الذي هو بهذا الوصف ، ﴿وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾؛ أي ومن هو قادر تام التمييز متكلم ناطق بالحق ، آمرٌ بالعدل قادرٌ على الأمور مُصَرِّفٌ لها على أحسن الوجوه ، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ . قال ابن عباس : يريد على دين مستقيم[٦] .

---

(١) لم أجده في نوادره ، وورد في تهذيب اللغة (بكم) ١/ ٣٧٩ ، بنصه .

(٢) ورد في تهذيب اللغة (كل) ٤/ ٣١٧٦ ، بنصه .

(٣) ورد بنحوه في أدب الكاتب ٣٣٣ ، وتفسير الطوسي ٦/ ٤١٠ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٨٦ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٥٠ ، والخازن ٣/ ١٢٧ ، وانظر : المحيط في اللغة (كل) ٦/ ١٤١ ، ومجمل اللغة ٢/ ٧٦٥ ، والصحاح ٥/ ١٨١١ .

(٤) في النسخ جميعها : (إنما) ، والمثبت هو الصحيح .

(٥) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٨٦ ، بنصه تقريباً .

(٦) انظر : تفسير الخازن ٣/ ١٢٧ ، وأبي حيان ٥/ ٥١٩ ، بلا نسبة فيهما .

وللمفسريـــن في هذه الآية قولان كما ذكرنا في الآية الأولى ، فمن قال في المثل الأول أنـــه مَثَلُ الأوثان والله تعالى ، قال في هذه الآية أيضاً : إن هذا مَثَلٌ كالأول ، وهو قول مجاهد والسدي وقتادة[١] ، واختيار الفرَّاء[٢] والزَّجَّاج[٣] وابن قتيبة[٤] .

قال مجاهد : كل هذا مَثَلُ إله الحق وما يُدْعَى من دونه من الباطل[٥] .

وقال الســـدي : أما الأبكم فمِثْلُ الصنم؛ لأنـــه أَبْكَمُ لا ينطق ، وهو كَلٌّ على عابديه؛ يُنْفِقون عليه ولا يُنْفِق هو عليهم ولا يَرْزُقُهم ، ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ﴾ : الصنم من شرق أو غرب لا يـــأت بخير ، يقول : لا يرزقهم ولا ينفعهم ، ﴿هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ ، والـــذي يأمر بالعدل : الله تبارك وتعالى ، ونحو هذا قال قتادة[٦] .

وقال الزَّجَّاج : هل يســـتوي القادرُ التامُّ التمييزِ والعاجزُ الذي لا يُحْسِن ولا يأتي بخير ، فكيف تُسَوُّون بين الله -عز وجل- وبين الأحجار[٧] .

---

(١) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٢/ ٣٥٩ بمعناه عن قتادة ، والطبري ١٤/ ١٤٩ـ١٥٠ بنصه عن مجاهد من طريقين ، وبنحوه عن قتادة ، وورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٤٤ ، بنحوه عن السدي ، والثعلبي ٢/ ١٦٠ب بمعنـــاه عن مجاهد ، وتفســـير المـــاوردي ٣/ ٢٠٤ بمعناه ، وانظر : تفســـير ابن الجوزي ٤/ ٤٧٣ ، عن مجاهد وقتادة ، والفخر الرازي ٢٠/ ٨٧ ، وتفســـير القرطبي ١٠/ ١٤٩ ، عن مجاهد ، وأبي حيـــان ٥/ ٥١٩ ، عن قتادة ، وابن كثـــير ٢/ ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، عن مجاهد ، والدر المنثور ٤/ ٢٣٦ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر عن قتادة .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١١١ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢١٤ .

(٤) الغريب لابن قتيبة ١/ ٢٤٨ .

(٥) سبق توثيقه .

(٦) أخرجـــه الطبري ١٤/ ١٥٠ ، بنحوه عن قتـــادة ، والدر المنثـــور ٤/ ٢٣٥ـ٢٣٦ ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، بنحوه عن السدي .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢١٤ ، بنصه .

وقال ابن قتيبة : هذا مَثَلُ آلهتهم؛ لأنها بُكْمٌ صُمٌّ عُمْيٌ ، ثِقْلٌ على من عبدَها في خدمتها ، وهي لا تأتيه بخير[١] .

ثم قال : ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ، فجعل هذا المَثَلَ لنفسه ، وقال في قوله : ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ﴾ هذا مثل للصنم الذي عبدوه ، ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ﴾؛ لأنه يحمله إذا ظَعَن ، ويُحَوِّلَه من مكان إلى مكان إذا تحرك ، فقال الله تعالى : ﴿هَلْ يَسْتَوِي﴾ هذا الصنم الكَلُّ ﴿وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ ، وهو استفهام معناه التوبيخ ، كأنه قال : لا تُسَوُّوا بين الصنمِ الكَلِّ وبين الخالق عز وجل[٢] .

وقال آخرون : هذا مثل للمؤمن والكافر ، وهو قول ابن عباس في رواية عطية[٣] .

ثم اختلفوا في من نزل ، فروى يَعْلَى بن مُنْيَةَ[٤] عن ابن عباس : أنها نزلت في عثمان بن عفان ومولاه؛ كان عثمان -رضي الله عنه- ينفق عليه ويكفيه المؤونة ، وكان مولاه يكره الإسلام ، وينهاه عن الصدقة ويمنعه من النفقة[٥] .

---

(١) تأويل مشكل القرآن ٣٨٥ ، بنصه تقريباً .

(٢) ورد في تهذيب اللغة (كل) ٤/ ٣١٧٦ ، بنصه تقريباً .

(٣) أخرجه الطبري ١٤/ ١٥٠ ، بنحوه ضعيفة ، وورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٦٠ب ، بنصه ، وتفسير الماوردي ٣/ ٢٠٤ ، وانظر : تفسير البغوي ٥-٢٣-٣٤ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٧٣ ، وأبي حيان ٥/ ٥١٩ ، وابن كثير ٢/ ٦٣٧ .

(٤) يَعْلَى بن أُمَيَّة التميمي -رضي الله عنه- ينسب حيناً إلى أبيه وحيناً إلى أمه مُنْيَة ، وقيل : هي أم أبيه ، جزم بذلك الدار قطني ، أبو صفوان ، صحابي ، أسلم يوم الفتح وشهد حنيناً والطائف وتبوك ، شهد صفين مع علي رضي الله عنه ، مات سنة بضع وأربعين . انظر : الاستيعاب ٤/ ١٤٧ ، وأسد الغابة ٥/ ٥٢٣ ، والإصابة ٣/ ٦٦٨ ، (٩٣٥٨) ، وتقريب التهذيب ٦٠٩ ، (٧٨٣٩) .

(٥) أخرجه الطبري ١٤/ ١٥١ ، بنصه تقريباً ، ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٦٠ب ، بنصه ، وتفسير الماوردي ٣/ ٢٠٤ ، بمعناه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٧٣ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٨٧ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٤٩ ، وابن كثير ٢/ ٦٣٨ ، والدر المنثور ٤/ ٢٣٥-٢٣٦ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر .

وقال في رواية عطاء، الأبكم: أُبي بن خلف الجمحي، ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾، يريد: كَلٌّ على قومه، كان يؤذيهم ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ﴾، يريد أبي ابن خلف، ﴿وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾، يريد: حمزة وعثمان بن مظعون[١].

٧٧. قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾. قال أبو إسحاق: معناه: ولله عِلْمُ غيبِ السموات والأرض[٢]، وذكرنا الكلام في معنى غيب السموات والأرض في آخر آية من سورة [هود: ١٢٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ﴾: الوقت الذي تقوم فيه القيامة، سُمِّيت ساعة لأنها تفجأ الناس في ساعة، فيموت الخلق في صيحة[٣].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾. قال ابن الأعرابي: اللمح: النظر بسرعة[٤]، يقال: لمحه ببصره لمحاً ولمحاناً[٥]، أنشد الفرَّاء:

لمحان أقنى فوقَ طودٍ يافعٍ ... بعضَ العُدَاةِ دُجُنَّة وظلالَا[٦]

---

(١) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٦٠ب، بنصه مختصراً، وانظر: تفسير البغوي ٥/ ٣٣-٣٤، وابن الجوزي ٤/ ٤٧٣، والقرطبي ١٠/ ١٤٩، وهذا كالمسَئَل الأول؛ لا دليل صحيح على تخصيصه بأحد بعينه، وحسبك تضارب الروايات لرده، والصحيح حمل الآية على العموم. انظر: التعليق على آية [٧٥]، وتفسير أبي حيان ٥/ ٥٢٠، وتفسير الألوسي ١٤/ ١٩٧.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢١٤، بنصه.

(٣) انظر: تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٨٨، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٥٠، بنصه غير منسوب.

(٤) ورد في (لمح) ٥/ ٩٨، بمعناه.

(٥) اللَّمْحُ: هو النظر الخاطف كرجوع الطَّرْف، يُشَبَّه بلَمَعَان البرق، يقال: لَمَح البرقُ والنجْمُ؛ أي لمع، ويقال: لمحه ببصره وألْمَحه، والاسم: اللَّمْحَةُ. انظر: العين (لمح) ٣/ ٢٤٣، وتهذيب اللغة ٤/ ٣٢٩٦، والمحيط في اللغة ٣/ ١١٦، والصحاح ١/ ٤٠٢.

(٦) لم أقف عليه. أقنى: برز، الطَّوْدُ: الجبل العظيم، يافع: هو التَّلُّ المُشرِفُ، وقيل: ما ارتفع من الأرض، الدُّجُنَّةُ: الظَّلْمَاءُ.

قال ابن عباس في قولـه : ﴿ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ ، يريد : القيامة ، ﴿إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ ﴾ ، يريد : النظر .

وقال قتادة : هو أن يقول : كن ، فهو ﴿ كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ ﴾[١] .

وقال السـدي : هو كلمح العين من السرعـة ، ﴿ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ : من ذلك إذا أردناه[٢] ، وشرح أبو إسـحاق معنى هذا ، فقال : السـاعةُ اسم لإِمَاتَةِ الخَلق وإِحْيائِهم ، أعلم الله تعالى أنَّ البَعْثَ والإِحْيَاءَ في قدرته ومشيئته ، ﴿كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ ، ليس يريد أنَّ السَّـاعةَ تأتي في أقربَ من لمح البصر ، ولكنه يصف سرعةَ القدرةِ على الإتيان بها[٣] ، ومعنى (أو) في قوله : ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ أن أمرها يكون على إحـدى منزلتين : إما لمـح البصر ، وإما أقرب ، فأدخل (أو) لِشَـكِّ المخاطـب؛ أي كونـوا في تقدير سرعة كونها على هذا الشـك ، وهذا معنى قول قطرب : أراد أن يطويه عنَّا[٤] ، وقيل : إنَّ (أو) هاهنا بمنزلة بل[٥] .

---

(١) أخرجـه عبدالرزاق في مصنفه ٢/ ٣٥٩ ، بنصه ، والطبري ١٤/ ١٥١ ، بنصه ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٩٥ ، بنصه ، وأورده السـيوطي في الدر المنثور ٢٣٦ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٤٢٤ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢١٤ ، بنصه .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) بذلك فسرها مقاتل ١/ ٢٠٥ب ، والسـمرقندي ٢/ ٢٤٤ ، وهود الهواري ٢/ ٣٨٠ ، وانظر : تفسير البغـوي ٥/ ٣٤ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٨٨ ، وتفسـير القرطبـي ١٠/ ١٥٠ ، وأورده أبو حيان في تفسـيره ، وأبطله بحجة أن الإضراب هنا يؤدي إلى فساد المعنى ، وتعقبه الألوسي وصححه ، انظر : تفسير أبي حيان ٥/ ٥٢١ ، وتفسير الألوسي ١٤/ ١٩٨ ، وفي كتب حروف المعاني أن (أو) تأتي بمعنى (بـل) ، ومنهم من أطلق القول ، ومنهـم من قيده بشروط ، انظر : حروف المعـاني للزَّجَّاجي ١٣ ، والجنى الداني ٢٢٩ ، ومغني اللبيب ٩١ .

وأنشدوا[١] :

أوْ أنتِ في العَينِ أَمْلَحُ[٢]

٧٨. قوله تعالى : ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾؛ أي أخرجكم غير عالمين ، بمعنى : أخرجكم جاهلين .

وقوله تعالى : ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ عطف[٣] على قوله : ﴿أَخْرَجَكُم﴾ ، وجَعْلُ السمع كان قبل الإخراج ولم يكن بعده ، وتأخيره في الذكر وتَقَدُّمُ الإخراج لا يدل على أَن الجَعْلَ للسمع تأخر عن الإخراج؛ لأن الواو لا توجب الترتيب[٤] ، ذكرنا هذا في مواضع ، والمعنى : خلق لكم الحواس التي بها تعلمون وتقفون على ما تجهلون ، قال ابن عباس في هذه الآية : يريد لتسمعوا مواعظ الله وتُبْصروا ما أنعم الله به عليكم منذ أخرجكم من بطون أمهاتكم إلى أن صرتم رجالاً ، وتعقلوا عظمة الله[٥] ، ﴿وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ جمع الفؤاد ، نحو غراب وأغربة[٦] .

---

(١) نُسب إلى ذي الرُّمَّة ، ولم أجده في ديوانه ، وقال محقق الخزانة : عبدالسلام هارون : بل هو في ملحقات الديوان ٦٦٤ .

(٢) تمام البيت :

بدتْ مِثلَ قَرْنِ الشَّمس في رَوْنقِ الضُّحى وصُورَتِها . . . .

ورد في المحتسَب ١/ ٩٩ ، والخصائص ٢/ ٤٥٨ ، والأزهية ١٢١ ، واللسان (أوا) ١/ ١٨١ ، والخزانة ١١/ ٦٥ ، وورد بلا نسبة في معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٧٢ ، والصحاح (أو) ٦/ ٢٢٧٥ ، والإنصاف ٣٨٣ ، والشاهد : ورود (أو) بمعنى (بل) والمعنى : بل أنتِ في العين أملح .

(٣) وجعلها الطبري مستأنفة؛ لأن الكلام تمَّ بقوله : ﴿لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ ، ثم ابتدأ بقوله : ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ﴾ . انظر : تفسير الطبري ١٤/ ١٥٢ ، والبغوي ٥/ ٣٤ .

(٤) وللخازن توجيه جيد ، يقول : لمَّا كان الانتفاع بهذه الحواس بعد الخروج من البطن ، فكأنما خلقت في ذلك الوقت الذي ينتفع بها فيه ، وإن كانت قد خلقت قبل ذلك . تفسير الخازن ٣/ ١٢٨ .

(٥) انظر : تفسير الخازن ٣/ ١٢٨ ، بنصه ، وتفسير الألوسي ١٤/ ٢٠١ ، بنصه .

(٦) قال الزمخشري : وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة . انظر : تفسير الزمخشري ٢/ ٣٣٩ .

قال الزَّجَّاج : ولم يجمع فؤاد على أكثر العدد؛ لم يُقَل فيه : فِئْدان ، كما قيل في غُراب وغِرْبَان[١] .

٧٩. قوله تعالى : ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ﴾؛ أي مذللات في جَوِّ السماء ، وهو الهواء ، قال الزَّجَّاج : ﴿جَوِّ السَّمَاءِ﴾ الهواءُ البعيدُ من الأرض[٢] ، وهذا حث على الاستدلال بها على مُسَخِّرٍ سَخَّرها ، ومُدَبِّرٍ مكَّنها من التصرف في جو السماء ، وهو الله تعالى .

وقوله تعالى : ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ﴾ ، يعني في حال القَبْض والبَسْط والاصطفاف ، كقوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾ [الملك :١٩] .

٨٠. قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ الآية . السَّكَن : المَسْكَن ، أنشد الفرَّاء[٣] :

جاء الشِّتاءُ ولَمَّا أتَّخِذْ كِنَناً[٤]

يا وَيْحَ نَفْسِيَ[٥] من حَفْر القراميص[٦]

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢١٤ ، بنصه .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢١٤ ، بنصه .

(٣) نسبه الأزهري إلى ابن الأعرابي .

(٤) في (أ) و(د) : (كناناً) ، والمثبت من : (ش) و(ع) ، وقد انفرد الواحدي برواية «كناً» ، بينما ورد في غيره «سنكناً» و«ربضاً» ، وليس في رواية الواحدي ولا رواية «ربضاً» شاهد إلا بالمعنى ، إنما الشاهد في رواية «سكناً» كما سياتي في توثيق البيت .

(٥) في (أ) و(د) زيادة كلمة (قلبي) مثل الآتي : «يا ويح قلبي نفسي» ، والمثبت من : (ش ، ع) ، وهو الصحيح؛ لإغناء كلمة نفسي عنها ، ويؤكد ذلك خلو رواية التهذيب منها .

(٦) ورد في تهذيب اللغة (قرمص) ٣/ ٢٩٤٦ ، وفيه : (رَبَضَاً) بدل (كناناً) ، ومن دون كلمة (قلبي) ، وورد بلا نسبة برواية :

جاءَ الشتاءُ ولمَّا أتخذْ ربضاً ... يا ويح كَفَّيَّ من حفْرِ القراميصِ

في جمهرة اللغة ١/ ٣١٤ ، ٢/ ١٢٠١ ، وتهذيب اللغة (ربض) ٢/ ١٣٤٤ ، ومقاييس اللغة ٢/ ٤٧٨ ، =

والسَّكَنُ : ما سَكَنْت ، وقال الزَّجَّاج أي مَوْضِعاً تَسْكُنُون فيه[١] ، قال مجاهد وغيره : يعني المساكن من الحجر والمدر[٢] .

وقال ابن عباس : يريد مساكن تستر عوراتكم وحُرَمَكُم ، وذلك أن الله تعالى خلق الخشب والمدر والآلة التي بها يمكن تسقيف البيوت وبناؤها[٣] .

وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ﴾ يعني الأنطاع[٤] والأُدم ، ﴿ بُيُوتًا ﴾ يعني القِبَاب والخِيَام والفَسَاطِيط[٥] ﴿ تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ ﴾؛ أي يَخِفُّ عليكم حَمْلُها في أسفاركم[٦] ، قال ابن عباس : يريد إذا ظعنتم الربيع ، وفيه قراءتان :

= والصحاح (قرمص) ٣/ ١٠٥١ ، (ربض) ٣/ ١٠٧٦ ، وتفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٩١ ، وفيه : (سكناً)بدل (ربضاً) ، والأساس ٢/ ٢٤٧ ، واللسان (قرمص) ٦/ ٣٦٠٦ ، (ربض) ٣/ ١٥٥٩ ، والتاج (قرمص) ٩/ ٣٣٣ ، وتفسير أبي حيان ٥/ ٥٢٣ ، والدر المصون ٧/ ٢٧٣ ، فيهما برواية : «سكناً» و«نفسي» ، (ربض) : قال ابن فارس : الراء والباء والضاد أصل يدل على سكون واستقرار ، والرَّبَض : ما حول المدينة ، ومسكن كلِّ قوم رَبَضٌ ، ويقال : لفلان رَبَضٌ يأوي إليه : وهو كل ما سكن إليه من امرأة أو قرابة أو بيت . (قرمص) : قال ابن السكيت : القراميص : حُفَرٌ صغارٌ يستكِنُّ فيها الإنسان من البرد ، الواحدة : قُرْمُوص .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢١٥ ، بنصه .

(٢) ورد بلا نسبة في تفسير الطبري ١٤/ ١٥٤ ، بنصه ، والثعلبي ٢/ ١٦١أ ، بنصه ، والبغوي ٥/ ٣٥ ، والخازن ٣/ ١٢٨ ، والذي في تفسير مجاهد ٤٢٣ ، قال : تسكنون فيها ، وأخرجه الطبري عن مجاهد بهذه الرواية ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٣٧ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٧٦ ، بنحوه وبلا نسبة .

(٤) جمع : نِطَعٌ ونِطْعٌ ونَطَعٌ ونَطْعٌ ، هو بساطٌ من الجلد . انظر : المحيط في اللغة ١/ ٤٠٦ ، والمعجم الوسيط ٢/ ٩٣٠ .

(٥) جمع الفِسْطَاط والفُسْطَاط؛ وهو ضَرْبٌ من الأبنية؛ وهو بيتٌ يتخذُ من الشَّعر . انظر : المحيط في اللغة ٨/ ٢٧١ .

(٦) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢١٥ ، بنصه .

تسكين العين[١] وتحريكها[٢] ، وهما لغتان؛ كالشعْر والشعَر ، والنهْر والنهَر ، قال الفرَّاء : والعرب تفعل ذلك بما كان ثانيه إحدى الستة الأحرف[٣] ، وأنشد[٤] :

له نَعَلٌ لا تَطَّبِي الكَلْبَ ريحُها

وإن وُضِعت بينَ المجالسِ شُمَّت[٥][٦]

قال أبو علي : لا يجوز أن يكون الظَّعْنُ مخففاً من الظَّعَنِ ، كعَضْد من عَضُد ، ألا ترى أن من خفف عَضْداً لم يخفف نحو : حَمَلٍ[٧] وَرَسَنٍ[٨] ، قال الأزهري : والظَّعْنُ : سير البادية لنُجْعة أو حضور ماء أو طلَب مَرْتَع أو تَحَوُّل من ماء إلى ماء

---

(١) قرأ بها : عاصم وحمزة والكسائي وابن عامر . انظر : السبعة ٣٧٥ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٥٩ ، وعلل القراءات ١/ ٣٠٨ ، والحجة للقراء ٥/ ٧٧ ، والمبسوط في القراءات ٢٢٥ ، والتيسير ١٣٨ .

(٢) بفتح العين ، قرأ بها : ابن كثير ونافع وأبو عمرو . انظر : المصادر السابقة .

(٣) يريد الحروف الحلقية ، وهي : الهمزة والهاء ، والعين والحاء ، والغين والخاء .

(٤) لكُثَيِّر بن عبدالرحمن بن الأسود ، المعروف بكُثَيِّر عزَّة ، المتوفى ١٠٥هـ .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١١٢ ، بنصه تقريباً .

(٦) ديوانه ٨٥ ، وروايته :

إذا طُرِحَتْ لم تَطَّبِ الكلبَ ريحُها وإن وُضِعَتْ في مجلسِ القومْ شُمَّتِ

وورد في المذكر والمؤنث لابن الأنباري ١/ ٥٠٢ ، والخصائص ٢/ ٩ ، وفيه : (جُعلت وسْطَ) بدل (وُضعت بين) ، واللسان (نعل) ٧/ ٤٤٧٧ ، وفيه : (وسط) بدل (بين) ، وورد في البيان والتبيين برواية ليس فيها الشاهد ٣/ ٧٨٨ ، (تطبي) : يقال طبى فلانٌ فلاناً عن رأيه وأمْره؛ أي صرفه ، وأطْبَأه وطَبَأه : دعاه واستماله ، (شُمَّت) : يُقبل شَمُّها؛ لأن جلدها جيد الدباغة لا تفوح منه روائحُ كريهة منتنة تستميل الكلاب ، والشاعر يصف نعله برقتها وطيب ريحها ، وأنها لطيب ريحها وعدم انبعاث الروائح الكريهة عنها لا تستميل الكلاب . والشاهد : أنه حرَّك حرف الحلق (ع) لانفتاح ما قبله . وانظر : المحيط في اللغة (طبى) ٩/ ٢٢٨ .

(٧) هكذا في النسخ جميعها بالحاء ، وفي المصدر «جمل» بالجيم ، وهو خطأ؛ لأن (جمل) لا تأتي في الفصيح إلا محركة . انظر : متن اللغة ١/ ٥٧١ .

(٨) الحجة للقراء ٥/ ٧٧ ، بتصرف يسير . رسن؛ الرسن : الحبل تقاد به الدابة؛ وهو ما كان على الأنف من الأزمَّة . انظر : اللسان (رسن) ٣/ ١٦٤٧ ، ومتن اللغة ٢/ ٥٨٨ .

ومن بلد إلى بلد ، وقد ظَعَنوا يَظْعَنون ، وقد يقال لكل شـاخص لسفر : ظاعِن ، وهو ضدُّ الخافض[١] .

وقوله تعـالى : ﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ . قـال مقاتـل : «أي : لا يثقل عليكم الحالتين»[٢] .

وقوله تعـالى : ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ﴾ . قال المفسرون وأهل اللغة : الأصواف للضأن ، والأوبار للإبل ، والأشعار للمعز[٣] .

وقولـه تعالى : ﴿أَثَٰثًا﴾ . الأثاث : أنواع المتاع مـن متاع البيت ، من الفُرُش والأكسـية[٤] ، قال الفـرَّاء : ولا واحد له ، كما أن المتـاع لا واحد له ، قال : ولو جمعت لقلت : أَثِثَّة في القليل وأُثُثٌ في الكثير[٥] .

---

(١) تهذيب اللغة (ظعن) ٣/ ٢٢٤١ ، بنصه .

(٢) تفسير مقاتل ١/ ٢٠٥ب ، بمعناه ، وورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٦١أ ، بنصه .

(٣) ورد في تفسـير مقاتل ١/ ٢٠٥ب ، بنصه ، ومعاني القرآن وإعرابـه ٣/ ٢١٥ ، بنصه ، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ٩٦ بنصه ، وتفسير الثعلبي ٢/ ١٦١أ ، بنصه ، والطوسي ٦/ ٤١٣ ، وانظر : تهذيب اللغة (صـاف) ٢/ ١٩٦٢ ، ١٩٦٣ ، (وبر) ٤/ ٣٨٢٦ ، ٣٨٢٧ ، والمحيـط في اللغة (صوف) ٨/ ١٩٦ ، (وبر) ١٠/ ٢٧٢ ، واللسان (وبر) ٨/ ٤٧٥٢ ، ٤٧٥٣ ، (صوف) ٤/ ٢٥٢٧ ، ٢٥٢٨ .

(٤) ورد في الغريب لابن قتيبة ١/ ٢٤٨ ، بنصه ، ورد بنحوه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٩٦ ، وتفسـير الثعلبـي ٢/ ١٦١أ ، وانظـر : العـين (أث) ٨/ ٢٥٣ ، وتهذيب اللغة ١/ ١١٨ ، واللسـان (أثث) ١/ ٢٤ـ٢٥ ، والتاج (أثث) ٣/ ١٦٤ .

(٥) لم أجـده في معانيه ، وورد في تهذيب اللغة (أث) ١/ ١١٨ ، بنصـه تقريباً ، وفيه : ولو جمعت لقلت : ثلاثة آثَـة ، وأُثُثٌ كثيرة . وانظر : اللسـان (أثث) ١/ ٢٤ ، ٢٥ ، والتاج (أثـث) ٣/ ١٦٤ ، وأورد السـمينً قول الفـرَّاء ، وقال عن جمع الكثرة : فيـه نظر ؛ إذ يلزم هذا الوزن جمعه عـلى أَفْعِلَة في القلة والكثرة ، ولا يجمع على فُعُل . انظر : الدر المصون ٧/ ٢٧٥ .

وقال أبو زيد : واحدتها أَثَاثَةٌ[١] .

قال ابن عباس في قوله : ﴿ أَثَٰثًا ﴾ يريد طَنَافِس[٢] وبُسُطاً وثياباً وكسوة[٣] ، قال الخليل : وأصله من قولهم : أثَّ النَّباتُ والشَّعر إذا كثر[٤] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَتَٰعًا ﴾؛ أي ما يمتعون به .

وقوله تعالى : ﴿ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ . قال عطاء عن ابن عباس : يريد إلى حين البلى[٥] .

---

(١) لم أجده في نوادره ، وورد في تهذيب اللغة (أث) ١/ ١١٨ ، بلفظه ، وورد عنه بنحوه في الغريب لابن قتيبة ١/ ٢٤٨ ، وأدب الكاتب له ٦١ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ٩٧ ، وتفسير الثعلبي ٢/ ١٦١ ، والدر المصون ٧/ ٢٧٥ ، وأورد الطبري قول أبي زيد بلا نسبة ، ورده قائلاً : ولم أر أهل العلم بكلام العرب يعرفون ذلك؛ أي أن الأثاث واحد ، والحق أن أبا زيد إمام وحجة في العربية ، والذين أوردوا قوله ـ وهم من أهل اللغة ـ لم أجد من اعترض عليه ، وحسبك بابن قتيبة وقد أورد قوله مستشهداً به .

(٢) جمع طَنْفَس ، وهي البساط الذي له خَمْلٌ رقيق ، وقيل : هو ضرب من السجاد . انظر : اللسان (طنفس) ٥/ ٢٧١٠ ، ومتن اللغة ٣/ ٦٣٧ .

(٣) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٩٢ بنصه ، والمشهور عن ابن عباس أنه فَسَّرَ ﴿ أَثَٰثًا ﴾ بالمال ، أخرجه الطبري ١٤/ ١٥٥ـ١٥٦ من طريق العوفي ضعيفة ، والدر المنثور ٤/ ٢٣٧ ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

(٤) العين (أث) ٨/ ٢٥٣ ، بنصه ، وانظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٩٢ ، وقد نقل المقطع كله ، من بداية قول الأزهري بنصه تقريباً من دون نسبته إلى الواحدي .

(٥) انظر : تنوير المقباس ٢٩٠ ، وورد غير منسوب في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٥ب ، والثعلبي ٢/ ١٦١أ ، والبغوي ٥/ ٣٥ ، والزمخشري ٢/ ٣٣٩ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٧٧ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٩٢ ، والخازن ٣/ ١٢٩ .

وروي عنه : ﴿ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ الموت[١] ، ومثله قال مجاهد ، وأَبْهَم قتادة ، فقال : إلى أجل[٢] ، وحكى الفرَّاء القولين فقال : يقول : يكتفون بأصوافها إلى أن يموتوا ، ويقال : إلى الحين بعد الحين[٣] .

٨١. قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا ﴾ . قال عطاء عن ابن عباس : يريد ظلال الغمام والسحاب[٤] ، كما قال : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ ﴾ [البقرة :٥٧] يريد : لتقيكم من حر الشمس ومن شدة البرد ، وقال الكلبي : ﴿ مِّمَّا خَلَقَ ﴾ يعني البيوت[٥] ، وقال قتادة : يعني الشجر[٦] ، واختاره الزَّجَّاج ، فقال أي جعل لكم من الشجر ما تَسْتَظِلُّون به[٧][٨] .

---

(١) أخرجه الطبري ١٤/ ١٥٥ بلفظه عن مجاهد ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٧٧ ، عن ابن عباس ومجاهد ، وأبي حيان ٥/ ٥٢٤ ، عن ابن عباس ، وتفسير الألوسي ١٤/ ٢٠٤ ، عن ابن عباس ، وورد غير منسوب في تفسير هود الهواري ٢/ ٣٨١ ، والثعلبي ٢/ ١٦١أ ، والبغوي ٥/ ٣٥ ، والزمخشري ٢/ ٣٣٩ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٩٢ ، والخازن ٣/ ١٢٩ ، وورد عن ابن عباس تفسيره بقوله : ينتفعون به إلى حين ، أخرجه الطبري ١٤/ ١٥٤ـ١٥٥ من طريق العوفي ضعيفة ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٣٧ ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

(٢) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه (٢/ ٣٥٩) ، بلفظه ، والطبري ١٤/ ١٥٥ ، بلفظه ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٩٧ ، بلفظه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٣٧ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١١٢ . بنصه .

(٤) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٧٧ ، وتفسير أبي حيان ٥/ ٥٢٤ ، وتفسير الألوسي ١٤/ ٢٠٥ .

(٥) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٧٧ ، وأبي حيان ٥/ ٥٢٤ ، وتفسير الألوسي ١٤/ ٢٠٥ .

(٦) أخرجه الطبري ١٤/ ١٥٥ بلفظه من طريقين ، ورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٤٥ بلفظه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٧٧ ، وأبي حيان ٥/ ٥٢٤ ، والدر المنثور ٤/ ٢٣٨ ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢١٥ ، بنصه .

(٨) هذه الأقوال ـ في معنى الظلال ـ من اختلاف التنوع ، ولا يجوز تخصيصها بأي منها ، والأَوْلَى حَمْلُه على العموم؛ لعدم وجود مخصص ، ولكونه جاء على سبيل الامتنان ، والمنَّة حاصلة بكل ذلك ، لذلك =

وقولـه : ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾ . قالـوا : يعنـي الغيران والأسْرَاب[١] ، وواحد الأَكْنَان كِنٌّ ، على قياس حِمْل وأَحْمَال[٢] ، والكِنُّ : كل شيء وقى شـيئاً ، ويقال : اسْـتَكَنَّ واكْتَنَّ ، إذا صار في كِنٍّ[٣][٤] ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ السرابيـل : القُمُص ، واحدها سربال[٥] ، قال الفرَّاء : سَرْبَلْتُ الرجلَ إذا لَبَّسْتَه سَرْبَلَةً وسِرْبَالاً[٦] ، وأنشد :

عَمِّي أبو مالكٍ بالمجدِ سَرْبَلَني ودَنَّس العبدُ عبدُ القيسِ سربالي[٧]

= فالأرجح ما قاله أبو سـليمان الدمشقي : إنه كل شيء له ظل؛ من حائط ، وسقف ، وشجر ، وجبل ، وغير ذلك . تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٧٧ .

(١) ورد في تفسـير السـمرقندي ٢/ ٢٤٥ ، بنصه ، والثعلبي ٢/ ١٦١أ بنصه ، وانظر : تفسـير البغوي ٥/ ٣٦ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٧٨ ، وتفسـير القرطبي ١٠/ ١٥٩ ، والخـازن ٣/ ١٢٩ ، (الغيران) : جمـع غار؛ وهو مغارةٌ في الجبل كالسَّرب ، وقيل : الغـارُ كالكَهْف في الجبل ، الأسْرَاب : جمع سَرْب؛ وهو المسلك في خفية ، وأصله جُحر الثعلب والوحشي ، وهو حفير تحت الأرض ، وقيل : بيت تحت الأرض . انظر : المحيط في اللغة (سرب) ٨/ ٣١٢ ، واللسان ٤/ ١٩٨٠ ، (غور) ٦/ ٣٣١٣ ، ومتن اللغة ٣/ ١٣٣ .

(٢) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢١٥ ، بنصه .

(٣) ورد في تهذيب اللغة (كن) ٤/ ٣١٩٦ ، بنصه ، وهو قول الليث .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (كن) ٤/ ٣١٩٦ ، والمحيط في اللغة ٦/ ١٤٤ ، والصحاح ٦/ ٢١٨٨ ، واللسـان ٧/ ٣٩٤٢ ، وانظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٩٣ ، بنصه بلا نسبة .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (سربل) ٢/ ١٦٦٤ ، والصحاح ٥/ ١٧٢٩ ، واللسان ٤/ ١٩٨٣ ، وانظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٩٣ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٦٠ .

(٦) ليس في معانيه .

(٧) لم أقف عليه .

قال أبو إسحاق : كلُّ ما لَبِسْتَه فهو سربالٌ؛ من قميص أو دِرْع أو جَوْشَنٍ أو غيره[١] ، قال ابن عباس وقتادة : هي القُمُص من الكَتَّان ، والقطن ، والصوف[٢] ، قال الفرَّاء : ولم يقل : والبرد ، وهي تقي الحرَّ والبرد ، فترك؛ لأن معناه معلوم[٣] ، قال الزَّجَّاج : ولم يقل : وتقيكم البردَ؛ لأن ما وَقَى من الحرِّ وَقَى من البرد[٤] ، فعندهما أنه اكتفى بذكر أحدهما عن الآخر لدلالة المذكور على الآخر ، وقال عطاء الخرساني : الذين خوطبوا بهذا أهل حَرٍّ في بلادهم فحاجتهم إلى ما يقي الحرَّ أشد ، لذلك لم يذكر البرد؛ لأن القوم خُوطبوا على قدر معرفتهم ، كما قال : ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ﴾ وما جعل من غير ذلك أعظم ، ولكنهم كانوا أصحابَ وَبَر وشَعَر ، وكذلك قوله : ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾ [النور :٤٣] يُعَجِّبُهم بذلك ، وما أنزل من الثلج أعظم ، ولكنهم كانوا لا يعرفونه[٥] ، قال المبِّرد : والقرآن قد أحاط بمن يخاطب وبمن يكون بعده ، وأحاط بالغائب كما أحاط بالحاضر ، ولكن العرب من شأنها إذا كان الشيئان مجازهما واحد في ضر أو

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢١٥ ، بنصه . جوشن : درع أو زَرَدٌ يُلْبَس على الصدر ، والجمع : جواشن . انظر : متن اللغة ١/ ٦٠٣ .

(٢) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٢/ ٣٥٩ ، بنحوه ، والطبري ١٤/ ١٥٥ـ١٥٦ ، بنصه من طريقين ، وبنحوه من طريق ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٩٧ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٤٥ ، والطوسي ٦/ ٤١٣ ، بنحوه ، وورد بنحوه غير منسوب في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٦أ ، والثعلبي ٢/ ١٦١أ ، وهود الهواري ٢/ ٣٨١ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١١٢ ، بنصه .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١١٢ ، بنصه .

(٥) أخرجه الطبري ١٤/ ١٥٣ـ١٥٥ بنصه تقريباً مع تقديم وتأخير ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٩٨ ، مختصراً ، وتفسير الثعلبي ٢/ ١٦١ أ ، بنصه تقريباً مع تقديم وتأخير ، وتفسير الماوردي ٣/ ٢٠٧ ، مختصراً ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٣٦ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٩٣ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٦٠ ، والخازن ٣/ ١٢٩ ، وابن كثير ٢/ ٦٣٩ ، وهذا القول هو الذي رجَّحه الطبري .

نفع فذكروا أحدهما عُلِمَ أن الآخر مثله ، فلما ذكر الحرَّ صار كأنه ذكر البرد أيضاً ، لما يعلم أنها لا تقي شيئاً دون شيء[١] .

وقوله تعالى : ﴿ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ ﴾ . قال المفسرون : يعني دروع الحديد[٢] ، ومعنى البأس : الشدة ، ويريد هاهنا شدة الطعن والضرب والرمي[٣] .

وقوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾؛ أي مِثْل ما جعل هذه الأشياء ، وخلقها لكم وأنعم بها عليكم ، ﴿ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ ﴾ يريد : نعمة الدنيا؛ لأن[٤] الخطاب لأهل مكة يدل على هذا .

قوله تعالى : ﴿ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾ . قال ابن عباس : لعلكم يا أهل مكة تُخْلِصون لله الربوبية وتعلمون أنه لا يقدر على هذا أحدٌ غيره[٥] ، فتوحدوه وتصدقوا أنبياءه ، ثم قال بعد أن بَيَّنَ لهم الآيات :

٨٢. ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾؛ أي عليك أن تُبَلِّغَ الرسالةَ والآياتِ الدالةَ على التوحيد وصدقك ، ولا يَلْزَمك تقصيرٌ مِنْ أجل تَوَلِّيهم ، وهذا تسلية للنبي ﷺ عما يلحقه عند توليهم عنه .

---

(١) أورده في التعازي والمراثي ٣٩ ، مختصراً جداً ، قال : وكذلك قوله تعالى : ﴿ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ﴾ ، ولم يذكر البرد ، وانظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٩٤ ، عنه بمعناه ، وأبي حيان ٥/ ٥٢٤ مختصراً ، وتفسير الألوسي ١٤/ ٢٠٥ ، مختصراً .

(٢) ورد في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٦أ ، بلفظه ، والسمرقندي ٢/ ٢٤٥ ، بنصه ، وهود الهواري ٢/ ٣٨١ ، بلفظه ، والثعلبي ٢/ ١٦١أ ، بنحوه ، وانظر : تفسير الزمخشري ٢/ ٣٣٩ ، وابن كثير ٢/ ٦٣٩ـ ٦٤٠ .

(٣) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٩٤ ، بنصه بلا نسبة .

(٤) في (أ) و(د) : (أن) ومطموسة في (ع) ، والمثبت من (ش) .

(٥) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٩٤ ، والخازن ٣/ ١٢٩ ، بلا نسبة .

٨٣. قوله تعالى : ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ . قال السدي : يعني محمداً ﷺ[١] ، وهذا القول اختيار أبي إسحاق؛ قال : يعرفون أن أمر النبي ﷺ حقٌّ ثم يُنكرون ذلك[٢] ، وقال مجاهد : يعني ما عَدَّدَ من النِّعَم في هذه السورة ، يعرفون أنها كلَّها نِعَمٌ عليهم ، ولكن ينكرون أنها من الله تعالى ، يقولون : هذه النعم كانت لآبائنا فورثناها منهم[٣] ، وقال الكلبي : أقروا بأنها كلها من الله ، وقالوا : لكنها بشفاعة آلهتنا[٤] ، [وهذا][٥] القول اختيار الفرَّاء ، قال : ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ﴾ يعني الكفار ، إذا قيل لهم مَنْ رزقكم؟ قالوا : الله ، ثم يقولون : بشفاعة آلهتنا فيشركون ، فذلك إنكارهم نعمته[٦] ، ونحو هذا روى عطاء عن ابن عباس ، قال : يُقِرُّون أنه لا يفعل هذا أحدٌ غيرُه ، وهو المستحق للعبادة؛ لأنه المنعم عليهم دون غيره[٧] .

---

(١) أخرجه الطبري ١٤/ ١٥٧ بنصه من طريقين ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٩٩ ، بنصه ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٤٥ ، بنصه ، والثعلبي ٢/ ١٦١ب بنصه ، وتفسير الماوردي ٣/ ٢٠٧ ، بنحوه ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٣٦ ، وابن عطية ٨/ ٤٨٧ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٧٩ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٦١ ، والخازن ٣/ ١٢٩ ، وأبي حيان ٥/ ٥٢٤ ، والدر المنثور ٤/ ٢٣٨ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢١٦ ، بنصه .

(٣) تفسير مجاهد ٣٥٠ ، بمعناه ، أخرجه الطبري ١٤/ ١٥٨ بمعناه من طريقين ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٠٠ ، بمعناه ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٤٥ ، بمعناه ، وهود الهواري ٢/ ٣٨٢ ، مختصراً ، والثعلبي ٢/ ١٦١ب ، بنحوه ، وتفسير الماوردي ٣/ ٢٠٧ بنحوه ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٣٦ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٧٩ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٦١ ، والخازن ٣/ ١٢٩ .

(٤) ورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٤٥ ، بنحوه ، وتفسير الثعلبي ٢/ ١١٦١ب ، بنحوه ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٣٦ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٧٩ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٦٢ ، والخازن ٣/ ١٢٩ .

(٥) في النسخ جميعها : (وقال) ، ولا يستقيم بها الكلام ، والصحيح المثبت .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١١٢ ، بنصه .

(٧) انظر : تنوير المقباس ٢٩٠ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٦٢ ، بلا نسبة .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ . قال أصحاب التأويل : إنما قال وأكثرهم؛ لأن فيهم من لم تقم عليه الحجة ممن [لم][1] يبلغ حَدَّ التكليف ، ومنهم من هو ناقص العقل مأووف[2] فأراد بالأكثر : البالغين الأصحاء الذين هم المقصودون بالخطاب وإقامة الحجة عليهم[3] ، وقال الحسن : المعنى : وجميعهم الكافرون[4] ، وعلى هذا ذكر الأكثر والمراد الجميع؛ لأن عُظْمَ الشيءِ يقوم مقام جميعه ، فَذِكر الأكثرِ كذِكْرِ الجميع ، وهذا كقوله : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [النحل :٧٥] ، وذكرنا هناك وجهين آخرين ، وهذه الآية تدل على أن المعاند كافرٌ ، وإن عرف بقلبه إذا لم يُقِرَّ بلسانه وأنكر في الظاهر .

٨٤. قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾؛ أي وذَكِّرهم يوم نبعث أو وأَنْذرهم يوم نبعث ، قال ابن عباس : يريد يوم القيامة[5] ، ﴿ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾؛ يريد الأنبياء يشهدون على الأمم بما فعلوا من التصديق والتكذيب .

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ . قال الكلبي : لا يؤذن لهم في الكلام والاعتذار[6] ، كقوله : ﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ [المرسلات :٣٦] .

---

(١) إضافة يقتضيها السياق ليستقيم الكلام .

(٢) في اللسان : (مَأْوُوف) و(مؤُوف) : وهو الذي أصابته آفة؛ أي عاهة ، يقال : آفت البلادُ تؤُوف أوفاً وآفةً وأُوُوفاً : صارت فيها آفةٌ ، والمقصود هنا : العاهة العقلية التي تعيقه عن الفهم والتمييز . انظر : اللسان (أوف) ١/ ١٧١ .

(٣) ورد في تفسير الطوسي ٦/ ٤١٤ ، بنحوه ، وانظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٩٥ ، وقد ذكر تعليلات أخرى .

(٤) ورد بنصه في تفسير الماوردي ٣/ ٢٠٧ ، والطوسي ٦/ ٤١٥ ، وانظر : ابن الجوزي ٤/ ٤٧٩ ، وأبي حيان ٥/ ٥٢٥ .

(٥) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٩٥ ، والخازن ٣/ ١٣٠ ، بلا نسبة فيهما .

(٦) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٩٥ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٦٢ ، والخازن ٣/ ١٣٠ ، كلها بلا نسبة .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ ، استعتَبَ فلان إذا طلب أن يُعْتَب؛ أي يُرْضَى[١] ، واستعتبت فلاناً إذا طلبت منه أن يرجع إلى رضا صاحبه[٢] ، فمعنى قوله : ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾؛ أي لا يُطلب منهم أن[٣] يرجعوا إلى ما يُرضي الله؛ لأن الآخرة ليست بدار تكليف ، كما قال ابن عباس في هذه الآية ، قال : يريد انقطع العتاب وانقطعت المعذرة وحَلَّ بهم الخزي ، تلخيص معنى الآية : أنهم لا يُمَكَّنُونَ من عذر فيتكَلَّمون به ، ولا يُكَلَّمُون أيضاً في الرجوع في العُتْبَى ، وأصل هذا الحرف من العتب وهو الموجدة ، يقال : عتب عليه إذا وجد عليه ، وأعتبه إذا زال عنه عتبُه؛ بأن ترك ما كان يعتب عليه من أجله ، واستعتبه إذا طلب منه الإعتاب[٤] .

٨٥. قوله تعالى : ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ . قال ابن عباس : يريد أشركوا[٥] ، ﴿ٱلْعَذَابَ﴾ يريد النار ، ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾؛ أي العذاب ، ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾؛ أي لا يؤخرون ولا يمهلون؛ لأن التوبة هناك غير مرجوة؛ لانقضاء الأمد المضروب لقبول التوبة ودخول وقت العذاب ، وهذه الآية تأكيد لما قبلها ، يريد أنهم يعجل لهم العقوبة في الآخرة من غير إنصات[٦] لعذر منهم أو عتاب معهم .

---

(١) ورد في تهذيب اللغة (عتب) ٣/ ٢٣١٤ ، بنصه ، وهو قول الليث .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (عتب) ٣/ ٢٣١٤ ، ومقاييس اللغة ٤/ ٢٢٦ ، واللسان ٥/ ٢٧٩١ .

(٣) (أن) ساقطة من (أ) و(د) وفي (ع) : (أي) .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (عتب) ٣/ ٢٣١٤ ، والمحيط في اللغة ١/ ٤٤٦ ، ومقاييس اللغة ٤/ ٢٢٦ ، واللسان ٥/ ٢٧٩١ .

(٥) انظر : تنوير المقباس ٢٩١ ، ورد بنحوه غير منسوب في تفسير هود الهواري ٢/ ٣٨٢ ، والثعلبي ٢/ ١٦١ب ، والبغوي ٥/ ٣٧ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٨٠ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٩٦ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٦٢ ، والخازن ٣/ ١٣٠ .

(٦) في النسخ جميعها : (أنصار) ، والصواب ما أثبته ، ويدل عليه ما بعده ، ولعلها تصحفت .

٨٦. قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ ﴾ . قال ابن عباس : يريد الذين اتخذوهم[١] من دون الله آلهة[٢] ، وذلك أن الله يبعثُ كلَّ مَنْ كان يَعْبُدون من دون الله ، فيتبعوهم حتى يوردوهم النار ، وَوُصِفُوا بأنهم شركاؤهم : لأنهم جعلوا لهم نصيباً في أموالهم ، ولأنهم جعلوهم شركاء في العبادة[٣] ، ﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ﴾؛ أي كنا نعبدهم من دونك ، ﴿ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ ﴾ . قال الكلبي : أجابوهم[٤] ، وقال مجاهد : حدثوهم[٥] ، وقال الفرَّاء : رَدَّت عليهم قولهم[٦] : ﴿ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾[٧] ، وذكر المفسرون في تكذيب الأصنام إيَّاهم وجوهاً؛ أحدها : أنها كذبتهم في استحقاق العبادة ، والمعنى : ﴿ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ : في أنَّا نستحق العبادة[٨] ، الثاني : ﴿ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ في أنَّا دعوناكم إلى العبادة ، وهذا قول الفرَّاء[٩] ، وقيل : ﴿ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ : في تسميتنا آلهة وأرباباً[١٠] ، وكل هذا تكذيب من الآلهة[١١] للكفار بما لم يُخْبِر به عنهم؛ لأنه ليس في

---

(١) في (أ) و(د) : (اتخذو لهم) ، وفي (ش) و(ع) : (اتخذوا لهم) ، والمثبت هو الصحيح وينسجم مع السياق .

(٢) انظر : تفسير أبي حيان ٥/ ٥٢٦ ، وتفسير الألوسي ١٤/ ٢٠٨ ، بنحوه غير منسوب .

(٣) ورد في تفسير الطوسي ٦/ ٤١٦ ، بنصه .

(٤) ورد بلا نسبة في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٤٢٨ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٨٠ .

(٥) تفسير مجاهد ٣٥٠ ، بلفظه ، أخرجه الطبري ١٤/ ١٥٩ بلفظه من طريقين ، والدر المنثور ٤/ ٢٣٩ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٦) في النسخ جميعها : (قولها) ، والتصويب من المصدر .

(٧) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١١٢ ، بنصه .

(٨) ورد في تفسير الطوسي ٦/ ٤١٦ ، بنصه ، وانظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٩٧ .

(٩) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١١٢ ، بمعناه .

(١٠) ورد في تفسير الطوسي ٦/ ٤١٧ ، بنحوه ، وانظر : تفسير الخازن ٣/ ١٣٠ .

(١١) في النسخ جميعها : (الإله) ، والصحيح الآلهة؛ لأنها هي التي كذبت عابديها .

الآية أن الكفار ادعوا أنها دعتهم إلى عبادتها ، ولا أنها كانت تستحق العبادة ، ولا أنهم سموها آلهة ، وإن كانوا قد فعلوا ذلك ، ولكن لم يُخبِر عنهم في هذه الآية بهذه الأشياء حتى ينصرف التكذيب إلى ذلك ، والمفسرون قالوا هذا على الاحتمال ، ولم أرَ لواحد من أئمة التفسير قولاً منسوباً إليه مما حكيت غير الفرَّاء ، والذي يوافق الظاهر أن يقال : إن الشركاء كانت جماداً مواتاً ما كانت تعرف عبادة عابديها ، فقالت : ﴿ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ : في عبادتكم إيَّانا ، ما كنا نعرف ذلك ولا علم لنا بعبادتكم ، فظهر عند ذلك فضيحة الكفار ، حيث عبدوا من لم يشعر بالعبادة ، يدل على هذا قوله : ﴿ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ ﴾ [مريم :٨٢] ، والله أعلم .

٨٧. قوله تعالى : ﴿ وَأَلْقَوْا إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ﴾ . قال ابن عباس : يريد استسلموا وأقروا لله بالربوبية[١] ، قال الكلبي : استسلم العابد والمعبود[٢] ، وقال قتادة : يقول : ذَلُّوا واستسلموا يومئذ لحكم الله[٣] ، وذكرنا معنى إلقاء السَّلَم عند قوله : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ ﴾ [النساء :٩٤] .

---

(١) ورد بنحوه غير منسوب في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٦أ ، والسمرقندي ٢/ ٢٤٦ ، والثعلبي ٢/ ١٦١ب ، وابن الجوزي ٤/ ٤٨١ .

(٢) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٩٧ ، بنصه ، وابن الجوزي ٤/ ٤٨١ ، بمعناه ، وأبي حيان ٥/ ٥٢٧ ، بمعناه ، وتنوير المقباس ٢٩١ ، بنصه .

(٣) أخرجه الطبري ١٤/ ١٦٠ ، بنحوه ، ورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٠١ ، بنحوه ، وتفسير الطوسي ٦/ ٤١٧ ، بنحوه ، وانظر : تفسير ابن كثير ٢/ ٦٤٠ ، والدر المنثور ٤/ ٢٣٩ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

وقوله تعالى : ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ . قال ابن عباس : يريد ذهب ما زَيَّنَ لهم الشيطان أن لله شريكاً أو ولداً وصاحبة[١] ، وقال غيره : بطل ما كانوا يُؤَمِّلُون ويكذبون من أنَّ آلهتهم تشفع لهم[٢] .

٨٨. قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ . قال ابن عباس : يريد عن طاعة الله[٣] ، ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ . قال ابن مسعود : عقارب لها أنيابٌ أمثالُ النخلِ الطِّوالِ[٤] ، وروي عنه : أفاعي[٥] ، وقال السدي : إن أهل النار إذا جزعوا من حَرِّها استغاثوا ، بضحضاحِ ماءٍ في النار ، فإذا أتوه بلغتهم عقارب كأنها البغال ، وأفاعي كأنها البَخَاتِي[٦] ،

---

(١) ورد بنصه غير منسوب في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٤٢٩ ، وتفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٨١ ، والفخر الرازي ٢٠/ ٩٧ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٦٣ .

(٢) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٩٧ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٦٣ .

(٣) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٨١ ، وتنوير المقباس ٢٩١ .

(٤) أخرجه الطبري ١٤/ ١٦٠ بنصه من طرق عدة ، والطبراني في الكبير ٩/ ٢٥٨ ، بنحوه من طرق عدة ، والحاكم ٢/ ٣٥٦ بنحوه ، وقال : على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي ، والثعلبي ٢/ ١٦١ب ، بنصه ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٠١ ، بنحوه ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٤٦ ، بنحوه ، وهود الهواري ٢/ ٣٨٣ ، بنحوه ، والطوسي ٦/ ٤١٧ ، بنحوه ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٣٦ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٨٢ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٦٤ ، والخازن ٣/ ١٣٠ ، وأبي حيان ٥/ ٥٢٧ ، وابن كثير ٢/ ٦٤١ .

(٥) أخرجه الطبري ١٤/ ١٦٠ ، بلفظه من طرق عدة ، والسمرقندي ٢/ ٢٤٦ ، بلفظه ، وورد في تفسير الطوسي ٦/ ٤١٧ ، وهو جزء من الرواية السابقة ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٣٩ ، وعزاه إلى هناد .

(٦) جمع بُخْت؛ وهي الإبلُ الخُراسانِيَّةُ ، وهي طوال الأعناق . انظر : تهذيب اللغة (بخت) ١/ ٢٨٣ ، والتاج ٣/ ١٢ .

فضربتهم فذلك الزيادة[١] ، وقال أبو المنهال[٢] : إنهم يستغيثون بالنار فراراً من تلك الأفاعي والعقارب وهرباً[٣] .

٨٩. قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ . قال ابن عباس : يريد الأنبياء[٤] ، قال المفسرون : كل نبي شاهد على أمته ، وهو أعدل شاهد عليها[٥] ، ووجه انتصاب (ويوم) ذكرنا عند قوله : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ [النحل :٨٤] و﴿ فِي كُلِّ أُمَّةٍ ﴾ هاهنا كقوله : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا ﴾ [النحل :٣٦] فيجوز أن يكون من صلة الشهيد ، كأنه قيل : ويوم نبعث شهيداً في كل أمة .

وقوله تعالى : ﴿ عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ الأنبياء شهداء[٦] على أممهم بما فعلوا ، وهم من أنفسهم؛ لأن كلَّ نبي بُعث من قومه إليهم ، ﴿ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ﴾ . قال ابن عباس : يريد على قومك[٧] ، وتم الكلام هاهنا ، ثم قال : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ . قال مجاهد : «يعني لِمَا أَمَر به وما نهى

---

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٣٩ وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، وانظر : تفسير الألوسي ١٤/ ٢١٢ .

(٢) أبو المنهال هو سَيَّار بن سَلَامة الرِّياحي البصري ، ثقة ، روى عن أبي العالية وشهر بن حوشب ، وروى عنه شعبة وحماد ، مات سنة ١٢٩هـ . انظر : الجرح والتعديل ٤/ ٢٥٤ ، والكاشف ١/ ٤٧٥ ، وتقريب التهذيب ٢٦١ (٢٧١٥) ، وتفسير الطبري ، تحقيق شاكر ٥/ ٢١٧ .

(٣) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٤٣٠ ، بنصه .

(٤) انظر : تفسير الخازن ٣/ ١٣١ ، وورد بلا نسبة في تفسير الماوردي ٣/ ٢٠٨ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٦٤ .

(٥) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢١٦ بنصه ، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ١٠٠ ، بنحوه ، وانظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٩٨ ، والخازن ٣/ ١٣١ .

(٦) في (أ) و(د) : (شهيداً) .

(٧) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٨٢ ، وتنوير المقباس ٢٩١ ، وورد بنحوه غير منسوب في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٦ب ، والطبري ١٤/ ١٦١ ، والسمرقندي ٢/ ٢٤٦ ، والطوسي ٦/ ٤١٨ ، والخازن ٣/ ١٣١ .

عنه»[١] . وقال أهل المعاني : «يعني لكل شيء من أمور الدين بالنص عليه أو الإحالة على ما يوجب العلم به من بيان النبي ﷺ أو إجماع ، فهو الأصل والمفتاح لعلوم[٢] الدين»[٣] ، أخبرني سعيد بن محمد بقراءتي عليه عن ابن مُقْسِم عن الزَّجَّاج ، قال : تبيان اسمٌ في معنى البيان ، ومِثلُ التِّبْيَان[٤] [التِّلْقَاء][٥] ، وأخبرني أبو الحسين الفسوي[٦] في ما قرأته عليه عن حمد بن محمد عن أبي عمر[٧] عن ثعلب عن الكوفيين ، والمبرِّد عن البصريين ، قالا : لم يأت من المصادر على تِفْعَال إلا حرفان : تبيان وتلقاء ، فإذا تركتَ هذين استوى لك القياس ، فقلتَ في كل مصدر : تَفْعَال بفتح التاء ، مثل : تَسْيَار وتَهْمَام ، وقلت في كل اسم : تِفْعَال بكسرها ، مثل : تِقْصَار وتِمْثَال[٨] ، وانتصاب قوله : ﴿تِبْيَـٰنًا﴾ على أنه مفعول له؛ أي للبيان .

---

(١) أخرجه الطبري ١٤/ ١٦١ ، ١٦٢ بنصه وبنحوه ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٠١ ، بنحوه ، وانظر : تفسير الخازن ٣/ ١٣١ ، وابن كثير ٢/ ٦٤١ ، وورد بنحوه غير منسوب في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٦ب ، والسمرقندي ٢/ ٢٤٦ وهود الهواري ٢/ ٣٨٣ ، والثعلبي ٢/ ١٦١ب ، والدر المنثور ٤/ ١٤٠ وزاد نسبته إلى ابن المنذر .

(٢) في (أ) و(د) : (بعلوم) ، والمثبت من (ش) و(ع) ، هو الصحيح المناسب للسياق ، وهكذا وردت في تفسيره الوسيط .

(٣) ورد في تفسيره الوسيط ٢/ ٤٣١ ، بنصه ، وتفسير الطوسي ٦/ ٤١٨ ، بنحوه ، وانظر : تفسير الزمخشري ٢/ ٣٤١ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٨٢ ، والخازن ٣/ ١٣١ ، وأبي حيان ٥/ ٥٢٧ ، وتفسير الألوسي ١٤/ ٢١٥ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢١٧ ، بنصه .

(٥) ما بين المعقوفين زيادة يقتضيها الكلام ، ومن دونها يبدو الكلام ناقصاً ، وهي ثابتة في المصدر ، فلعلها سقطت .

(٦) أبو الحسين عبدالغافر بن محمد بن عبدالغافر الفارسي ثم النيسابوري ، كان عالماً عابداً جليل القدر عُمر طويلاً ، روي صحيح مسلم عن أبي عمرو يه وغريب الخطابي عن المؤلف ، توفي سنة ٤٤٨هـ ، وله ٩٦سنة . انظر : المنتخب من السياق ٣٦١ ، ٣٨٧ ، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ١٩ ، وشذرات الذهب ٣/ ٢٧٧ .

(٧) أبو عمر محمد بن عبدالواحد ، اللغوي الزاهد ، المعروف بغلام ثعلب ، تقدمت ترجمته .

(٨) ورد في تهذيب اللغة (بان) ١/ ٢٦٤ ، بنحوه غير منسوب ، وانظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ٩٩ ، بنحوه ونسبه إلى الواحدي ، وأبي حيان ٥/ ٥٢٧ ، وتفسير الألوسي ١٤/ ٢١٤ .

٩٠. وقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ . قال ابن عباس في رواية الوالبي : العدل : شهادة أن لا إله إلا الله ، والإحسان : أداء الفرائض[١] ، وقال في رواية عطاء : العدل : خلع الأنداد ، والإحسان : تعبد الله كأنك تراه[٢] ، وأن تحب للناس ما تحب لنفسك؛ إن كان مؤمناً أحببت أن يزداد إيماناً ، وإن كان كافراً أحببت أن يكون أخاك في الإسلام[٣] .

وقال في رواية باذان[٤] : العدل : التوحيد ، والإحسان : الإخلاص فيه[٥] ، وقال آخرون : يعني بالعدل : في الأفعال ، والإحسان : في الأقوال[٦] ، ولا يفعل إلا ما هو عدل ولا يقول إلا ما هو حسن[٧] .

---

(١) أخرجه الطبري ١٤/ ١٦٢ ، بنصه من طريق ابن أبي طلحة صحيحة ، والبيهقي في الأسماء والصفات ١٣٤ ، مجملًا ، ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٦١ب ، بنحوه ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٣٨ ، وابن عطية ٨/ ٤٩٤ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٨٣ ، والفخر الرازي ٢٠/ ١٠١ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٦٥ ، والخازن ٣/ ١٣١ ، وأبي حيان ٥/ ٥٢٩ ، وابن كثير ٢/ ٦٤٢ ، والدر المنثور ٤/ ٢٤١ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٦١ب ، بنصه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٨٣ ، والفخر الرازي ٢٠/ ١٠١ .

(٣) نقله الفخر الرازي والخازن بنصه من دون عزو . انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١٠١ ، والخازن ٣/ ١٣١ .

(٤) باذان : هو أبو صالح مولى أم هانئ ، وقد تقدمت ترجمته .

(٥) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٦١ب ، بنحوه ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٣٨ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٨٣ ، والفخر الرازي ٢٠/ ١٠١ ، والخازن ٣/ ١٣١ .

(٦) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٦٢ أ ، بنصه .

(٧) نقله الفخر الرازي والخازن بنصه من دون عزو . انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١٠١ ، والخازن ٣/ ١٣١ .

وقوله تعالى : ﴿وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ . قال عطاء عن ابن عباس : يريد صلة القرابة[١] من فضل ما رزقك الله ، فإن لم يكن عندك فضل فدعاء[٢] ، وروى أبو سلمة[٣] عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : «إنَّ أعْجَلَ الطاعةِ ثَواباً صِلةُ الرحم ، [حتى][٤] إن أهل البيت ليكونون فُجَّاراً فَتُنْمَى أموالُهُم ويَكثُرُ عددُهم إذا وصلُوا أرحامَهُم»[٥] .

(١) أخرجه الطبري ١٤/ ١٦٢ من طريق ابن أبي طلحة ، قال : الأرحام ، وانظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١٠٠ ، وتنوير المقباس ٢٩١ ، والدر المنثور ٤/ ٢٤١ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم ، وورد بنحوه غير منسوب في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٤٧ ، والماوردي ٣/ ٢٠٩ ، والطوسي ٦/ ٤١٩ ، والبغوي ٥/ ٣٨ ، وابن عطية ٨/ ٤٩٥ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٨٣ ، والخازن ٣/ ١٣١ .

(٢) نقله الفخر الرازي بنصه من دون عزو . انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١٠١ .

(٣) أبو سلمة عبدالله بن عبدالرحمن بن عوف ، أحد الأعلام بالمدينة ، روى عن أبيه وعن زيد بن ثابت وأبي هريرة ، وعنه : ابنه عمر والزهري ، كان ثقة فقيهاً كثير الحديث ، مات سنة ٩٤هـ ، وقيل ١٠٤هـ ، والأول أصح ، وعمره ٧٢سنة . انظر : طبقات ابن سعد ٥/ ١٥٥ ، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٢٨٧ ، والكاشف ٣/ ٤٣١ ، وتقريب التهذيب ٦٤٥ ، (٨١٤٢) .

(٤) ما بين المعقوفين زيادة يقتضيها السياق ، وهي ثابتة في مكارم الأخلاق ، وفي بعض المصادر زيادة (واو) بدل (حتى) .

(٥) أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق ، باب : ما جاء في صلة الأرحام ١/ ٢٦٤ بالنص سنداً ومتناً ، وابن حبان ، موارد الظمآن ، البر والصلة ، صلة الرحم وقطعها ٤٩٩ بنصه تقريباً عن أبي بكرة ، والطبراني في الأوسط ، مجمع البحرين ٥/ ١٦٧ ، بنحوه عن أبي سلمة عن أبي هريرة ، والبيهقي في السنن ١٠/ ٣٥ ، ٣٦ ، بنحوه عن أبي هريرة ، وبنحوه مرسلاً عن مكحول ، وورد في تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١٠١ ، بنصه ، وأورده الهيثمي في المجمع ٨/ ١٥٢ ، بنصه ، وقال : وفيه أبو الدهماء البصري ، وهو ضعيف جداً ، وورد في كنز العمال ٣/ ٣٦٤ ، وقد ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/ ٦٧٠ ، ٦٧١ تحت ٩٧٨ ، وأورد طرقه وشواهده جميعها ، ثم قال : وجملة القول أن الحديث بمجموع هذه الطرق والشواهد صحيح ثابت .

وقولــه تعالى : ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾ . قال في رواية علي : يقول : الزنى[١] ، وقال في رواية عطاء : يريد البخل عن حقوق الله ، وجميع الذنب صغيره وكبيره[٢] ، وقال آخرون : الفحشاء : ما قبح من قول أو فعل[٣] .

(وقوله تعالى : ﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾ . قــال في الروايتين : الشرك والكفر بالله[٤] ، وقال غيره : المنكر ما لا يعرف في شريعة ولا سنة[٥])[٦] .

وقوله تعالى : ﴿وَٱلْبَغْيِ﴾ . قال علي عن ابن عباس : الكِبْر والظلم[٧] ، وقال عطاء عنه : أن تبغي على أخيك[٨] .

---

(١) أخرجه الطبري ١٤/ ١٦٣ بلفظه من طريق علي صحيحة ، ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٦٢أ ، بلفظه ، وانظر : تفســير البغوي ٥/ ٣٨ ، وابن عطية ٨/ ٤٩٦ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٨٣ ، وتفســير القرطبي ١٠/ ١٦٧ ، والخازن ٣/ ١٣١ ، والدر المنثور ٤/ ٢٤١ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١٠١ ، بلا نسبة .

(٣) انظر : تفســير القرطبي ١٠/ ١٦٧ ، والخازن ٣/ ١٣١ ، وأبي حيــان ٥/ ٥٣٠ ، وهو الأرجح لكونه عامًّا وشاملاً لكل الفواحش .

(٤) انظر : تفســير ابن الجوزي ٤/ ٤٨٤ ، والخــازن ٣/ ١٣١ ، والدر المنثور ٤/ ٢٤١ ، وزاد نســبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم ، وتفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١٠١ ، بلا نسبة .

(٥) ورد في تفســير الســمرقندي ٢/ ٢٤٧ ، بنصه ، والثعلبي ٢/ ١٦٢أ ، بنصه ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٣٨ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٨٤ ، والفخر الرازي ٢٠/ ١٠١ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٦٧ ، والخازن ٣/ ١٣١ ، والأولى ترك اللفظ على عمومه ليشــمل كل منكر قولي أو فعلي ، عرف بالشرع أو العقل أو العرف ، كما أنه ليس كل ما لم يعرف في شريعة أو سنة يُعدُّ منكراً .

(٦) ما بين القوسين مكتوب على الهامش الأيمن من نسخة (ش) .

(٧) أخرجــه الطــبري ١٤/ ١٦٣ بنصه من طريق عــلي صحيحة ، وانظر : تفســير البغــوي ٥/ ٣٨ ، وابــن الجوزي ٤/ ٤٨٤ ، والدر المنثور ٤/ ٢٤١ ، وزاد نســبته إلى ابن المنــذر وابن أبي حاتم ، وورد غير منســوب في تفســير الثعلبي ٢/ ١٦٢أ ، بنصه ، والفخر الرازي ٢٠/ ١٠١ ، وتفســير القرطبي ١٠/ ١٦٧ ، والخازن ٣/ ١٣١ .

(٨) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١٠١ .

وقال أهل المعاني في هذه الآية : إنما جمعت الأوصاف الثلاثة للبيان عن تفصيل المنهي عنه؛ فالفحشاء قد تكون بما يفعله الإنسان مما لا يظهر أمره وهو مما يعظم قبحه ، والمنكر : ما يظهر للناس مما يجب إنكاره ، والبغي : ما يتطاول به من الظلم لغيره ، ولا يكون إلا من الفاعل على غيره ، والظلم قد يكون ظلم الفاعل لنفسه[١] ، وفي حديث أبي سلمة عن أبيه : «وإن أعجلَ المعصيةِ عقاباً : البغي واليمين الفاجرة؛ تُذهبُ المالَ وتَترك البيتَ بَلَاقِع»[٢] .

وروى مجاهد عن ابن عباس قال : لو[٣] أن جبلاً بغى على جبل لدُكَّ الباغي منهما[٤] ، وقال خالد الربعي[٥] : إن مما يعجل عقوبته ولا يؤخر الأمانة تُخَان ، والإحسانُ يُكْفَر ، والرحم تُقْطَع ، والبغي على الناس[٦] .

وقوله تعالى : ﴿ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ . قال ابن عباس : يريد ينهاكم عن هذا كله ويأمركم أن تتحاضوا على ما فيه لله رضا؛ لكي تتعظوا[٧] ، قال

---

(١) ورد في تفسير الجصاص ٣/ ١٩٠ ، بنحوه ، وتفسير الطوسي ٦/ ٤١٩ ، بنصه .

(٢) سبق تخريجه قريباً ، أما هذه الزيادة فقد وردت بنحوها عن أبي هريرة : في معجم الطبراني الأوسط ، مجمع البحرين ٤/ ٦٨ ، والسنن للبيهقي ١٠/ ٣٥ ، بَلَاقِع : جمع بَلْقَع وبلقعة ، وهي الأرض القَفْر التي لا شيء بها ، يريد أن الحالف بها يَفْتَقِر ويذهب ما في بيته من الرزق ، وقيل : هو أن يفرِّق الله شمله ويُغَيِّر عليه ما أولاه من نِعَمِه . النهاية ١/ ١٥٣ ، وانظر : اللسان (بلقع) ١/ ٣٤٨ .

(٣) في النسخ جميعها : (لو قال) ، ولا معنى لها ، والظاهر أنها تكررت .

(٤) ورد في تفسير هود الهواري ٢/ ٣٨٤ ، بنصه ، وانظر :ه بلا نسبة في تفسير القرطبي ١٠/ ١٦٧ ، والخازن ٣/ ١٣١ .

(٥) خالد بن بَاب الربعي الأحدب ، روى عن شهر بن حوشب وصفوان بن محرز ، وروى عنه أبو الأشهب وحميد بن مهران ، قال أبو زرعة : متروك الحديث . انظر : التاريخ الكبير ٣/ ١٤١ ، والجرح والتعديل ٣/ ٣٢٢ ، وميزان الاعتدال ٢/ ١٥١ .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) أخرجه الطبري ١٤/ ١٦٣ من طريق ابن أبي طلحة ، قال : يوصيكم ، وانظر : تفسير الخازن ٣/ ١٣١ ، بنحوه غير منسوب .

ابن مسعود : إن أجمع آية في القرآن لخير وشر هذه الآية[١] ، وقال أهل المعاني : ذكر الله تعالى في الآية الأولى ، فقال : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ ، ثم بين في هذه الآية المأمور به والمنهي عنه مجملاً ، فما من شيء يُحتاجُ إليه في أمر دينهم مما يجب أن يؤتى أو يترك إلا وقد اشتملت عليه هذه الآية[٢] .

٩١. قوله تعالى : ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾ . قال المفسرون وأهل العلم : العهد الذي يجب الوفاء به فهو الذي يحسن فعله ، فإذا عاهد يجب الوفاء به[٣] ، قال ابن عباس في هذه الآية : والوعد من العهد[٤] ، وقال ميمون بن مِهْران : من عاهدته فَفِ له بعهده مسلماً كان أو كافراً؛ فإنما العهد لله[٥] .

---

(١) أخرجه البخاري ١٦٦ ، ٤٨٩ في الأدب المفرد/ الألباني ، باب : الظلم ظلمات ، بنحوه ، والطبري ١٤/ ١٦٣ ، بنصه وبنحوه ، والطبراني في الكبير ٩/ ١٤٢ ، من طرق عدة بنصه وبنحوه ، والحاكم ، تفسير النحل ٢/ ٣٥٦ ، بنصه ، وقال : على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ، والبيهقي في الشعب ٢/ ٤٧٣ ، بنصه ، وورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٦٢أ ، بنحوه ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٣٩ ، وابن عطية ٨/ ٤٩٣ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٨٤ ، والفخر الرازي ٢٠/ ١٠٠ ، والخازن ٣/ ١٣١ ، والدر المنثور ٤/ ٢٤١ ، وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور ومحمد بن نصر في الصلاة ، وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) انظر : تفسير الخازن ٣/ ١٣١ ، بنصه ، وحَمْلُ الآية على العموم أولى من التخصيص ، خاصة أن بعض الروايات ضعيفة ، وقد ضَعَّفَ الفخر الرازي تخصيص الآية بما ورد من أقوال منسوبة أو مطلقة ، ورأى أن تخصيص الآية تَحَكُّم من دون داعٍ أو دليل ، وقبله ضعف ابن عطية القول الأول في تفسير العدل والإحسان لكونه مخالفاً لتفسير الرسول ﷺ للإحسان ، وعزا ذلك إلى احتمال ضعف الأثر عن ابن عباس ، وقال : فإن صح هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما ـ وقد صح ـ فإنما أراد أداء الفرائض مكمَّلة . انظر : تفسير ابن عطية ٨/ ٤٩٤ ، والفخر الرازي ٢٠/ ١٠١ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٦٦ .

(٣) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٤٣٣ بنصه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٨٤ ، بنصه .

(٤) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١٠٦ ، بنصه ، وبلا نسبة في تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٨٤ .

(٥) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١٠٧ ، بنصه ، وأبي حيان ٥/ ٥٣٠ .

وقولــه تعــالى : ﴿ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ . قــال مجاهد : يعني تغليــظ الحلف[١] ، وقال ابن عباس بعد تشــديدها[٢] ، وإنما قال : بعد توكيدها؛ فرقاً بين الأيمان المؤكدة بالعزم والعقد ، وبين لغو اليمين[٣] .

قال أبو إســحاق : يقال : وَكَّدتُ وأَكَّدْتُ لغتان جيدتــان ، والأصل الواوُ والهمزة بدل منها[٤] .

وقوله تعالى : ﴿ وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ ، هــذه واو الحال؛ أي لا تنقضوهــا ، وقد جعلتم الله كفيلاً عليكم بالوفاء ، وذلك أن من حلف بالله تعالى فكأنه أكفل الله تعالى بالوفاء بما حلــف عليه[٥] ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ قال ابن عباس : يريد لا يخفى عليه شيء[٦] .

٩٢. قولــه تعــالى : ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا ﴾ . قال ابن عباس : هي امرأة من قريش كان لها وسوســة ، وكانت تغزل عند الحجر يومها ثم تغدو فتنقضــه[٧] ، وقال الكلبي : كان يقال لهــا : رايطة ، وقيل :

---

(١) تفســير مجاهد ٤٢٤ ، بنحوه ، أخرجه الطبري ١٤/ ١٦٤ ، بنحوه من طريقين ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٠١ ، بنحوه ، والدر المنثور ٤/ ٢٤٢ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) ورد غير منســوب في تفسير الســمرقندي ٢/ ٢٤٩ ، وهود الهواري ٢/ ٣٨٤ ، والثعلبي ٢/ ١٦٢أ ، والبغــوي ٥/ ٣٩ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٨٤ ، وأخرجه الطــبري ١٤/ ١٦٤ بلفظه عن قتادة ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٤٢ ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة .

(٣) نقله الفخر الرازي والقرطبي بنصه من دون عزو . انظر : تفســير الفخر الرازي ٢٠/ ١٠٧ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٧٠ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢١٧ ، بنصه .

(٥) نقله الفخر الرازي بنصه تقريباً من دون عزو . انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١٠٨ .

(٦) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٤٣٣ ، بنصه .

(٧) ورد بنحوه بلا نســبة في تفســير ابن عطية ٨/ ٥٠٠ ، والتعريف والإعلام بما أبهم في القرآن للسهيلي ١٧٢ ، وعُزي إلى المهدوي في تفســير مبهمات القرآن للبلنسي ٢/ ١١٥ ، بنحوه ، وعُزِي إلى السدي في مُفْحِمات الأقران ٩٧ ، مختصراً .

رَيْطــة[١] ، وتُلَقَّب جعر[٢] ، وكانت حمقاء تغزل الغزل هي وجواريها ، فإذا غزلت وأبرمت أمرتهنَّ فنقضنَ ما غزلن[٣] .

(١) قال ابن الأنباري : واســمها ريطــة بنت عمرو المريَّة . تفســير ابن الجوزي ٤/ ٤٨٥ ، وفي تفســير أبي حيان ٥/ ٥٣١ أنها بنت ســعد بــن تيم ، وفي المبهــمات في القرآن للبلنــسي ٢/ ١١٥ : أنها بنت سعد بن زيد بن مناة بن تميم بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة ، ولم يظهر لي إن كانت صحابية أم لا ، ولم يتبين لي إن كانت هي رَيْطَة أو رائطة بنت الحارث بن جُبيلة بن سعد بن تيم بن مرة القرشية ، وقد ذكرت ـ من دون الإشــارة إلى قصة الغزل ـ في الاســتيعاب ٤/ ٤٠٤ ، وأسد الغابة ٧/ ١٠٥ ، والإصابة ٤/ ٢٩٩ .

(٢) في تفســير مقاتل ١/ ٢٠٦ب ، والتعريــف والإعلام ١٧٢ : (جعرانة) ، وفي تفســير مبهمات القرآن للبلنــسي ٢/ ١١٥ : (الجعرانية) ، وفي تفســير الثعلبي ٢/ ١٦٣ب : (جَعْير) ، وفي تفســير الماوردي ٣/ ٢١١ : (جعدة) ، وفي تفســير ابن الجوزي ٤/ ٤٨٥ : (جعراء) ، وكلمة (جعر) تستعمل في الذم ووصف الدُّبــر والرجيع ، يقال : جَعَرَ الكلبُ جعْراً يَجْعَــر ، والجاعرتان حيث يكوى من الحمار من مؤخِّره ، وفي اللسان : والجِعرَّى : كلمة يلام بها الإنسان؛ كأنه يُنْسبُ إلى الاست ، وبنو الجعراء : حيٌّ من العرب يُعيَّرون بذلك ، وقال ابن السِّــكيت : تُشتمُ المرأة ، فيقال لها : قُومي جَعارِ ، تُشبَّه بالضبع . انظر : مقاييس اللغة ١/ ٤٦٣ ، واللسان (جعر) ٢/ ٦٣٣ .

(٣) ورد في تفســير الثعلبي ٢/ ١٦٢ب ، بنحوه ، وانظر : تفســير البغــوي ٥/ ٣٩ ، والخازن ٣/ ١٣٣ ، وتفســير الألوسي ١٤/ ٢٢١ ، وورد بنحوه غير منســوب في تفســير مقاتــل ١/ ٢٠٦ب ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١١٣ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ١٠٢ ، وتفســير الطوسي ٦/ ٤٢١ ، والزمخشري ٢/ ٣٤٢ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٨٥ ، والفخر الرازي ٢٠/ ١٠٨ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٧١ وسواءً تعينت هــذه المرأة ـ كما في رواية الكلبي ـ أم لم تتعين كما في رواية ابن عباس ، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، والمقصود من الآية تشبيه الناقضين للعهود مع الله تعالى أو مع الرسولﷺ أو مع خلقه بهذه الحالة العجيبة التي يستنكرها العقلاء ، تنفيراً لهم من هذا الخلق الذميم والفعل الشنيع .

وقوله تعالى : ﴿مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ﴾ . قال مجاهد : من بعد إمرارٍ[١] وفتلٍ[٢] ، يعني من بعد قوة للغزل ، بإمرارها[٣] وفَتْلِها .

وقوله تعالى : ﴿أَنكَٰثًا﴾ قال : واحدها نِكْث ، وهو الغَزْل من الصوف والشَّعَر ؛ يُبْرَم ويُنْسَج ، فإذا أَخْلَقَت النَّسِيْجَة ، قُطِّعَتْ ونُكِثَتْ خُيوطُها المُبْرمة وخُلِطَت بالصوفِ ومِيشتْ[٤] ، ثم غُزِل ثانية ، والنَّكْثُ المصدر ، ومن هذا قيل : نَكَث فلانٌ عهدَه إذا نقضه بعد إحكامه ، كما يُنْكَث خيطُ الصوف بعد إبرامه[٥] ، وأنشد أبو عبيدة[٦] للمُسَيَّب بن عَلَس[٧] :

عن غَيرِ مَقْلِيَةٍ وأنَّ حِبَالَهَا ... لَيْسَتْ بأنكاثٍ ولا أقطاعِ[٨]

---

(١) في (ش) و(ع) : (إبرام) ، وكلاهما صحيح ؛ لأن معناهما واحد ، ففي اللغة : المِرَّة : شِدَّةُ الفَتْل ، والمَرير : الحبل المفْتُول ، أمْرَرْتُه إمْرَاراً وفَتَلَ الحبلَ فتْلاً : لواهُ وبَرَمَهُ ، والبرمة : اسم من إبرام الحبل ، وبرمتُ الحبلَ وأبرمْتُه ، والمِبْرَمُ : شيءٌ كالمِغزَل . انظر : المحيط في اللغة (مرٌّ) ١٠/ ٢١٨ ، (برم) ١٠/ ٢٤٢ ، والمعجم الوسيط ٢/ ٦٧٣ .

(٢) تفسير مجاهد ٤٢٤ ، بنحوه ، أخرجه الطبري ١٤/ ١٦٦ ، بنحوه من طريقين ، وانظر : تفسير ابن عطية ٨/ ٥٠١ ، وأبي حيان ٥/ ٥٣١ .

(٣) في (ش) و(ع) : (بإمرارها) ، والمعنى واحد كما سبق .

(٤) في (ش) و(ع) : (ونُفِشت) ، ومعنى (المَيْشُ) : خَلْطُ الصُّوفِ والشَّعَرِ . المحيط في اللغة (ميش) ٧/ ٤٠٠ .

(٥) ورد في تهذيب اللغة (نكث) ٤/ ٣٦٥٨ ، بنحوه ، وانظر : اللسان (نكث) ٨/ ٤٥٣٦ ، والتاج ٣/ ٢٧٣ .

(٦) في النسخ جميعها : أبو عبيد ، والصحيح المثبت .

(٧) زهير بن عَلَس ، ولقبه المسيَّب ، وهو خال الأعشى ، وكان الأعشى راويته ، وهو جاهلي ولم يدرك الإسلام ، عدَّه الجمحي في الطبقة السابعة من فحول شعراء الجاهلية ، وكان من المُقِلِّين . انظر : طبقات فحول الشعراء ١/ ٢١ ، والشعر والشعراء ٩٥ ، وشرح اختيار المفضل ١/ ٣٠٢ ، والخزانة ٣/ ٢٤٠ .

(٨) مجاز القرآن ١/ ٣٦٧ ، وورد برواية : (بأرْمام) بدل (بأنكاث) ، في المفضليات ٦١ ، وأمالي القالي ٣/ ١٣٠ ، وشرح اختيارات المفضل ١/ ٣٠٤ ، وفي كل المصادر ما عدا الأمالي : (من) بدل (عن) . المقلية : البغض ، حبالها : ما احتلبته من مودة ، حبلٌ أرمام ، وحبلٌ أقطاع : إذا كان قِطعاً مُوَصَّلة . =

قال أبو إسحاق : ﴿أَنكَاثًا﴾ منصوب؛ لأنه بمعنى المصدر؛ لأن معنى نكثت : نَقَضْتُ ، ومعنى نقضت : نكثت[١] ، وهذا غلط منه لأن الأنكاث جمع نكث ، وهو[٢] اسم لا مصدر ، فكيف يكون الأنكاث بمعنى المصدر؟ ولو كان[٣] نكثاً لصح ما قال ، ولكن أنكاثاً مفعول ثانٍ ، كما تقول : كسره أقطاعاً ، وفرقه أجزاءً على معنى جعله أقطاعاً وأجزاءً[٤] ، وهاهنا تم الكلام ، والآية متصلة بما قبلها ، والمعنى : ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ فتكونوا إن فعلتم كامرأة غزلت غزلاً وقَوَّتْ مِرَّتَهُ فلما اسْتَحْكَم نقضته فجعلته أنكاثاً ، وهذا كلام [ابن][٥] قتيبة[٦] ، ثم قال : ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾ الدَّخَلُ والدَّغَلُ : الغِش والخيانة[٧] ، قال الليث : ويخفف الدَّخل ويُثَقَّل[٨] ، قال الفرَّاء : يعني دَغَلاً وخديعة[٩] .

= والشاعر يخاطب نفسه معاتباً إياها على الرحيل من أرض سلمى وديارها ولمَّا يستمتع بها أو يرى منها مكروهاً ، ويواصل عتابه في هذا البيت قائلاً : آثرت ذلك ، وهَوَى النفسِ كما كان لم يتسلَّط عليه تحيُّفٌ ، وحبل الوصل برُمَّته لم يَضعُف .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢١٧ ، بنصه .

(٢) في (د) : (وهم) .

(٣) (كان) ساقطة من (د) .

(٤) نقله الفخر الرازي ٢٠/ ١٠٨ ، وعزاه إلى الواحدي .

(٥) ساقطة من النسخ جميعها .

(٦) تأويل مشكل القرآن ٣٨٦ ، بنصه تقريباً .

(٧) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٦٢ب ، بنحوه ، والطوسي ٦/ ٤٢١ ، بنحوه ، ونقله الفخر الرازي ٢٠/ ١٠٨ ، بنصه وعزاه إلى الواحدي . وانظر : تهذيب اللغة (دخل) ٢/ ١١٥٩ ، والصحاح ٤/ ١٦٩٦ ، واللسان :/ ١٣٤٢ .

(٨) ورد في تهذيب اللغة (دخل) ٢/ ١١٥٩ ، بنحوه .

(٩) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١١٣ ، بنصه .

[وقال الزَّجَّاج أي غِشًّا وغِلًّا ، وكل ما دخله عيب قيل : هو مَدْخُول ، وفيه دَخَل ، قال : و﴿دَخَلًۢا﴾ منصوب][1] ؛ لأنه مفعول له ، والمعنى : تتخذون أيمانكم للغش والدَّغَل[2] ، قال غيره : الدَّخَل : ما أُدْخِل في الشيء على فساد[3] .

وقوله تعالى : ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ ، أَرْبَى ؛ أي أكثر ، من رَبَا الشيءُ يَرْبُو إذا كثر[4] ، قال مجاهد : كانوا يحالفون الحلفاء فيجدون أكثر منهم وأعزَّ ، فينقضون حِلْف هؤلاء ، ويحالفون هؤلاء الذين هم أعزّ ، فنُهوا عن ذلك[5] ، والمعنى : بأن يكون أو لأن يكون ، فموضع (أن) نصب بإسقاط الخافض ، على قول من نصب ، [ومن أبقى حُكْمَ الخافض][6] قال موضعه خفض ، قال ابن قتيبة أي لأن يكون قوم أغنى من قوم ، وقوم أعلى من قوم ، تريدون أن تقْتَطِعوا بأيمانكم حقوقاً لهؤلاء ، «فتجعلوها لهؤلاء»[7] ، وقال الفرَّاء : معناه لا تغدروا بقوم لقلَّتهم وكثرتكم أو قِلَّتكم وكثرتهم ، وقد غَرَّرتموهم بالأيمان فسكَنُوا إليها[8] .

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (د) .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢١٧ ، بتصرف يسير بالتقديم والتأخير .

(٣) ورد في تفسير الطوسي ٦/ ٤٢١ ، بنصه ، وقال : وإنما قيل : الدخل؛ لأنه داخل القلب على ترك الوفاء ، والظاهر على الوفاء .

(٤) انظر : تهذيب اللغة (ربا) ٢/ ١٣٣٤ ، والمحيط في اللغة (ربو) ٣/ ١٥٤٥ ، واللسان (ربا) .

(٥) تفسير مجاهد ٣٥١ ، بنصه ، وأخرجه الطبري ١٤/ ١٦٧ بنصه من طريقين ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٠٣ ، بنحوه ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٤٨ ، بنحوه ، وهود الهواري ٢/ ٣٨٥ ، بنصه ، والثعلبي ٢/ ١٦٢ب ، بنحوه ، والطوسي ٦/ ٤٢٢ ، بنصه ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٤٠ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٨٦ ، والفخر الرازي ٢٠/ ١٠٩ ، وابن كثير ٢/ ٦٤٤ ، والدر المنثور ٤/ ٢٤٣ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ش) و(ع) .

(٧) تأويل مشكل القرآن ٣٨٦ ، بنصه ، وما بين التنصيص مصوَّبٌ من المصدر ، وفي النسخ : (فتجعلونها كهؤلاء) .

(٨) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١١٣ ، بنصه .

وبيان هذه الجملـــة : أن القوم إذا عاهدوا قوماً أكثر من الذين عاهدوا ، فهم أمـــة أربى من أمة ، لا يجوز لهم أن يغدروا ، وكذلك إن كان على القلب من هذا[١] وعاهدوهم ، دخلوا في حلفهم خوفاً منهم لم يجز لهم الغدر ، وتلخيص التأويل : النهي عن أن يحلف على ما هو منطوٍ على خلافه وأن يغر غيره بيمينه .

وقوله تعالى : ﴿ تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ ﴾ ظاهره إخبار ومعناه النهي ، والتقدير : لا تكونوا كتلك المرأة متخذين أيمانكم للغش ، بأن يكون قوم أكثر من قوم ، قال الفرَّاء : وموضع ﴿ أَرْبَىٰ ﴾ نصب ، وإن شـــئت رفعت ، كـــما تقول : أظن رجلاً يكـــون هو أفضل منك ، و(أفضل) النصبُ على العِـــمَاد[٢] ، والرفع على أن تجعل (هو) اسماً[٣] ، قال الزَّجَّاج : موضعُ ﴿ أَرْبَىٰ ﴾ رفعٌ ولا يجوز أن تكون نصباً ، وهي تكون عـــماداً؛ لأن العماد والفصل لا يكون مع النكرات وإنما يكون مع المعارف ، كقولـــه : ﴿ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا ﴾ [المزمـــل :٢٠] ، والهاء في تجدوه معرفة ، و﴿ أُمَّةٌ ﴾ هاهنا نكرة[٤] .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ﴾؛ أي بـــما يأمركم وينهاكم ، وقد تَقَدَّم ذكر الأمـــر والنهي ، والكناية راجعة إلى الأمـــر؛ أي يختبركم الله بالأمر بالوفاء ، وقال بعضهـــم : الكناية راجعة إلى التكليف[٥] ، وأمـــره ونهيه بمعنى التكليف ،

---

(١) أي على العكس من الحالة الأولى؛ بأن كانوا هم الأكثر والأقوى .

(٢) العماد تَسْمِيةٌ كوفية لضمير الفصل ، سمي بذلك لأنه يُعتمد عليه في التفرقة بين النعت والخبر؛ إذ يأتي ليبين أن ما بعد المبتدأ هو الخبر لا التابع ، وله شروط . انظر : البيان في غريب إعراب القرآن ٢/ ٨٣ ، والدر المصـــون ٧/ ٢٨٢ ، ومعجم القواعد العربية للدُّقر ٢٩٤ ، والمعجـــم المفصل في النحو العربي ٢/ ٦٩٦ ، ومعجم المصطلحات النحوية والصرفية ١٧٣ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١١٣ ، بنصه .

(٤) ليس في معانيه ، وورد في تفسير الطوسي ٦/ ٤٢١ ، بنحوه .

(٥) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٨٦ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٧١ ، وأبي حيان ٥/ ٥٣١ .

ومعنى ﴿يَبْلُوكُمْ﴾ : يعاملكم معاملة المختبر ، وذكرنا هذا في قوله : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ [البقرة :١٥٥] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾؛ أي في الدنيا ، قال المفسرون أي من شأن البعث والقرآن[١] ، وقال أهل المعاني : هو عام في ما يقع الاختلاف فيه من الأصول والفروع[٢] .

٩٣. قوله تعالى : ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ . قال ابن عباس : يريد على ملة وعلى دين واحد[٣] ، ﴿وَلَـٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ . قال : يريد الضلالة بعينها والهدى بعينه ، ﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ قال : يريد في الدنيا ، وهذه الآية صريحة[٤] في تكذيب القدرية؛ حيث أضاف الضلالة والهداية إلى نفسه ، وجعلها لمن شاء من خلقه بالمشيئة الأزلية التي لا يجوز عليها الحدوث ، ثم أخبر أنهم يسألون عن أعمالهم ، فبان أن الأمر على ما أخبر الله تعالى في قوله : ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء :٢٣] ،وقد قال نوف البكالي : قال [عُزير][٥] : يا رب تخلق خلقاً فتضل من تشاء وتهدي من تشاء ، فقيل : يا عُزير أعرض عن هذا ، فأعاد ذلك ، فقيل : أعرض عن هذا ، فأعاد

---

(١) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٤٣٥ ، بنصه .

(٢) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٤٣٥ ، مختصراً .

(٣) انظر : تنوير المقباس ٢٩٢ ، بنحوه ، وورد بنحوه غير منسوب في تفسير الطبري ١٤/ ١٦٨ ، والسمرقندي ٢/ ٢٤٨ ، والثعلبي ٢/ ١٦٢ب ، والبغوي ٥/ ٤٠ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٧٢ ، والخازن ٣/ ١٣٢ .

(٤) في النسخ جميعها : (صريح) ، وما أثبته هو الصواب؛ لكون الآية مؤنثة ، والخبر يتبع المبتدأ في التذكير والتأنيث .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من النسخ جميعها ، وقد ذكرها الفخر الرازي نقلاً عن الواحدي .

فقيل : أعرض عن هذا وإلا مُحِيْتَ عن النُّبُوة ، أنا لا أسئل عما أفعل وهم يسألون[١] .

٩٤. قوله تعالى : ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ﴾ الآية . استأنف نهياً عن أيمان الخديعة والمكر ، توكيداً للمنع عنها ، ولِمَا ذكر من الوعيد بعدها ، وهو قوله : ﴿فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا﴾ . قال ابن عباس : يريد تزل عن الإيمان بعد المعرفة بالله ، قال أبو عبيدة : وزليل القدم مثل لكل مبتلى بعد عافية أو ساقط في وَرْطَة بعد سلامة[٢] ، وأنشد ابن جرير على هذا :

سَيَمْنَعُ منكَ السَّبْقُ إن كُنْتَ سابِقاً وتُقْتَلُ إن زَلَّتْ بِكَ القدمانُ[٣]

لم يُرد حقيقة زلَّة القدم ، ولكن أراد إن تأخر فرسُك عن غاية السباق وقعت في ورطة التأخر ، وهذا البيت في قصة رهان داحس[٤] ، قال المفسرون : وهذا في نهي الذين بايعوا رسول الله ﷺ عن نقض عهده[٥] ؛ لأن هذا الوعيد إنما يُستَحقُّ

---

(١) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١٠٩ ، بنصه وعزاه إلى الواحدي ، وليس لهذه الرواية سند ، ويبدو أنها من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب .

(٢) مجاز القرآن ١/ ٣٦٧ ، بنصه تقريباً .

(٣) تفسير الطبري ١٤/ ١٦٩ ، برواية : (تُلْطَعُ) بدل (تُقتل) ، و(النَّعْلان) بدل (القدمان) ، وورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٦٢ب ، برواية : (تُلْطَمُ) ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٧٢ .

(٤) يوم داحس والغبراء من أيام العرب المشهورة ، بدايتها حرب وقعت بين قبيلتي عبس وذبيان ، بسبب خلاف على سباق خيل بين أفراس لحذيفة سيد ذبيان ، وأخرى لقيس بن زهير سيد عبس ، لكنها شملت قبائل أخرى هي شيبان وضبة وأسد وقبائل أخرى ، واستمرت فترة طويلة ، وامتدت حتى بزوغ فجر الإسلام ، وكثرت وقائعها ، واقترن بها شهرة بعض الأبطال ، كعنترة بن شداد ، وقيل فيها شعر كثير . انظر : أحداث الحرب وأسبابها وملابساتها بالتفصيل في الأغاني ١٧/ ١٩١ـ٢١٠ ، والكامل في التاريخ ١/ ٣٤٣ـ٣٥٥ ، وتاريخ العرب القديم ٢١٦ .

(٥) ورد بنحوه في تفسير الطبري ١٤/ ١٦٩ ، وهود الهواري ٢/ ٤٢٣ ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٨٧ ، والفخر الرازي ٢٠/ ١١٠ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٧٢ ، والخازن ٣/ ١٣٣ .

في نقــض معاهدة رســول الله ﷺ لا[١] في نقض عهد قبيلــة ، [ولكن من عاهد رسول الله ﷺ][٢] على الإســلام ونصرة الدين ، ثم نقض العهد سقط عن درجة الإيمان ، يدل على هذا قوله : ﴿وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ﴾؛ أي العذاب ، ﴿بِمَا صَدَدتُّمۡ﴾؛ أي بصدكم عن ســبيل الله ، (يريد أنهم إذا نقضوا العهد مع النبي ﷺ)[٣] صدوا الناس عنه واستحقوا العذاب ، فنهوا عن ذلك بذكر الوعيد عليه .

وقوله تعــالى : ﴿وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ . قال ابن عباس : يريد في الآخرة[٤] ، وهــذا قطعٌ بإيجــاب العذاب إن فَعلوا مــا نُهوا عنه ، كأنــه قيل : ﴿وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ إن اتخذتم أيمانكم دخلاً ، ودلَّ مــا تَقَدَّم من النهي على هذا المحذوف ، ثم زاد توكيداً ، فقال :

٩٥ . ﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾ . قال ابن عباس : يريد عرض الدنيا وإن كان كثــيراً[٥]؛ لأن ما يذهب ويبلى قليــل ، وذكرنا ما في هذا عند قولــه : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمــران :٧٧] . قــال المفسرون : يقــول : لا تنقضوا عهودكم ، تطلبــون بنقضها عِوضاً مــن الدنيا[٦] ﴿إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ مــن الثــواب عــلى الوفــاء ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ ذلك ، ثم بين أن ما عنده خير بقوله :

---

(١) (لا) ساقط من (أ) و(د) .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (د) .

(٣) ما بين التنصيص كتب على هامش لوحة ٢٥٩أ ، من نسخة (ع) .

(٤) انظر : تنوير المقباس ٢٩٢ ، وورد غير منسوب في تفسير الطبري ١٤/ ١٦٩ ، والسمرقندي ٢/ ٢٤٩ ، والزمخشري ٢/ ٣٤٣ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٨٧ ، وتفسير الألوسي ١٤/ ٢٢٤ .

(٥) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١١١ ، بلا نسبة .

(٦) ورد بنحوه في تفســير الطبري ١٤/ ١٦٩ ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٤١ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٨٨ ، والخازن ٣/ ١٣٣ .

٩٦. ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ﴾؛ أي يفنى وينقطع ، يعني الدنيا ، ﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾؛ أي من الثواب والكرامة ، ﴿ بَاقٍ ﴾ دائم لا ينقطع ، قال ابن عباس : يريد لا ينفد ، كلما أخذت منه وأكلت منه صار مكانه مثلُه ، فمعنى [لا][1] يفنى هذا ، وهذا ردٌّ على من قال : إن نعيم أهل الجنة ينقطع ، ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ ﴾ . قال ابن عباس : يريد على دينهم وعمَّا نهاهم الله[2] ، ﴿ بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ يعني الطاعات ، وجعلها أحسن أعمالهم؛ لأن ما عداها من الحَسَن مباح ، فما كان مباحاً من العمل فهو حسن ولا يستحق عليه جزاء[3] ، وما كان طاعة لله تعالى فهو الأحسن الذي وعد الله عليه الجزاء ، ومن جزاه الله بأحسن عمله غفر له ذنوبه ، وهذه الآيات زجر عن الأيمان الكاذبة في ما كانت ، وحَثٌّ على الوفاء بالعهود والأيمان ، وذكر الكلبي : أن هذه الآيات نزلت في امرئ القيس بن عابس الكندي[4] ، وفي خصمه

---

(١) إضافة يقتضيها السياق ليستقيم الكلام ، واحتمال أن الجملة انقلبت على النساخ ، وأصلها : «فهذا معنى لا يفنى» .

(٢) ورد بنصه غير منسوب في تفسيره الوجيز ١/ ٦١٩ .

(٣) إلا إذا انضمت إليه النية الصالحة ، فإنه يصبح عملاً مباحاً متقرباً به إلى الله ، فينال صاحبه الأجر من الله ، كما في حديث «وفي بضع أحدكم صدقة» . أخرجه مسلم (١٠٠٥) ، كتاب : الزكاة ، باب : بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف .

(٤) امرؤ القيس بن عابس الكندي ـ رضي الله عنه ـ صحابي ، وفد إلى النبي ﷺ فأسلم ، وثبت على إسلامه ، ولم يكن في من ارتد من كندة ، وكان شاعراً نزل الكوفة في أواخر عمره ، وتوفي بها نحو سنة ٢٥هـ . انظر : الاستيعاب ١/ ١٩٤ ، وأسد الغابة ١/ ١٣٧ ، والأعلام ٢/ ١١ .

عيدان بن أشـــوع[١]؛ كان يَدَّعي عليه أرضاً اقتطعها له ، وأراد امرؤ[٢] القيس أن يحلف ، فلما سمع هذه الآيات بكى وأقَرَّ له بحقه[٣] .

٩٧. قولـــه تعالى : ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ . قال ابـــن عباس في رواية أبي الربيع[٤] وأبي مالك : هي الـــرزق الطيب الحلال[٥] ، ونحو هذا روى الكلبي عن أبي صالح عنه قال : لنجعلن رزقه حلالاً[٦] .

وقال في رواية عطاء : يريد عبادة الله وأكل الحلال[٧] .

---

(١) عيدان بن أشـــوع ـرضي الله عنهـ هو رَبِيعَـــةُ بن عَيْدَان بن ذي العرف بن وائـــل الكِنْدِي ، ويقال : الحضرمي ، شهد فتح مصر ، وله صحبة ، وهو الذي تخاصم مع امرئ القيس في أرض إلى النبي ﷺ . انظر : أسد الغابة ٢/ ٢٦٦ ، والإصابة ٣/ ٥١ .

(٢) في النسخ جميعها : (امرئ) ، وهو خطأ نحوي ظاهر .

(٣) أخرج القصة الطبراني في الكبير ١/ ٢٣٣ ، عن الأشـــعث ، ووردت في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٤٩ ، وانظر : تفســـير ابن الجوزي ٤/ ٤٨٧ ، عن ابن عباس ، وتنوير المقباس ٢٩٢ ، ووردت بلا نســـبة في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٧أ ، باختصار ، وهود الهواري ٢/ ٣٨٦ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٧٣ .

(٤) لم أقف عليه .

(٥) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٢/ ٣٦٠ ، بنحوه من طريـــق أبي الربيع ، والطبري ١٤/ ١٧٠ ، بنحوه بروايـــات عدة من الطريقين ، وطريق أبي مالك ضعيفـــة ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٠٣ ، بنحوه ، وتفســـير الثعلبـــي ٢/ ١٦٢ب بنصه ، والماوردي ٣/ ٢١٢ ، بنحـــوه ، والطوسي ٦/ ٤٢٤ ، بنحوه ، وانظر : تفســـير الزمخشري ٢/ ٣٤٣ ، وتفسير ابن عطية ٨/ ٥٠٦ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٨٨ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٧٤ ، وتفسير أبي حيان ٥/ ٥٣٤ ، وابن كثير ٢/ ٦٤٥ ، والدر المنثور ٤/ ٢٤٤ وزاد نسبته إلى الفريابي وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٦) لم أقف عليه ، وهي أوهى الطرق إلى ابن عباس .

(٧) لم أقف عليه ، وهي طريق منقطعة .

وقال في رواية عكرمة : هي القناعة[١] ، وهو قول القرظي ووهب[٢] ومجاهد .
وقال في رواية الوالبي : هي السعادة[٣] .

وقال قتادة : هي رزق يوم بيوم[٤] .

وكان النبي ﷺ يقول في دعائه : «قنعني بما رزقتني»[٥] .

وفي ما روى أبو هريرة : أن النبي ﷺ كان يدعو : «اللهم اجعل رزق آل محمد كفافاً»[٦] .

---

(١) ورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٠٤ ، بلفظه ، وتفسير الثعلبي ٢/ ١٦٢ب ، بلفظه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٨٨ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٧٤ ، وأبي حيان ٥/ ٥٣٤ ، وابن كثير ٢/ ٦٤٥ ، وطريق عكرمة جيدة .

(٢) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٨٨ ، عن وهب ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٧٤ ، عن وهب ، وتفسير أبي حيان ٥/ ٥٣٤ ، عن وهب ، وتفسير ابن كثير ٢/ ٦٤٥ ، عن وهب ، والدر المنثور ٤/ ٦٤٥ ، ونسبه إلى وكيع في الغرر عن القرظي .

(٣) أخرجه الطبري ١٤/ ١٧١ بلفظه من طريق ابن أبي طلحة صحيحة عن ابن عباس ، ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٦٢ب ، بلفظه ، وتفسير الماوردي ٣/ ٢١٢ ، بلفظه ، وانظر : تفسير ابن عطية ٨/ ٥٠٦ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٨٩ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٧٤ ، والدر المنثور ٥/ ٦٤٥ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤) انظر : تفسير أبي حيان ٥/ ٥٣٤ ، وتفسير الخازن ٣/ ١٣٣ ، بلا نسبة .

(٥) جزء من دعاء النبي ﷺ ، رواه ابن عباس رضي الله عنهما ، وطرفه : «اللهم قنعني . . . .» . ، وقد أخرجه السهمي في تاريخ جرجان ٩١ ، والحاكم ، كتاب الدعاء ١/ ٥١٠ ، والتفسير : النحل ٢/ ٣٥٦ ، وقال : «صحيح» ، ووافقه الذهبي ، والبيهقي في الشعب ٧/ ٢٩١ ، وورد في تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١١٢ ، وتلخيص الحبير ٢/ ٢٤٨ ، والدر المنثور ٥/ ٦٤٥ ، وزاد نسبته إلى ابن جرير ـ لم أقف عليه ـ وابن المنذر وابن أبي حاتم ، وتفسير الألوسي ١٤/ ٢٢٧ .

(٦) أخرجه مسلم (١٠٥٥/ ١٩) ، كتاب : الزهد والرقائق بنصه ، وورد في الكنز ٦/ ٤٩٠ ، ٦١٢ ، وأخرجه برواية : (قوتاً) بدل (كفافاً) . أحمد ٢/ ٤٤٦ ، ٤٨١ ، والبخاري ٦٤٦٠ : الرقاق/ كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه ، وتخليهم عن الدنيا ، ومسلم ١٠٥٤ : الزكاة/ في الكفاف والقناعة ، والترمذي ٢٣٦٢ ، كتاب : الزهد/ ما جاء في معيشة النبي ﷺ وأهله ، وابن ماجه ٤١٣٩ ، كتاب : الزهد/ القناعة ، والبيهقي في : السنن : النكاح/ ما أمره الله تعالى به من اختيار الآخرة ٧/ ٤٦ ، والشُّعَب ٧/ ٢٩١ ، والدلائل : باب زهده في الدنيا وصبره على =

فقول من قال : إنه القناعة ، حسن مختار؛ لأنه لا يطيب في الدنيا إلا عيش القانع ، والمكدود بطلبها لا تطيب حياته[١] .

وقال السدي : ﴿ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ يعني في القبر[٢] .

قال الحسن وسعيد بن جبير : ﴿ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ في الآخرة[٣] ، فعلى هذا هذه الحياة في الجنة ، روى عوف[٤] عن الحسن قال : لا تطيب الحياة لأحد إلا في الجنة[٥] .

٩٨. قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾ الآية . قال الزَّجَّاج وجميع أصحاب المعاني : معناه : إذا أردت أن تقرأ القرآن فاستعذ[٦] ، ليس

= القوت ١/ ٣٣٩ ، وفي باب دعائه لأهله وهو يريد نفسه ٦/ ٨٧ ، وورد في الشفا ١/ ٢٧٨ ، والكنز ٦/ ٤٩٠ .

(١) وهذا القول هو الذي اختاره الطبري وصوَّبه . انظر : تفسير الطبري ١٤/ ١٧٢ .

(٢) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١١٣ ، والخازن ٣/ ١٣٣ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٨٩ ، عن شريك .

(٣) ورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٠٤ ، عن سعيد ، وانظر : تفسير ابن عطية ٨/ ٥٠٦ ، عن الحسن ، وابن الجوزي ٤/ ٤٨٩ ، عنهما ، والفخر الرازي ٢٠/ ١١٣ ، عنهما .

(٤) عوف بن أبي جميلة العبدي البصري ، المعروف بالأعرابي ، صاحب الحسن وابن سيرين ، ثقة ثبت ، روى عن أبي العالية ، وروى عنه شعبة والقطان ، مات سنة ١٤٧هـ . انظر : الجرح والتعديل ٧/ ١٥ ، وميزان الاعتدال ٤/ ٢٢٥ ، والكاشف ٢/ ١٠١ ، وتقريب التهذيب ٤٣٣ ، وتفسير الطبري ، تحقيق شاكر ١/ ١٣٤ .

(٥) أخرجه الطبري ١٤/ ١٧١ ، بنصه وبنحوه ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٠٤ ، بنصه ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٤٩ ، بنصه ، والثعلبي ٢/ ١٦٢ب ، بنصه ، وانظر : تفسير البغوي ٢/ ٤٢ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٧٤ ، والخازن ٣/ ١٣٣ ، والدر المنثور ٤/ ٢٤٥ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم .
وهذا قول صحيح ، لكن السياق يدل على أن الحياة الطيبة في الدنيا ، يقابلها قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه :١٢٤] ، وهذه المعيشة الضنك هي في الدنيا ، أما الأقوال التي ذكرت أنها : الرزق الحلال ، أو القناعة ، أو السعادة ، . . . فهي من باب التفسير بالمثال؛ لأن الحياة الطيبة تشمل كل ذلك .

(٦) بعض الكلمات هنا ساقطة من (أ) و(د) .

معناه اســتعذ بعد أن تقرأ القرآن؛ ومثله إذا أكلت فقل : بسم الله[١] ، وقد ذكرنا هذا عند قولــه : ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة :٦] ، وبينا حكم (إذا) في وقوع (ما) بعدها مستقبلاً في أوائل سورة البقرة وإجماع الفقهاء أن الاستعاذة تكون قبل القراءة[٢] .

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢١٨ ، بتصرف يسير ، وورد بنحوه في تفسير الطبري ١٤/ ١٧٣ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ١٠٥ ، وتفسير الجصاص ٢/ ١٩١ ، والسمرقندي ٢/ ٢٥٠ ، والثعلبي ٢/ ١٦٣أ ، وتفسير الماوردي ٣/ ٢١٢ ، والطوسي ٦/ ٤٢٤ ، وانظر : تفسير الكيالهراسي ٤/ ١٧٥ ، والبغوي ٢/ ٤٢ ، والزمخشري ٢/ ٣٤٣ ، وابن عطية ٨/ ٥٠٧ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٨٩ ، والفخر الرازي ٢٠/ ١١٤ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٧٥ .

(٢) في دعوى الإجماع نظر ، وقد خالفه بعض السلف وكبار الفقهاء ، وإن كان استدلالهم ضعيفاً أو مشكوكاً في نسبته إليهم ، قال الثعلبي : اختلف الفقهاء في وقت الاستعاذة ، فقال أكثرهم : قبل القراءة ، وهذا قول الجمهور ، وهو الصحيح المشهور ، وقال أبو هريرة رضي الله عنه : يتعوذ بعد القراءة ، وإليه ذهب داود ، وقال مالك يتعوذ بعد القراءة ، واحتجوا بظاهر الآية ، وقال الكيالهراسي : ونُقل عن بعض السلف التعوذ بعد القراءة مطلقاً ، احتجاجاً بالآية ، وقال النووي : وأما محله فقال الجمهور هو قبل القراءة ، وقال أبو هريرة وابن سيرين والنخعي : يتَعوذ بعد القراءة ، وكان أبو هريرة يتعوذ بعد فراغ الفاتحة لظاهر الآية ، وقال الجمهور معناه : إذا أردت القراءة فاستعذ ، وهو اللائق السابق إلى الفهم ، وقال القرطبي : رُوي عن أبي هريرة أن الاستعاذة بعد القراءة ، وقاله داود ، وقال ابن كثير : حُكي عن حمزة وأبي حاتم السجستاني أنها تكون بعد التلاوة ، واحتجا بهذه الآية ، وأبهم ابنُ العربي القائلين ووصفهم وصفاً قاسياً لا يليق بهم ، قال : انتهى العِيُّ بقوم إلى أن قالوا : إن القارئ إذا فرغ من قراءة القرآن حينئذ يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ، فهذه الأقوال تجعل دعوى الإجماع غير صحيحة ، بل الصحيح أنه قول الأكثر والجمهور ، كما نص الثعلبي والنووي . انظر : تفسير الثعلبي ٢/ ١٦٣أ ، والكيالهراسي ٤/ ١٧٥ ، وابن العربي ٣/ ١١٧٥ ، والفخر الرازي ٢٠/ ١١٤ ، وتفسير القرطبي ١/ ٨٨ ، والمجموع ٣/ ٣٢٥ ، وتفسير ابن كثير ١/ ١٤ـ١٧ ، ٢/ ٦٤٥ .

وبه وردت الأخبار[١] ، وذهب أبو هريرة ـرضي الله عنهـ إلى أن الاستعاذة بعد القراءة ، وهو مذهب مالك[٢] ، وداود[٣] ، كأنهم أخذوا بظاهر الآية[٤] ، وذلك جهل بمقاييس العربية[٥] .

٩٩. قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ . قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والمفسرون : ليس له حجة[٦] .

---

(١) منها : ما رواه أبو سعيد الخدري ـرضي الله عنهـ قال : كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة بالليل كبر ، ثم يقول : «سبحانك اللهم وبحمدك ، وتبارك اسمك ، وتعالى جدك ، ولا إله غيرك» ، ثم يقول : «الله أكبر كبيراً» ، ثم يقول : «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، من همزه ونفخه ونفثه» ثم يقرأ . وقد أخرجه أبو داود ٧٧٥ ، كتاب : الصلاة ، باب : من رأى الاستفتاح بسبحانك ، والترمذي ٢٤٢ ، كتاب : أبواب الصلاة ، باب : ما يقول عند افتتاح الصلاة ، [قال عمر رضي الله عنه : همزه الموتة؛ وهي الجنون ، نفخه : الكبر ، نفثه : الشعر . تفسير البغوي ٥/ ٤٢] .

(٢) وقد استغرب ابن العربي نسبة هذا القول إلى مالك ، وقال هذه دعوى عريضة لا تُشْبِهُ أصولَ مالك ولا فهمه ، والله أعلم بسرِّ هذه الرواية . انظر : تفسير ابن العربي ٣/ ١١٧٦ .

(٣) داود بن علي بن خلف الأصبهاني ، أبو سليمان ، فقيه حافظ ، أحد الأئمة المجتهدين في الإسلام ، وإليه ينسب المذهب الظاهري ، وكان فاضلاً صدوقاً ورعاً ، سمع من إسحاق بن راهويه ومسدد بن مسرْهَد ، وعنه : ابنه محمد ويوسف بن يعقوب ، من مصنفاته : الإفصاح ، الأصول ، ولد في الكوفة سنة ٢٠٢هـ ، وسكن بغداد ، ومات سنة ٢٧٠هـ . انظر : الفهرست ٢٩٩ ، والأنساب للسمعاني ٤/ ٩٩ ، ووفيات الأعيان ٢/ ٢٥٥ ، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٧٣ .

(٤) لا شك أن ظاهر الآية يقتضي ذلك ، ولكنه مدفوع ومفسرٌ بفعل النبي ﷺ . يقول الجصاص : يقتضي ظاهره أن تكون الاستعاذة بعد القراءة ، ولكنه قد ثبت عن النبي ﷺ وعن السلف الاستعاذة قبل القراءة ، وقد جرت العادة بإطلاق مثله . انظر : تفسير الجصاص ٢/ ١٩١ ، والمحلى ٣/ ٣٥٠ ، وتفسير الكيالهراسي ٤/ ١٧٥ ، ومن توجيهات القائلين بهذا القول ، أن الاستعاذة بعد القراءة هي لوقاية العمل من الحبوط ، إذ ربما أورث حسن القراءة العجب في نفس القارئ ، والعجب من الشيطان ، فكان من المناسب أن يؤمر بالاستعاذة منه . انظر : تفسير ابن كثير ١/ ١٤ـ٤٧ .

(٥) عبارته هذه قاسية ، ولا يليق وصف الصحابة وأئمة الأمة بالجهل .

(٦) تفسير مجاهد ٣٥٢ ، وأخرجه الطبري ١٤/ ١٧٤ ، بلفظه عن مجاهد ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٠٥ ، بلفظه عن مجاهد ، وتفسير الماوردي ٣/ ٢١٣ ، بلفظه عن مجاهد ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٩٠ ، عن مجاهد ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٧٥ عن مجاهد ، وورد بلفظه غير منسوب =

وقال أهل المعاني : طريق يتسلط به عليهم[١] ، وقد بينا هذا عند قوله : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ في سورة الحجر [٤٢] ، والمختار أن يقال : ليس له سلطان الإغواء ، وهو معنى قول المفسرين : ليس له حجة؛ أي لا حجة له على المؤمنين في إغوائهم إلى الضلالة .

١٠٠ . ﴿ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ ﴾ . قال ابن عباس : يطيعونه[٢] ، يقال : تولَّيْتُه؛ أي أطعته ، وتَوَلَّيْتُ عنه؛ أي أعرضت عنه ، وذكرنا هذا عند قوله : ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [المائدة :٥٦] .

وقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾ . قال مجاهد : يعني يعدلون برب العالمين[٣] ، فعلى هذا الكناية في به تعود إلى اسم الله تعالى .

وقال عطاء عن ابن عباس : يريد يطيعونه في الشرك ، وعلى هذا الكناية راجعة إلى الشرك ، وهذا قول الربيع[٤] ، والمعنى على هذا القول : والذين هم

= في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٥٠ والثعلبي ٢/ ١٦٣ب ، والطوسي ٦/ ٤٢٥ ، ولم أقف عليه عن ابن عباس وعكرمة .

(١) ورد نحوه في تفسير البغوي ٥/ ٤٣ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٩٠ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٧٥ ، وتفسير البيضاوي ٢/ ٢٨٣ ، والخازن ٣/ ١٣٤ ، وتفسير الألوسي ١٤/ ٢٣٠ .

(٢) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١١٥ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٤٦ بمعناه عن ابن عباس وعزاه إلى الطبري ـ لم أقف عليه ـ وابن أبي حاتم ، وأخرجه الطبري ١٤/ ١٧٤ ، بلفظه عن مجاهد وقتادة ، وابن كثير ٢/ ٦٤٦ ، عن مجاهد ، وورد بلفظه بلا نسبة في : تفسير السمرقندي ٢/ ٢٥٠ ، وتفسير هود الهواري ٢/ ٣٨٨ ، والثعلبي ٢/ ١٦٣ب ، والبغوي ٥/ ٤٣ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٩١ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٧٦ .

(٣) تفسير مجاهد ٣٥١ ، بنحوه ، وأخرجه الطبري ١٤/ ١٧٥ ، بنصه وبنحوه ورجحه ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٠٥ ، بنصه ، وتفسير الماوردي ٣/ ٢١٣ ، بمعناه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٩١ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٧٦ ، والدر المنثور ٤/ ٢٤٦ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤) لم أقف عليه عن ابن عباس ، وعن الربيع أخرجه الطبري ١٤/ ١٧٥ ، بنحوه ، وورد في تفسير =

بسببه وطاعته في ما يدعو إليه مشركون ، قال صاحب النظم : وهذا كما تقول للرجل إذا تكلم بكلمة مؤدية إلى الكفر : كفرت بهذه الكلمة؛ أي من أجلها وبقولك إياها[١] ، فلذلك قوله : ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ﴾؛ أي من أجله وحمله إيَّاه مشركون بالله[٢] .

١٠١. قوله تعالى : ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾ . قال الكلبي وغيره : كان إذا نزلت آية ألين منها ، يقول كفار قريش : والله ما محمد إلا يسخر بأصحابه ، يأمرهم اليوم بأمر وغداً بأمر ، وإنه ليتكذَّبه ويأتيهم به من عند نفسه ، فأنزل الله : ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾[٣] ، قال مجاهد : رفعناها وأنزلنا غيرها[٤] ، وقال قتادة : هو كقوله : ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾[٥] الآية [البقرة :١٠٦] ، وقال الفرَّاء : إذا نسخنا آية فيها تشديد مكان آية ألينَ منها[٦] ، ومعنى التبديل : رَفْعُ الشيء مع

= الماوردي ٣/ ٢١٣ ، بمعناه ، والطوسي ٦/ ٤٢٥ ، بنحوه ، وانظر : تفسير القرطبي ١٠/ ١٧٦ ، والدر المنثور ٤/ ٢٤١ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم .

(١) ورد بمعناه غير منسوب في الغريب لابن قتيبة ٢٤٩ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ١٠٥ .

(٢) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٦٣ب ، بنحوه .

(٣) لم أقف عليه منسوباً إلى الكلبي ، وورد منسوباً إلى ابن عباس من طريق أبي صالح وهي طريق الكلبي ، [وهي ضعيفة] ، وانظر : تفسير السمرقندي ٢/ ٢٥٠ ، بنحوه عن ابن عباس ، وابن الجوزي ٤/ ٤٩١ ، عن أبي صالح عن ابن عباس ، والفخر الرازي ٢٠/ ١١٦ ، عن ابن عباس ، وورد بلا نسبة في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٧ب ، بنحوه ، وتفسير هود الهواري ٢/ ٣٨٨ ، بمعناه عن الحسن ، والثعلبي ٢/ ١٦٣ب ، بنحوه ، والبغوي ٥/ ٤٣ ، والزمخشري ٢/ ٣٤٤ ، والخازن ٣/ ١٣٤ .

(٤) تفسير مجاهد ٤٥٢ ، بنصه ، أخرجه الطبري ١٤/ ١٧٦ ، بنصه وبنحوه ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٠٦ ، بنحوه ، وانظر : تفسير ابن كثير ٢/ ٦٤٦ .

(٥) أخرجه الطبري ١٤/ ١٧٦ ، بنصه ، وانظر : تفسير ابن كثير ٢/ ٦٤٦ .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١١٣ ، بنصه .

وضع غيره مكانه[١] ، وتبديل الآية : رفعها[٢] بآية غيرها ، وهو نسخها بآية سواها .

وقوله تعالى : ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾؛ أي مِن الناسخ والمنسوخ ، والتغليظ والتخفيف ، هو أعلم بجميع ذلك في مصالح العباد ، وهذا اعتراض دخل في الكلام يتضمن توبيخ الكفار على قولهم : ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ﴾؛ أي إذا كان هو أعلم بما ينزل ، ما بالهم ينسبون محمداً إلى الافتراء لأجل التبديل والنسخ .

وقوله تعالى : ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي لا يعلمون حقيقة القرآن ، وفائدة النسخ والتبديل في أن ذلك لمصلحة العباد ، كالاستصلاح بإرسال نبي بعد نبي ، والكلام في ذكر أكثرهم دون جميعهم قد مضى في موضعين من هذه السورة[٣] .

١٠٢. قوله تعالى : ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ﴾؛ أي نَزَل به؛ أي بالقرآن ﴿رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾ وهو جبريل ، ومضى تفسير روح القدس في سورة البقرة [٨٧] ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ . (من) صلة للقرآن؛ أي نَزَّل القرآنَ من ربك؛ أي من كلام ربك جبريلُ ، ﴿بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي بالأمر الحق الصحيح الثابت لا الباطل ، ﴿لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بما فيه من الحجج والآيات ، فيزدادوا بها تصديقاً ويقيناً .

وقوله تعالى : ﴿وَهُدًى﴾؛ أي وهو هدى ، فهو خبر ابتداء محذوف .

١٠٣. قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ ، اختلفوا في هذا البشر الذي نَسَب المشركون النبي ﷺ إلى التعليم منه ، فقال

---

(١) انظر : المحيط في اللغة (بدل) ٩/ ٣١٨ ، واللسان ١/ ٢٣١ ، وتفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١١٦ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٧٦ .

(٢) في النسخ جميعها : (ورفعها) بزيادة (و) ، والصواب ما أثبته كما في تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١١٦ .

(٣) عند آية : [٧٥] و[٨٣] .

ابـــن عباس في رواية عكرمة : هو عَبْدٌ لبني عامـــر بن لُؤَيٍّ ، يقال له : يعيش[١] ، وهذا قول قتادة إلا أنه قال : كان لبني الحضرمي ، وكان يقرأ الكتب ، وقال في رواية عطاء : يريد عداس؛ غلام عتبة بن ربيعة[٢] .

وروى طلحـــة بن عمرو[٣] عن عطاء أن خديجة[٤] كانت تختلف إلى صَيْقَل[٥] على الصفا والمروة؛ عبد لبني الحضرمي صاحب كتب ، فكانت تخبره بما كان يرى محمـــد ﷺ ، فكان يقول لها : لئن كنت صادقة ليوشـــكن نبـــي العرب أن يخرج ، وكان اســـمَه جَبرٌ ، وكانت قريش تقول : إنما عبـــد بني الحضرمي يعلم خديجة ،

---

(١) انظر : تفســـير ابن الجـــوزي ٤/ ٤٩٢ ، وأخرجه الطبري ١٤/ ١٧٨ ، بنحوه عـــن عكرمة ، وفيه أنه غـــلام لبني المغيرة ، وأخرجه بنصه عن قتادة ، وورد في معـــاني القرآن للنحاس ٤/ ١٠٦ ، بنصه عن عكرمة ، وتفســـير الثعلبي ٢/ ١٦٣ب ، بنصه عن عكرمة وقتـــادة ، لكنه قال : لبني المغيرة ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٤٤ ، عن عكرمة ، وابن عطية ٨/ ٥١٠ ، عن عكرمة ، والقرطبي ١٠/ ١٧٧ ، عن عكرمة ، والخازن ٣/ ١٣٥ ، عن عكرمة ، وابن كثـــير ٢/ ٦٤٦ ، عن عكرمة وقتادة ، والدر المنثور ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم عن قتادة .

(٢) ورد بلا نســـبة في تفســـير هود الهواري ٢/ ٣٨٩ ، والفخـــر الرازي ٢٠/ ١١٧ ، وتفســـير القرطبي ١٠/ ١٧٨ ، والخازن ٣/ ١٣٥ .

(٣) في النسخ جميعها : (طلحة عن عمرو) ، وفي تفسير السمرقندي ٢/ ٢٥١ : (طلحة بن عمير) ، ولم أجد له ترجمة ، والصحيح المثبت كما في تفســـير الثعلبي ٢/ ١٦٤أ ، ويؤيده أن طلحة هذا مشـــهور الرواية عن عطاء ، وصفه الذهبي بصاحب عطاء . وطلحة بن عمرو : هو الحضرمي المكي ، روى عن عطاء وسعيد بن جبير ، وروى عنه الثوري ووكيع ، وهو ضعيف بل متروك ، كما قال أحمد والنسائي ، مات ســـنة ١٥٢هـ . انظر : الجرح والتعديل ٤/ ٤٧٨ ، وميزان الاعتدال ٣/ ٥٤ ، والكاشـــف ١/ ٥١٤ ، وتقريب التهذيب ٢٨٣ ، (٣٠٣٠) .

(٤) أم المؤمنين ، خديجة بنت خويلد القرشـــية الأســـدية ـرضي الله عنهاـ أول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ ، وكان ذلك قبل البعثة بخمس عشرة ســـنة ، وهي أول من أســـلم على الإطلاق ، وكانت امرأة موسرة ، وهي أم أولاد النبي ﷺ ، ومناقبها كثيرة معروفة ، توفيت بعد البعثة بعشر سنين ، وهي بنت خمس وستين سنة . انظر : الاستيعاب ٤/ ٣٧٩ ، وأسد الغابة ٧/ ٧٨ ، والإصابة ٤/ ٢٨١ .

(٥) الصَّقْل : مصدر صَقَلْتُ السيفَ والثوبَ ، والصَّيْقَل : صَقال السيف؛ أي شَحَّاذُ السُّيوف وجلَّاؤها ، والجمع : صياقـــل وصياقلة . انظر : جمهرة اللغـــة (صقل) ٢/ ٨٩٤ ، وتهذيـــب اللغة ٢/ ٢٠٣٥ ، واللسان ٤/ ٢٤٧٤ .

وتعلم خديجة محمداً ، زاد شبل : وكان يتكلم بالرومية[١] ، وهذا قول مجاهد وابن إسحاق[٢] .

وروي عن ابن عباس أنه قال : هذا كان قيناً[٣] بمكة نصرانيًّا أعجمي اللسان اسمه بَلْعَام[٤] .

وقال السدي : هو رجل نصراني كان بمكة ، يقال له : أبو ميسرة ، يتكلم بالرومية[٥] .

---

(١) ورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٥١ ، بنحوه ، والثعلبي ٢/ ١٦٤أ ، بنحوه .

(٢) تفسير مجاهد ٣٥٢ ، مختصراً ، وليس فيه ذكر خديجة رضي الله عنها ، وسيرة ابن هشام ، بنحوه ، من دون ذكر خديجة رضي الله عنها . وأخرجه الطبري ١٤/ ١٧٨ ، ١٧٩ ، عنهما بنحوه من دون ذكر خديجة رضي الله عنها ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٠٦ ، مختصراً عن مجاهد ، وتفسير هود الهواري ٢/ ٣٨٩ ، عن مجاهد مختصراً ، وورد بنحوه منسوباً إلى ابن إسحاق في تفسير الثعلبي ٢/ ١٦٤أ ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٤٤ ، عن ابن إسحاق ، وابن عطية ٨/ ٥١٠ ، عن ابن إسحاق ، والقرطبي ١٠/ ١٧٧ ، عن ابن إسحاق ، والخازن ٣/ ١٣٥ ، عن ابن إسحاق ، والدر المنثور ٤/ ٢٤٧ ، وزاد نسبته إلى آدم بن أبي إياس وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب ، عن مجاهد .

(٣) قال الليث : القَيْنُ : الحَدَّادُ ، وقيل : كلُّ صانع قَيْنٌ ، وقيل : كل عامل بالحديد عند العرب قَيْن ، والجمعُ قُيُون وأقْيَان ، وقال الليث : والقَيْنُ والقَيْنَةُ : العبْدُ والأَمَةُ . انظر : تهذيب اللغة (قين) ٣/ ٢٨٦٦ ، والمحيط في اللغة ٦/ ٣٥ ، واللسان ٦/ ٣٧٩٨ .

(٤) أخرجه الطبري ١٤/ ١٧٧ ، بنحوه من طريق مجاهد جيدة ، ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٦٣ب ، بنحوه ، والطوسي ٦/ ٤٢٧ ، بنحوه ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٤٤ ، وابن عطية ٨/ ٥١٠ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٩٣ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٧٨ ، والخازن ٣/ ١٣٥ ، وأبي حيان ٥/ ٥٣٦ ، والدر المنثور ٤/ ٢٤٧ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه ، بسند ضعيف .

(٥) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٦٤أ ، بنصه ، وانظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١١٧ بلا نسبة ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٧٨ ، عن ابن قتيبة ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٤٧ وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن السدي ، لكنه قال : واسمه : (أبو يسر) ، وفي الإصابة ١/ ١٦٥ : (أبو البشر) ، فلعلها تصحفت من (أبو ميسرة) .

وقال الكلبي : هو عايش غلام حويطب بن عبدالعزى ، ويسار ، أبو فكيهة مولى ابن الحضرمي ، وكانا قد أسلما فأنزل الله تعالى رداً عليهم وتكذيباً لهم في ما قالوا : ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ﴾[١] .

معنى الإلحاد في اللغة : الميل ، يقال : لَحَدَ وأَلْحَدَ؛ إذا مال عن القصد ، ومنه يقال للعادل عن الحق : ملحد[٢] ، وقراءة العامة ضم الياء من الإلحاد[٣] وهو أشهر اللغتين ، وقرئ بفتح الياء من لحد[٤] ، والأوْلى ضَم الياء؛ لأنه لغة التنزيل[٥] ، يدل عليه قوله : ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾ [الحج :٢٥] ، والإلحاد قد يكون بمعنى : الإمالة ، ومنه يقال : أَلْحَدْتُ له لَحْداً إذا حفرته في جانب القبر مائلٍ عن الاستواء ،

---

(١) أخرج الطبري ١٤/ ١٧٧ ، نحوه من طرق عن عبدالله بن مسلم الحضرمي ، لكنه قال : كان يقال لأحدهما : يسار ، والآخر : جبر ، وكانا يقرآن التوراة ، وورد هذا الخبر في الإصابة ١/ ٢٢١ ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم وعبد بن حميد ، وقال : ولم يذكر أنهما أسلما . وورد غير منسوب في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٧ب ، أنه أبو فكيهة ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١١٣ ، أنه عايش ، وتفسير الطوسي ٦/ ٤٢٧ أنه عايش أو يعيش ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٧٨ ، عنهما . وهذه الأقوال في اسم البشر المعني ـ وقد بلغت تسعة عند ابن الجوزي ـ لا تعارض بينها ـ كما قال النحاس في معانيه؛ لجواز أن يكونوا قد أومأوا إلى هؤلاء جميعاً؛ بسبب تخبطهم وحيرتهم في الطعن في القرآن ، ولاحتمال مجالسة الرسول ﷺ لهؤلاء كلهم لتعليمهم . انظر : معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٠٧ ، وتفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٩٢ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (لحد) ٤/ ٣٢٤٢ ، والمحيط في اللغة ٣/ ٤١ ، واللسان ٧/ ٤٠٠٥ ، والتاج ٥/ ٢٣٧ .

(٣) أي : ﴿يُلْحِدُونَ﴾ من أَلْحَدَ ، قرأ بها : ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر . انظر : السبعة ٣٧٥ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٥٩ ، والحجة للقراء ٥/ ٧٨ ، والمبسوط في القراءات ٢٢٦ ، والتيسير ١٣٨ ، والمُوضح في وجوه القراءات ٢/ ٧٤٥ .

(٤) أي : ﴿يُلْحِدُونَ﴾ من لَحَدَ ، قرأ بها حمزة والكسائي . انظر : المصادر السابقة .

(٥) وكذلك فتح الياء لغة التنزيل؛ فالفتح والضم قراءتان سبعيتان ، ليس إحداهما بأولى من الأخرى ، ولا فرق حقيقياً ـ في المعنى ـ بين القراءتين ، قال الطبري : وهما عندي لغتان بمعنى واحد . تفسير الطبري ١٤/ ١٧٩ .

وقَـرْبٌ مُلْحَدٌ ومَلْحُودٌ[١] ، وفُـسِّر الإلحاد في هذه الآية بالقولـين ، فقال الفرَّاء : يُمِيلُون من الميل[٢] .

وقال الزَّجَّاج : لسانُ الذي يميلُون القَوْلَ إليه أعجميٌّ[٣] .

وقال ابن قتيبة أي يُومِئون إليه ويزعمون أنه يُعلِّمك[٤] .

وقوله تعـالى : ﴿أَعْجَمِيٌّ﴾ قال أبو الفتح الموصلي : اعلـم أن (ع ج م) إنما وضعـت في كلام العرب للإبهام والإخفاء ، وضـد البيان والإيضاح ، من ذلك قولهم : رجل أعْجم وامـرأة عَجْماء ، إذا كانا لا يُفصحـان ولا يُبينان كلامهما ، وكذلك[٥] العُجْمُ والعَجَمُ ، وعَجَمُ الزبيب[٦] سُـمِّي لاسـتتارته وخفائه بما هو عَجَمٌ له ، والعَجْماء : البهيمة؛ لأنها لا توضِّح عما في نفسها ، ومن ذلك تسميتهم صلاتي الظهر والعصر العَجْماوتين؛ لما كانتا لا يُفْصَح فيهما بالقراءة ، قال أبو علي : ومن ذلك : عَجَمْتَ العُودَ؛ إما لأنك لما أدخلتَه لتِعُضَّه[٧] وقد أخفيته ، وإما لأنك قد ضغطت بعض أجزائه بالعَجْـم ، وأدخلت بعضها في بعض فأخفيتها ، وربما سـمَّت[٨] العرب الأخرسَ الأعجَم ، وعُجْمة الرمل[٩] : أشـدُّه تراكماً ، سمِّي

(١) ورد بنحوه في تفسـير الطـوسي ٦/ ٤٢٧ ، وانظر : تفسـير الزمخـشري ٢/ ٣٤٥ ، والفخر الرازي ٢٠/ ١١٧ بنصه ، وتفسير الألوسي ١٤/ ٢٣٣ .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١١٣ ، بنحوه .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢١٩ ، بنصه .

(٤) الغريب لابن قتيبة ٢/ ٢٥٠ ، وفيه : (يميلون) .

(٥) في النسخ جميعها : (ولذلك) ، وهو تصحيف ، والتصويب من المصدر ، وبه يستقيم المعنى .

(٦) هو النَّوَى الذي في جوفه ، الواحدة : عَجَمة ، مثل : قَصبة وقصب . انظر : اللسان (عجم) ٥/ ٢٨٢٥ .

(٧) في النسخ جميعها : (لبعضه) ، والتصويب من المصدر .

(٨) في النسخ جميعها : (سميت) ، والتصويب من المصدر .

(٩) أي كثرته ، وقيل : آخره ، وقيل : ما تعقَّد منه . انظر : اللسان (عجم) ٥/ ٢٨٢٥ .

بذلك لتداخله واستبهام أمره على سُلَّاكِه ، يقال : استعجمت الدارُ إذا صَمَّت فلم تجب سائلها ، قال امرؤ القيس :

صَمَّ صَداها وعَفا رسمُها واستَعْجَمَتْ عن مَنْطقِ السائلِ[١]

وأما قولهم : أعْجمتُ الكتاب ، فمعناه : أزلت عجمته واستعجامه بالإيضاح والتبين ، وأَفْعَلْتُ قد يأتي والمراد به : السَّلْب ، كقولهم : أشكيت ، إذا أزلتَ ما يشكوه[٢] ، وهذا الذي ذكرنا هو أصل معنى هذا الحرف[٣] ، والعرب تسمِّي كل من لا يعرف لغته[٤] ولا يتكلم بلسانهم أعجم وأعجمياً ، قال كثير :

وما زالَ كتمانيكَ حتَّى كأنَّني بِرَدِّ جَوابِ السائِلِي عنكَ أعجمُ[٥]

قال الفرَّاء وأحمد بن يحيى : الأعجم : الذي في لسانه عُجمة وإن كان من العرب ، والأعجمي والعجمي : الذي أصله من العجم[٦] .

---

(١) ديوانه ١٣٣ ، وورد في تهذيب اللغة (صم) ٢/ ٢٠٥٩ ، (صدى) ٢/ ١٩٩٤ ، والأساس ٢/ ١٠١ ، واللسان (صمم) ٤/ ٢٥٠٢ ، (عجم) ٥/ ٢٨٢٧ ، (صدى) ٤/ ٢٤٢٢ ، وورد بلا نسبة في العين (صدي) ٧/ ١٣٩؛ الصَّدى : ما يرجع من صوت الجبل ، وصمَّ صداها؛ أي غدت مقفرة لا حياة بها ولا أنيس ، وهو يصف داراً دَرَسَتْ ، عفا رسمها : أمست وليس لها رسم ولا بها أثر .

(٢) سر صناعة الإعراب ١/ ٣٦ ، ٣٧ ، نقل طويل تَصرَّف فيه بالاختصار والتهذيب .

(٣) انظر : العين (عجم) ١/ ٢٣٧ ، وجمهرة اللغة ١/ ٤٨٤ ، وتهذيب اللغة ٣/ ٢٣٤٢ ، والمحيط في اللغة ١/ ٢٧٤ ، واللسان ٥/ ٢٨٢٧ .

(٤) هكذا في النسخ جميعها ، والأولى (لغتهم) حتى تنسجم مع السياق .

(٥) لم أجده في ديوانه ، وورد في الأغاني ١٥/ ١٦٧ ، منسوباً لنُصَيب بن رباح أبي محجن مولى عبدالملك المتسوفى ١٠٨ هـ ، وقد ورد في شعر نصيب بن رباح ١٢٣ وفيهما : (بي الكتمان) بدل (كتمانيك) ، (برَجْع)بدل (برَدِّ) .

(٦) لم أجده في معاني الفرَّاء ، وانظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١١٨ ، بنصه عنهما ، وورد نحوه غير منسوب في المحتسب ٢/ ١٢ ، وتفسير ابن عطية ٨/ ٥١١ ، قال ابن قتيبة : لا يكاد عوام الناس يفرقون بين العجمي والأعجمي ، والعربي والأعرابي؛ فالأعجمي الذي لا يُفصح وإن كان نازلاً بالبادية ، والعجمي : منسوب إلى العجم وإن كان فصيحاً ، والأعرابي : هو البدوي ، والعربي : منسوب إلى العرب وإن لم يكن بدوياً . تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٩٤ .

قال ابن الأنباري : وقولهما هو الصحيح عندنا .

وقال أبو علي الفارسي : الأعجمي : الذي لا يُفصح من العرب كان أو من العجم ، ألا تراهم أنهم قالوا : زياد الأعجم؛ لأنه كانت في لسانه عُجمة[١] وكان عربياً[٢] ، وقال[٣] لصلاة النهار عَجْمَاء؛ أي تُخفى فيها القراءة ولا تُبَيَّن ، وتُسمي العربُ من لا يتبين كلامه من أي صنف كان من الناس أعجم ، ومنه قول الحِمَّاني[٤] :

سَلُّومُ : لو أَصْبَحتِ وسْطَ الأَعْجمِ
بالرومِ أو بالتُّرْكِ أو بالديلمِ
إذاً لَزُرناكِ ولو بِسُلَّمِ[٥]

---

(١) (عجمة) ساقطة من (أ) و(د) ، وفي المخصص : «رُتَّةٌ» .

(٢) ورد في المخصص ٢/ ١٢١ ، بنصه ، وانظر : تفسير الرازي ٢٠/ ١١٨ بنصه ، والخازن ٣/ ١٣٥ ، بلا نسبة .

(٣) هكذا في النسخ جميعها ، والأظهر : (يقال) أو (قيل) .

(٤) هو أبو الأَخْزر الحِماني ، ولم أقف على ترجمته .

(٥) ورد في المخصص ٢/ ١٢١ شطران ، ١٦/ ١٠٢ ، وشرح شواهد الإيضاح ٤٤٠ ، وفيه حرف الجر (في) بدل الباء في الكلمات الثلاث ، وورد الشطر الأول فقط في اللسان (وسط) ٨/ ٤٨٣٢ ، والتاج (وسط) ١٠/ ٤٤٥ ، وورد بلا نسبة في اللسان (عجم) ٥/ ٢٨٢٥ ، وورد في الاقتضاب باختلاف في الشطرين الأخيرين برواية :

في الرومِ أو فارسَ أو في الديلمِ
إذاً لزرناكِ ولو لم نسلمِ

(سَلُّومُ) : منادى مرخم ، أراد : ياسَلُّومة ، (الدَّيلم) : الجماعة الكثيرة من الناس ، وقيل : جيل من الناس ، وقيل : هم من ولد ضَبَّةَ بن أُدد ، قال ابن بري : وقوله : بِسُلَّم؛ أي لتسببنا إلى زيارَتِك بكل سبب ، فضرب السُّلَّم مثلاً لذلك .

وقال ابن السيد : وهذا البيت يصحفه كثير من الناس فيروونه ولو بسلَّم ، ولا وجه لذلك؛ لأن السلَّم لا يستعمل في قطع المسافات وإنما يستعمل في صعود العلالي المشرفات والمواضع المرتفعات ، ولو قال =

قال : وسط الأعجم ، ولم يقل : وسط العجم؛ لأنه جعل كل من لا يتبين كلامه أعجم ، فكأنه قال : وسط القبيل الأعجم ، وينبغي أن يكون الأعجمي بالياء فيه للنسب ، نسب إلى الأعجم الذي لا يُفْصِح ، وهو في المعنى كالأعجمي ، ويجوز أن يقال : رجل أعجمي فيراد به ما يراد بالأعجم بغير ياء النسب ، كما يُقال : أحمر وأحمريٌّ ، ودَوَّارٌ ودَوَّارِيٌّ[١] .

ومعنى الآية هو[٢] أن الله تعالى قال : لسان هذا البشر الذي يزعمون أنه يعلمك أعجمي لا يُفصح ولا يتكلم بالعربية ، فكيف يُتَعَلَّم عنه ما هو أعلى طبقات البيان؟! وهو قوله : ﴿وَهَٰذَا﴾ يعني القرآن ، ﴿لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ ، قال ابن عباس : يريد الذي نزل على محمد عربي مبين ، أفصح ما يكون من العربية ، وأبْيَنه لسان سعد بن بكر بن هوازن الذين أرضعوا النبي ﷺ[٣] ، واللسان بمعنى الكلام واللغة ، وذكرنا هذا مستقصى عند قوله : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ [إبراهيم :٤] ، ومعنى العربي واشتقاقه ذكرنا عند قوله : ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا﴾ [التوبة :٩٧] ، وقال الفرَّاء والزَّجَّاج في هذه الآية : يقال : عَرَبَ لِسَانُه عَرابَةً وعُروبةً[٤] .

١٠٥ . قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ﴾ . قال الكلبي : نافح الله تعالى بهذه الآية عن رسول الله ﷺ ودافع عنه ، حيث قالوا : تَقَوَّله واخترعه وأتى

= قائل لصاحبه : لو كنت ببغداد لنهضت إليك ولو بسلَّم لم يكن له معنى يعقل ، وقد يستعمل السلَّم بمعنى السبب ، وليس له هاهنا أيضاً وجه؛ لأنه كان يجب أن يقول : ولو بغير سبب يوجب النهوض . وانظر : اللسان (دلم) ٣/ ١٤١٥ .

(١) ورد نحوه في المحتسب ٢/ ١٢ .

(٢) في (أ) و(د) : (وهو) بزيادة الواو ، ويستقيم الكلام من دونها .

(٣) ورد في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٤٤٥ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٢٠ ، بنحوه ، وفيه : (عرب الإنسان) ، وهو خطأ وتصحيف ظاهر ، ولم أجده في معاني الفرَّاء ، وانظر : الرازي ٢٠/ ١١٨ ، بنصه عنهما .

به من عند بشر وافتراه ، فقال : ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ﴾ المشركون ، ثم سَمَّاهم الكاذبين ، وحصر فيهم الكذب بقوله : ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ ، وقال أبو إسحاق أي إنما يفتري الكذب الذين إذا رأوا الآيات التي لا يقدر عليها إلا الله كذَّبُوا بها ، فهؤلاء أكذبُ الكَذَبَةِ[1] ، وفي الآية أبلغ زجر عن الكذب؛ حيث أخبر الله تعالى أنه إنما يفتري الكذب من لا يؤمن ، ولذلك قال النبي ﷺ ، حين قيل له : «هل يَكْذِبُ المؤمن؟ قال : «لا» ، ثم قرأ هذه الآية»[2] .

وقال صاحب النظم في هذه الآية : أعلم الله أن الذي يفتري الكذب هو الذي لا يؤمن بآيات الله ، ثم عطف على هذا قوله : ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ وفائدة ذلك أن قوله : ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ﴾ فِعْلٌ وليس بنعت ، وقوله تعالى : ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ نَعْتٌ ، والفعل قد يكون لازماً وقد لا يكون ، والنعت[3] لا يكون إلا دائماً ، يبين هذا أنه تعالى قال : ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه :١٢١] ، ولا يجوز أن يقال : إن آدم عاصٍ وغاوٍ؛ لأن النعت أبلغ من الفعل ، ولهذا قال الله : ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾؛ أي إن هذا نعت لازم لهم وعادة

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢١٩ ، بنصه .

(٢) جزء من حديث رواه عبدالله بن جراد ، وطرفه : قلت : يارسول الله ، المؤمن يزني؟ قال : «قد يكون» . وقد أخرجه بنحوه الثعلبي ٢/ ١٦٤أ ، والواحدي في الوسيط ٢/ ٤٤٦ ، والبغوي ٥/ ٤٥ ، وورد في إحياء علوم الدين ٣/ ١٣٥ ، وتفسير الرازي ٢٠/ ١٢٠ ، والخازن ٣/ ١٣٦ ، قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء : أخرجه ابن عبدالبر في التمهيد بسند ضعيف ، ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت ٢٤٣ ، مقتصراً على الكذب ، والسائل أبو الدرداء ، والرواية التي أشار إليها العراقي أخرجها مالك عن صفوان بن سليم أنه قيل لرسول الله ﷺ أيكون المؤمن جباناً . . . . فقيل له أيكون المؤمن كذاباً؟ فقال : «لا» . موطأ مالك ، شرح الزرقاني ، باب : ما جاء في الصدق ٤/ ٤٠٨ ، والتمهيد ١٦/ ٢٥٣ ، وقال : لا أحفظ هذا الحديث مسنداً بهذا اللفظ من وجه ثابت ، وأخرجها ابن أبي الدنيا في الصمت ٢٤٨ ، عن ابن مسعود وسعد رضي الله عنهما ، موقوفاً ، قالا : كل الخلال يطبع عليها المؤمن إلا الخيانة والكذب . والحديث ضعيف .

(٣) في (أ) و(د) : (البعث) .

مـــن عاداتهم ، لا فِعْلٌ يزول عن قريب ، وهذا كـــما تقول : كذبت وأنت كاذب ، فيكون قولك : أنت كاذب ، زيادة في الوصف بالكذب[١] .

١٠٦. قوله تعـــالى : ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ﴾ الآية . أكثر المفسرين على أن الآية نزلت في عمار بن ياسر ، أخذه المشركون فلم يتركوه حتى سَـــبَّ النبي ﷺ ، وذكر آلهتهم بخير ثم تركوه ، فلما أتى رسول الله ﷺ قال : «ما وراءك؟ قال : شَرٌّ يا رسول الله ، ما تُرِكتُ حتى نِلتُ مِنْك ، وذكـــرتُ آلهتهم بخير . قال : كيف تجد قلبك؟ قال : مطمئناً بالإيمان . قال : إن عادوا لك فعد لهم بما قلت»[٢] .

واختلفوا في محل (مَنْ) مِن الإعراب ، فقـــال الأخفش : هو ابتداء ، وخبره محذوف مكتفى منه بخبر (مَنْ) الثانية في قوله : ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا﴾[٣] ، كقولك : من يأتينا فمن يحســـن نكرمه[٤] ، فجـــواب الأول محذوف قد كفى منه الثاني ، وقال أبو إســـحاق : (مَنْ) في موضع رفع على البدل مِن الكاذبين[٥] ، ولا

---

(١) ورد بنحوه مختصراً في تفسير البغوي ٥/ ٤٥ ، والرازي ٢٠/ ١١٩ ، والقرطبي ١٠/ ١٧٩ .

(٢) أخرجـــه ابن ســـعد ٣/ ٢٤٩ ، بنصـــه ، وعبدالـــرزاق ٢/ ٣٦٠ ، بنحـــوه ، والطـــبري ١٤/ ١٨١ ، بنحوه عن ابن عباس من طريق العوفي ضعيفة ، وأخرجه بنحوه عن قتادة وأبي مالك وغيرهما ، والحاكم ٢/ ٣٥٧ ، بنصه ، وصححه وقال : على شرط الشيخين ، والبيهقي : المرتد/ المكره على الردة ٨/ ٢٠٨ بنصه ، وورد بنحوه في تفسير الســـمرقندي ٢/ ٢٥٢ ، وهود الهواري ٢/ ٣٩٠ ، والثعلبي ٢/ ١٦٤ب ، عن ابن عباس ، والطوسي ٦/ ٤٢٨ ، وانظر : أسباب النزول للواحدي ٢٨٨ ، عن ابن عباس ، وتفسير البغوي ٥/ ٤٥ ، عن ابن عباس ، والزمخشري ٢/ ٣٤٥ ، وتفســـير القرطبـــي ١٠/ ١٨٠ ، عـــن ابن عباس ، والخـــازن ٣/ ١٣٦ ، وابن كثـــير ٢/ ٦٤٧ ، عن ابن عباس ، والدر المنثور ٤/ ٢٤٨ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه .

(٣) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٠٨ ، بمعناه ، وانظر : تفسير الثعلبي ٢/ ١٦٤ب ، بنحوه بلا نسبة .

(٤) ورد بنصه في تفســـير الطبري ١٤/ ١٨٠ ، والثعلبـــي ٢/ ١٦٤ب ، والطوسي ٦/ ٤٢٨ ، ومعناه : من يحسن ممن يأتينا نكرمه .

(٥) وتقديره : إنـــما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه ، وقد رده الطبري ، وقال : هذا قول لا وجه له ، وحجته أن ذلك يقتضي تخصيص وصف افتراء الكذب بمن آمن ثم ارتد دون من نشأ على الكفر =

يجوز أن يكون رفعاً بالابتداء؛ لأنه لا خبر هاهنا للابتداء؛ لأن قوله : ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ﴾ ، ثم استثنى فقال : ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ﴾ على الكفر ، يكفر بلسانه وقلبه مطمئن[١] بالإيمان[٢] ، والقول الأول أظهر في معنى الآية؛ لأن[٣] هذه قصة مستأنفة ، وكلام لا تعلق له بما تقدم ، يدل عليه من التفسير ما رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية ، قال : أخبر الله سبحانه أنه من كفر بعد إيمانه فعليه غضب من الله ، وله عذاب عظيم ، فأما من أُكره فتكلم بلسانه وخالفه قلبه بالإيمان لِيَنْجُو بذلك من عدوه فلا حرج عليه؛ لأن الله سبحانه إنما يأخذ العباد بما عقدت عليه قلوبهم[٤] ، فجعل ابن عباس قوله : ﴿فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ﴾ خبرَ قولِهِ : ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا﴾؛ أي فتحه ووسعه لقبول[٥] الكفر ، وذكرنا معنى الشرح في سورة الأنعام[٦] ، وانتصب صدراً على أنه مفعول للشرح ، والتقدير : ولكن من شرح بالكفر صدره ، وحذف الهاء منه لأنه لا يُشْكِل بصدر غيره؛ إذ البشر لا يقدر على شرح صدر غيره ، فهو نكرة يراد بها المعرفة ، ويدل عليها معنى الكلام ، وهذه الآية تدل على أنَّ المُكْرَهَ على كلمة

= أصلاً ، ودلل على ذلك أن الآية جاءت في سياق الرد على الذين نسبوا الكذب والافتراء إلى رسول الله ﷺ في الآية السابقة ، وهم الكفار الأصليون . انظر : تفسير الطبري ١٤/ ١٨١ .

(١) في (أ) و(د) زيادة (واو) : (ومطمئن) .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢١٩ ، بتصرف يسير .

(٣) في (أ) و(د) : (أن) .

(٤) أخرجه الطبري ١٤/ ١٨٢ ، بنصه من طريق ابن أبي طلحة صحيحة ، والبيهقي ، كتاب : المرتد ، باب : المكره على الردة (٨/ ٢٠٩) بنصه ، والدر المنثور ٤/ ٢٥٠ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٥) في (أ) و(د) : (لقول) ، والمثبت من (ش) و(ع) أصح .

(٦) آية [١٢٥] .

الكفر إذا تَلَفَّظ بها مُكْرَهاً لا يحكم بكفره إذا كان قلبه مطمئناً بالإيمان[١] ، ولذلك أبطل الشافعي طلاق المكره وعتاقه وعقوده ، ولم يجعل لها حكماً[٢] ، ودلَّت الآية على أن حقيقة الكفر إنما تكون بالقلب دون اللسان[٣] .

١٠٧. قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ﴾؛ أي ذلك الشرح وذلك الكفر[٤] ، بأنهم أحبُّوا الدنيا واختاروها على الآخرة ، قال الكلبي : والمراد بقوله : ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ عبدالله بن سعد بن أبي سرح ، ومن ارتد عن الدين وطابت نفسه بالكفر[٥] ، وذلك باستحبابهم الدنيا ، وبأن الله لا يهديهم ولا يريد هدايتهم ، ثم وصفهم بأنهم مطبوع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم .

١٠٨. فقال : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ﴾ الآية . والكلام في هذا مضى .

---

(١) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٦٥أ ، بنحوه ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٤٦ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٨٢ .

(٢) وهذا القول هو قول جمهور العلماء خلافاً للحنفية ، وقد ذكره الثعلبي في تفسيره ٢/ ١٦٥أ ، ونسبه أيضاً إلى بعض الصحابة ومالك والأوزاعي ، انظر بسط المسألة في : تفسير الجصاص ٣/ ١٩٢ ، والمحلى ٨/ ٣٣١ ، وتفسير ابن العربي ٣/ ١١٨٠ ، والمجموع ١٧/ ٦٥ ، والمغني ١٠/ ٣٥٠ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٨٤ ، ورفع الحرج في الشريعة الإسلامية ٢٤٦ ، والإكراه وأثره في التصرفات الشرعية ١٩٦ ، وعوارض الأهلية عند الأصوليين ٤٩٦ .

(٣) ذكره الثعلبي ٢/ ١٦٤ب ، بنحوه .

(٤) مطموسة في : (ش) .

(٥) انظر : تنوير المقباس ٢٩٣ ، وورد بلا نسبة في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٨أ ، والسمرقندي ٢/ ٢٥٢ ، وهود الهواري ٢/ ٣٩٠ ، وفي إدراج عبدالله بن أبي السرح مع الذين انشرحت صدورهم للكفر نظر؛ لأنه قد رجع إلى الإسلام وحسن إسلامه ، كما أن الآية التالية قد حكمت عليهم بالطبع على قلوبهم ، ولا يليق هذا الوصف بمن أسلم ومنَّ الله عليه بالهداية ، ويؤيده أن الرواية وردت عن طريق الكلبي ، وحسبك بهذا؛ فروايات الكلبي محكوم عليها بالضعف بل بالوضع .

وقوله تعالى : ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ . قال ابن عباس : عما يراد بهم[١] ، ثم حكم لهم بالخسار وأكَّدَ ذلك .

١٠٩. فقال : ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ . قال ابن عباس : يريد حقاً إنهم في الآخرة هم المغبونون[٢] ، قال أبو إسحاق : (أنَّ) يصلح أن تكون في موضع رفع ، على أَنَّ (لا) رَدٌّ لكلام ، والمعنى : وجب أَنَّهُم ، قال : ويجوز أن تكون في موضع نَصْبٍ على أن المعنى : جَرَمَ فِعْلُهُمْ هذا ، ﴿أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾؛ أي كَسَب[٣] .

١١٠. قوله تعالى : ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟﴾ . قال المفسرون : نزلت في المستضعفين من المؤمنين الذين كانوا بمكة؛ عَمَّار وصُهيب وبلال ، ودونهم الذين عُذِّبُوا في الله وارتدوا على الكفر وأعطوهم بعضَ ما أرادوا لِيَسْلَمُوا من شَرِّهم ، ثم [هاجروا إلى النبي ﷺ[٤] .

---

(١) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١٢٤ ، وأبي حيان ٥/ ٥٤٠ ، وتفسير الألوسي ١٤/ ٢٣٩ ، والخازن ٣/ ١٣٧ ، بلا نسبة .

(٢) انظر : تنوير المقباس ٢٩٣ ، وتفسير البغوي ٥/ ٤٧ ، بلا نسبة .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٢٠ ، بنصه تقريباً .

(٤) أخرجه الطبري ١٤/ ١٨٤ ، بنحوه عن ابن اسحاق ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١٠٨ مختصراً ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٥٢ ، بنحوه عن ابن عباس ، والثعلبي ٢/ ١٦٥أ ، مفصلاً ، والطوسي ٦/ ٤٣١ ، بنحوه ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٤٧ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٩٧ ، عن ابن عباس ، والفخر الرازي ٢٠/ ١٢٥ ، عن الحسن ، والخازن ٣/ ١٣٧ ، وابن كثير ٢/ ٦٤٩ ، ولا يثبت هذا سبباً للنزول؛ لأن إسناده منقطع ، أخرجه الطبري بسنده إلى ابن إسحاق ، وهو ضعيف كما في تقريب التهذيب ٤٦٧ ، (٥٧٢٥) .

[قال ابن عباس : يريد الذين كانوا يُعَذَّبون بمكة ، ﴿هَاجَرُوا﴾[١] مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ﴾ قال : من بعد ما عُذِّبُوا ، ﴿ثُمَّ جَٰهَدُواْ ﴾ مع النبي ﷺ][٢] ، ﴿وَصَبَرُوٓاْ﴾ على الدين والجهاد[٣] .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ ﴾ إعادةٌ وتكريرٌ لما ذكر في الآية؛ وذلك لتطاول الكلام ، وأجيب كلاهما بجواب واحد ، وهذا من القبيل الذي ذكرنا في قوله : ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ ﴾ الآية .

وقوله تعالى : ﴿مِنۢ بَعْدِهَا﴾ تلك الفتنة وتلك الفعلة التي فعلوها وهي تلفظهم بكلمة الكفر ، ﴿لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ، وذلك أن الرخصة لم تكن نازلة في ذلك الوقت حين تلفظوا بالكفر تقية ، وإنما نزلت بعد ذلك فأخبر الله تعالى بعد ذلك أنه قد غفر لهم ذلك ، هذا قول عامة أهل التأويل[٤] .

وقال عطاء عن ابن عباس : ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾ يريد من بعد ما خرجوا إلى النبي ﷺ ، وصاروا عنده بالمدينة ، غفر الله لهم مقامهم بمكة وتثبطهم بها ، عفا الله ذلك عنهم[٥] ، فعلى هذا الكناية في ﴿بَعْدِهَا﴾ تعود إلى الهجرة ، ودلَّ عليها : ﴿هَاجَرُواْ﴾ ، والمغفرة لمقامهم بمكة وتخلفهم عن النبي ﷺ بعد

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ش) و(ع) .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (د) .

(٣) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٩٧ ، والدر المنثور ٤/ ٢٥٠ ، وعزاه إلى البيهقي في سننه ـ لم أجده ـ وابن مردويه ، وورد بنحوه غير منسوب في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٨أ ، والثعلبي ٢/ ١٦٥أ ، والسمرقندي ٢/ ٢٥٢ ، والبغوي ٥/ ٤٧ ، والخازن ٣/ ١٣٧ .

(٤) ورد مختصراً في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٨أ ، والطبري ١٤/ ١٨٣ ، والثعلبي ٢/ ١٦٥أ ، والسمرقندي ٢/ ٢٥٣ ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٤٧ ، وابن عطية ٨/ ٥٢٥ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٩٨ ، والخازن ٣/ ١٣٧ .

(٥) ورد مختصراً غير منسوب في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٥٣ ، والزمخشري ٢/ ٣٤٥ ، وابن عطية ٨/ ٥٢٥ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٩٩ ، والفخر الرازي ٢٠/ ١٢٦ .

خروجه ، وقرأ ابن عامر فَتنوا ، بفتح الفاء[١] ، ومعنى هذا (للذين هاجروا من بعد ما فَتنوا) أنفسهم بإظهار ما أظهروا للتقية ، وجعل ذلك فتنة؛ لأن الرخصة فيه لم تكن نزلت بعد[٢] .

وذهب قوم من المفسرين إلى أن الآية نزلت في قوم من الذين كانوا يُعذِّبون المستضعفين بمكة ، آمنوا وهاجروا إلى النبي ﷺ[٣] ، فقال الله تعالى ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ الآية .

١١١. قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ﴾ . قال أبو إسحاق : ﴿يَوْمَ﴾ منصوب على أحد شيئين؛ على معنى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ، ﴿يَوْمَ تَأْتِي﴾ ، ويجوز ذَكِّرْهم يوم ، أو اذْكُر يوم؛ لأن معنى القرآن العِظة والإنْذَارُ والتَّذْكير[٤] .

وقوله تعالى : ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ ، أراد كلَّ إنسان وكلَّ واحد ، ولقوله : ﴿تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ ، ولم يقل : يُجَادَل عنها ، قال المفسرون : وهذا يوم القيامة كل أحد لا يهمه إلَّا نفسه ، فهو مخاصم ومحتج عن نفسه لا يتفرغ إلى غيره؛ وذلك أن

---

(١) انظر : السبعة ٣٧٦ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٦٠ ، وعلل القراءات ١/ ٣٠٩ ، والحجة للقراء ٥/ ٧٩ ، والمبسوط في القراءات ٢٢٦ ، والتبصرة ٤٦٦ ، والتيسير ٣٨ ، والمُوضح في وجوه القراءات ٢/ ٧٤٥ .

(٢) ورد في الحجة للقراء ٥/ ٧٩ ، بنصه تقريباً ، لكنه قال : لأن الرخصة فيه لم تكن نزلت بعد ، وقد تصحفت في المصدر (الرخصة) إلى (الرحمة) . وورد بنحوه في الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٤١ ، وتفسير الطوسي ٦/ ٤٣١ ، وانظر : المُوضح في وجوه القراءات ٢/ ٧٤٥ ، وتفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١٢٥ .

(٣) ورد بنحوه في إعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٦١ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٤١ ، وتفسير الثعلبي ٢/ ١٦٥أ ، وانظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١٢٥ ، ويفتقر هذا القول إلى دليل صحيح مسند .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٢١ ، بتصرف يسير .

لجهنم زفرة يقع كل أحد جاثياً على ركبتيه ، حتى إن إبراهيم ليدلي بالخُلَّة ، فيقول : يا رب ، أنا خليلك إبراهيم ، لا أسألك إلَّا نفسي[١] .

وقوله تعالى : ﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ . قال ابن عباس : يريد ثوابها غير منتقص ، والتقدير : ثواب ما عملت أو جزاء ما عملت ، فحذف المضاف ، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ، قال : يريد لا ينقصون .

١١٢ . قوله تعالى : ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ الآية . معنى ضَرْبِ المثلِ بيانُ المُشبَّه والمُشبَّه به ، وهاهنا ذَكَرَ المُشبَّه به ولم يذكر المُشَبَّه لوضوحه عند المخاطبين ، والآية عند عامة المفسرين : نازلة في أهل مكة وما امتُحِنوا به من الخوف والجوع ، بعد الأمن والنعمة ، بتكذيبهم النبي ﷺ ، وتقدير الآية : ضربَ اللهُ لقريتكم مَثَلاً؛ أي بيَّن الله لها شَبَهاً ، ثم قال : ﴿قَرْيَةً﴾ فيجوز أن تكون القرية بدلاً من مثلاً؛ لأنها هي الممثل بها ، فهي المثل ، ويجوز أن يكون المعنى : ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ مَثَلَ قرية ، فحذف المضاف وهذا قول الزَّجَّاج[٢] .

---

(١) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه (٢/ ٣٦٣) ، بنحوه عن قتادة ، والواحدي في تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٤٥٠ ، بنحوه عن كعب ، وورد بنحوه في معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٢١ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ١٠٨ عن كعب ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٥٣ ، والثعلبي ٢/ ١٦٥أ ، عن كعب ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٤٨ عن كعب ، وابن الجوزي ٤/ ٤٩٩ عن كعب ، والفخر الرازي ٢٠/ ١٢٦ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٩٣ ، والخازن ٣/ ١٣٨ ، والدر المنثور ٤/ ٢٥١ وعزاه إلى ابن المبارك وابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن كعب . والظاهر أن هذا الخبر من الإسرائيليات ، خاصة أنه موقوف على كعب ، وهو من مصادر الإسرائيليات .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٢١ ، بنصه .

والمفسرون كلهم قالوا : [أراد بالقرية مكة ، يعنون أنه أراد مكة في تمثيلها بقرية صفتها ما ذُكِر[١] ، كما قالوا][٢] في قوله : ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة :١٧] ، أراد بالذي استوقد المنافقين؛ أي أرادهم بهذا المثل ، لا أنهم كانوا يستوقدون النار ، ولكن أَشْبَه حالُهم حالَه ، كذلك أشبهت حالُ مكة حالَ هذه القرية ، والكلام في جميع صفات القرية جرى على القرية ، والمُرادُ أهلُها؛ لأن الطمأنينة والأمن وإتيان الرزق حقيقتها لأهلها لا لها ، يدل على هذا قوله في آخر الآية : ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ ، ولم يقل : بما صنعت .

وقوله تعالى : ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً﴾؛ أي ذات أمن ، يأمن فيها أهلها لا يُغَارُ عليهم ، كما قال : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت :٦٧] ، وجاز وصفها بالأمن وإن كان لأهلها؛ لأنها مكانُ الأمن وظرفٌ له ، والظروف من الأزمنة والأمكنة توصف بمحالها ، كما يقال : يوم طيب وبارد وحار .

وقوله تعالى : ﴿مُّطْمَئِنَّةً﴾؛ أي قارة ساكنة بأهلها ، لا يحتاجون إلى الانتقال عنها لخوف أو ضيق ، وهو قوله : ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾؛ لأن الله جعل أفئدة من الناس تهوي إليهم ، فأرزاقهم تأتيهم في بلدهم ، يُجْلَب إليها من كل بلد ، كما قال تعالى : ﴿يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [القصص :٥٧] .

---

(١) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٢/ ٣٦٠ ، بلفظه عن قتادة ، والطبري ١٤/ ١٨٦ ، بلفظه عن ابن عباس ، [طريق العوفي] ، ومجاهد وقتادة وابن زيد ، وورد بلفظه في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٨أ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ١٠٩ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٥٣ ، وهود الهواري ٢/ ٣٩٢ ، والثعلبي ٢/ ١٦٥ب ، وتفسير الماوردي ٣/ ٢١٧ ، والطوسي ٦/ ٤٣٢ ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٤٨ ، وابن عطية ٨/ ٥٢٦ ، وابن الجوزي ٤/ ٤٩٩ ، والفخر الرازي ٢٠/ ١٢٧ ، والخازن ٣/ ١٣٨ ، وابن كثير ٢/ ٦٤٩ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ش) و(ع) .

وقولــه تعــالى : ﴿ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ ﴾ ، الأنعم : جمع نِعْمة ، مثل شِــدَّة وأَشُدٍّ ، هذا قول ســيبويه[١] ، وقال غيره : يجوز أن يكون جمع نُعْمَى ، كما يقال : بؤسى وأبؤس[٢] ، وأنشد :

وعندي قروضُ الخيرِ والشَّرِ كلِّهِ فبُؤسِي لذي بُؤسَى ونُعْمَى بأنْعُمِي[٣]

وكفرانهم بأنعم الله تكذيبهم النبي ﷺ ، ومخالفتهم أمر الله في ما يأمرهم به .

وقوله تعــالى : ﴿ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ ﴾ . قال المفسرون : عذَّبهم اللهُ بالجوع سبع سنين حتى أكلوا الجِيَفَ والعظام المحرقة والعلهز[٤] .

---

(١) الكتاب ٣/ ٥٨٢ ، بلفظه .

(٢) قال الفرَّاء في المقصور والممدود ٤١ ، باب : مايفتح فيمد ويضم فيقصر ، ومَثَّلَ لذلك بقوله : وكذلك . . . ، والنُّعمى والنَّعماء ، والبؤسى والبأســاء ، وهي بالألف الممدودة أشهر منها بالمقصورة ، وفي القرآن : ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ﴾ [هــود : ١٠] ، وكذلك نقل الطبري عن بعض أهل الكوفة ـ ولعله يقصد الفرَّاء ـ أن أنعم جمع نعماء ، مثل بأساء وأبؤس ، لكنه استشهد بالبيت على أن أنعم جمع نُعْم كطُعْم ، وهو قول أبي عبيدة وابن قتيبة ، وردَّ ابن قتيبة قول ســيبويه ، قائلاً : وليس قول من قال : إنه جمع نعمة بشيء؛ لأن فِعلــة لا يجمع على أفعل . انظر : مجاز القرآن ١/ ٣٦٩ ، والغريب لابن قتيبة ١/ ٢٥٠ ، وتفســير الطبري ١٤/ ١٨٦ ، وورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٦٥ب ، بنصه تقريباً ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٤٩ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٩٤ .

(٣) ورد غير منسوب في تفسير الطبري ١٤/ ١٨٦ .
برواية :
فَبُؤْسٌ لذي بُؤسٍ ونُعْمٍ بأنْعُمِ
وورد في تفسير الطوسي ٦/ ٤٣٣ ، برواية :
فبؤسٌ لدى بؤسِي ونعمى بأنعم

(٤) ورد في تفســير مقاتــل ١/ ٢٠٨ب ، بمعناه ، ومعاني القــرآن للفــرَّاء ٢/ ١١٤ ، بنحوه ، والطبري ١٤/ ١٨٧ ، بنحوه ، والثعلبي ٢/ ١٦٥ب ، بنحوه ، وتفســير المــاوردي ٣/ ٢١٧ ، بنحوه ، وانظر : تفســير البغوي ٥/ ٤٩ ، وابن الجــوزي ٤/ ٥٠١ ، والفخر الرازي ٢٠/ ١٢٨ ، وتفســير القرطبي ١٠/ ١٩٥ ، والخــازن ٣/ ١٣٩ ، وابن كثــير ٢/ ٦٤٩ ، قال الطبري : العلهــز : الوبر يعجن بالدم والقُراد يأكلونه ، قلت : والقراد : دويبة متطفلة .

وقوله تعالى : ﴿وَٱلْخَوْفِ﴾ ، قالوا : يعني من النبي ﷺ ومن السرايا التي كان يبعثها إليهم فيطوفون بهم[١] .

قال ابن قتيبة : وأصل الذَّوَاقِ بالفم ، ثم قد[٢] يُستعار فيوضع موضع الابتلاء والاختبار ، تقول في الكلام : نَاظِرْ فُلاناً وذُقْ ما عنده؛ أي تعرَّف واختبر ، واركبِ الفرسَ وذقه ، وأنشد الشماخ في وصف قوس :

فـذاقَ فـأعْطَتْهُ مـن اللَّينِ جَـانباً كفى[٣] ولَهَا أن يُغْرِقَ السَّهْمَ حَاجِزُ[٤]

يريد أنه راز[٥] القوس بالنزع ليعلم؛ أَلَيِّنَةٌ هي أم صُلبةٌ .

قال : ولبـاس الجوع والخوف : ما ظهر عليهم من سـوء آثارهمـا بالضُّمْرِ والشُّحوب ، ونَهْكَةِ[٦] البدن ، وتغيُّر الحال ، وكُسُوف البال ، فكما يقول : تَعَرَّفْتُ

---

(١) ورد بنحوه في الطبري ١٤/ ١٨٧ ، والسـمرقندي ٢/ ٢٥٣ ، والثعلبي ٢/ ١٦٥ب ، وانظر : البغوي ٥/ ٤٩ ، وابن الجوزي ٤/ ٥٠١ ، والقرطبـي ١٠/ ١٩٤ ، والخازن ٣/ ١٣٩ ، وابن كثير ٢/ ٦٤٩ ، وهذا التفسير مشهور بين المفسرين ، وهو من قبيل التفسير بالمثال ، والآية عامة في كل زمان ومكان .

(٢) ساقطة من (د) .

(٣) في النسخ : (لفي) ، ورواية الديوان والمصادر جميعها : (كفى) ، وظاهر أنها تصحفت إلى (لفي) .

(٤) ديوانه ١٩٠ ، وورد في جمهرة أشـعار العرب ٢٩٩ ، والحيوان ٥/ ١٧٩ ، والشـعر والشعراء ١٩٥ ، والمعاني الكبير ٢/ ١٠٤٢ ، والأساس ١/ ٣٠٦ ، واللسـان (ذوق) ٣/ ١٨٩١ ، وفيه : «النبل» بدل «السـهم» ، قال في اللسان أي ولها حاجز يمنع من الإغراق؛ أي فيها لين وشدَّة . وأغرقتُ النَّبل : إذا بلغت به غاية المدِّ في القوس . المحيط في اللغة (غرق) ٤/ ٥٢٨ .

(٥) في (أ) و(د) : (زار) ، وفي المصدر : ذاق ، والمثبت من (ش) و(ع) ، وهو الصحيح الذي يؤدي المعنى ، وهكـذا في المعاني الكبير : (راز) من الروز : التجربة ، يقال : رُزْ ما عند فلان . المحيط في اللغة (روز) ٩/ ٨٤ .

(٦) في (ش) و(ع) : «وبهلكة» ، من الهلاك ، والمثبت أصح وموافق للمصدر .

سوء أثرِ الخوف والجوع على فلان ، وذقت بمعنى : تعرفتُ ، واللِّبَاسُ بمعنى : سوء الأثر[١] ، كذلك تقول : ذقتُ لِبَاسَ الجوع والخوف ، وأذاقني الله ذلك[٢] .

وقال أبو علي : ﴿لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾ المعنى فيه : مقارنة[٣] الجوع لهم ومَسُّه إيَّاهم ، كمخالطة الذائق ما يذوقه ، واللابس ما يَلْبَسُه ، واتصاله بما وقع عليه الذوق ، وكذلك لباس الجوع هو مَسُّه لهم كمسِّ الثوب للابسه ، وأنشد لجرير :

وقدْ لَبِسَتْ بَعْدَ الزُّبَيرِ مُجاشِع ثيابَ الَّتي حاضَتْ ولَمْ تَغْسِلِ الدَّمَا[٤]

يريد أن العار والسُّبَّة لحقتهم ، واتصل بهم لغدرهم ، فجعل ذلك لباساً[٥] ، فعلى ما ذكر ابن قتيبة معنى ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾ عَرَّفَها سوءَ أثرهما ، وعلى ما ذكر أبو علي ، جعل الجوع والخوف تَمَسَّانها وتُلابِسَانِها .

وروي عن أبي[٦] عمرو أنه قرأ : ﴿وَٱلْخَوْفِ﴾ نصباً[٧] بأنْ على الإذاقة[٨] ، والوجه قراءة العامة على معنى : فأذاقهم الله لباس الجوع ولباس الخوف ، يدل

---

(١) في (أ) و(د) : (الأتراء) .

(٢) تأويل مشكل القرآن ١٦٤ـ١٦٥ ، نقل طويل تصرَّف فيه ، واختصره .

(٣) في (أ) و(د) : (مفارقة) ، والمثبت من : (ش) و(ع) ، وفي المصدر : (مقاربة) ، وهو أيضاً تصحيف .

(٤) ديوانه ٤٤٨ ، وورد في : المعاني الكبير ١/ ٥٩٣ ، وتفسير ابن عطية ٨/ ٥٢٨ ، وورد بلا نسبة في تفسير أبي حيان ٥/ ٥٤٣ ، والدر المصون ٧/ ٢٩٥ ، وجرير هنا يهجو البَعِيث ، ومجاشع : قبيلة الفرزدق والبعيث .

(٥) الحجة للقراء ٥/ ٨٠ ، بتصرف يسير .

(٦) في النسخ جميعها : (ابن) ، والصحيح المثبت ، وهو أبو عمرو أحد القراء السبعة .

(٧) انظر : السبعة ٣٧٦ ، وإعراب القراءات السبع وعللها ١/ ٣٦٢ ، وعلل القراءات ١/ ٣٠٩ ، والحجة للقراء ٥/ ٨٠ ، وتفسير الثعلبي ٢/ ١٦٥ب ، والطوسي ٦/ ٤٣٣ ، وابن عطية ٨/ ٥٢٩ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٩٤ .

(٨) الثعلبي : ﴿وَٱلْخَوْفِ﴾ بالنصب بإيقاع أذاقها عليه ، وذكر السمين أربعة أوجه ـ غير هذا الوجه ـ في نصب ﴿وَٱلْخَوْفِ﴾ . انظر : تفسير الثعلبي ٢/ ١٦٥ب ، والدر المصون ٧/ ٢٩٣ .

عليه أن في حـرف أُبي : لباسَ الخوف والجوع[١] ، فقد جعل للخوف لباسـًا كما جعل للجوع ، وحَمْلُه على الخفض باللباس أولى من حمله على الإذاقة؛ لأن اللباس أقـرب إليه ، فحمله على الأقرب أولى ، وليكونـا محمولين على عامل واحد ، كما كان في قولـه : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ [البقـرة :١٥٥] الحمل على عامل واحد[٢] .

وقولـه تعالى : ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ . قال ابـن عباس : يريد : بفعلهم بالنبي ﷺ ، حيث كذبوه وأخرجوه من مكة وما هموا به من قتله[٣] .

قال الفرَّاء : ولم يقـل بما صنعت ، ومثله في القرآن كثير ، منه قوله : ﴿فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ [الأعـراف :٤] ، ولم يقـل : قائلة ، فإذا قال : ﴿قَائِلُونَ﴾ ذهب إلى الرجـال ، وإذا قال : قائلة ، فإنما يعني أيضاً أهلها ، ومثله : ﴿فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ إلى قوله : ﴿فَذَاقَتْ﴾[٤] [الطلاق :٨-٩] .

١١٣. قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ﴾ يعني أهـل مكة ، ﴿رَسُولٌ مِّنْهُمْ﴾ يعني مِنْ نسبهم يعرفونه بأصله ونسبه ، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ ، قال

---

(١) انظر : تفسـير أبي حيان ٥/ ٥٤٤ ، وقـال : وهذا عندي في مصحفه قبل أن يجمعوا على ما في سـواد المصحف الموجود الآن ، وعليه فهي قراءة شاذة .

(٢) الحجة للقراء ٥/ ٨٢ ، بنصه تقريباً .

(٣) انظر : تفسير الرازي ٢٠/ ١٢٩ بنصه ، وابن الجوزي ٤/ ٥٠١ ، بنحوه بلا نسبة .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١١٤ ، بنصه تقريباً .

ابن عباس : يعني الجوع الذي كان بمكة[١] ، وقال مجاهد : يعني القتل ببدر[٢] ، وهو اختيار الزَّجَّاج[٣] .

١١٤. قوله تعالى : ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ الآية .

قال ابن عباس : ﴿فَكُلُوا﴾ يا معشر المؤمنين ، ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ ، يريد من الغنائم[٤] .

وقال الكلبي : إن رؤساء أهل مكة كَلَّمُوا رسول الله ﷺ حين جُهِدوا ، قالوا : عاديت الرجال فما بال النساء والصبيان ، وكانت المِيرَة[٥] قد قطعت عنهم بأمر رسول الله ﷺ ، فأَذِن في الحَمْل إليهم ، فَحُمِل إليهم الطعام[٦] ، فقال الله تعالى : ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ الآية . والقول ما قاله ابن عباس ، يدل عليه قوله بعد هذه الآية :

---

(١) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٥٠١ ، والفخر الرازي ٢٠/ ١٣٠ ، وأخرجه الطبري ١٤/ ١٨٧ ، بنحوه عن قتادة ، وورد بلا نسبة في تفسير القرطبي ١٠/ ١٩٥ ، وتفسير الألوسي ١٤/ ٢٤٥ ، ورجحه .

(٢) ورد في تفسير الطوسي ٦/ ٤٣٤ ، بنحوه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٥٠١ ، بنصه ، وورد بنحوه غير منسوب في تفسير الطبري ١٤/ ١٨٧ .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٢١ ، بنحوه .

(٤) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١٣٠ ، بنصه ، والخازن ٣/ ١٣٩ ، وتفسير الألوسي ١٤/ ٢٤٥ ، وورد غير منسوب في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٨ب ، بنحوه ، وتفسير الطبري ١٤/ ١٨٨ ، بمعناه ، وتفسير ابن الجوزي ٤/ ٥٠١ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٩٥ ، وهذا من قبيل التفسير بالمثال ، والآية عامة في جواز الأكل من كل طيب .

(٥) المِيرَةُ : جلب الطعام للبيع وللعيال ، وهم يَمِيرون غيرهم ويَمْتَارون لأنفسهم . المحيط في اللغة (مير) ١٠/ ٢٨٥ .

(٦) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١٣٠ ، بنصه ، والخازن ٣/ ١٣٩ ، بنحوه ، وتفسير الألوسي ١٤/ ٢٤٥ ، بنصه ، وعزياه إلى الواحدي ، ورد بنحوه غير منسوب في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٥٥ ، والثعلبي ٢/ ١٦٥ب ، والبغوي ٥/ ٤٩ ، وابن الجوزي ٤/ ٥٠١ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٩٥ .

١١٥. ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ وهذا خطاب للمسلمين لا لكفار مكة، وهاتان الآيتان سبق تفسيرهما في سورة البقرة[١].

١١٦. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ الآية. قال مجاهد: يعني البحيرة والسائبة[٢].

وقال ابن عباس: يعني قولهم: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا﴾[٣] [الأنعام: ١٣٩] واختلفوا في وجه انتصاب الكذب، فقال الأخفش: جعل (ما تصف) اسماً للفعل، كأنه قال: ولا تقولوا لوصف ألسنتِكم الكذب[٤]، ونحو هذا قال الكسائي[٥] والزَّجَّاج[٦]، سِوى أنْ قال صاحب النظم: واللام في (لِمَا) لامُ سبب وأجل، كما يقال: فعلت هذا لك؛ أي لأجلك وبسببك[٧]، والمعنى: ولا تقولوا لأجل وصفكم الكذب هذا حلال وهذا حرام؛ أي إنكم تُحِلُّون وتُحَرِّمون لأجل الكذب لا لغير، فليس لتحريمكم وتحليلكم معنى وسبب إلا الكذب فقط، فلا تفعلوا ذلك، هذا معنى قوله: إن دخول اللام في (لِمَا) سبب لقوله: ﴿هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾، وذكر وجهين آخرين في انتصاب

---

(١) آية [١٧٢-١٧٣].

(٢) تفسير مجاهد ٣٥٤، بنصه، أخرجه الطبري ١٤/ ١٨٩ بنصه من طريقين، وورد في: معاني القرآن للنحاس ٤/ ١١٠، بنحوه، وانظر: تفسير الخازن ٣/ ١٤٠، والدر المنثور ٤/ ٢٥٢، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم، وورد بلا نسبة في تفسير الثعلبي ٢/ ١٦٥ب، والبغوي ٥/ ٤٩-٥/ ٥٠.

(٣) انظر: تفسير الخازن ٣/ ١٤٠.

(٤) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٠٨، بنصه.

(٥) انظر: تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١٣١، وأبي حيان ٥/ ٥٤٥، والدر المصون ٧/ ٢٩٧، وتفسير الألوسي ١٤/ ٢٤٧.

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٢٢، بنصه.

(٧) انظر: تفسير ابن الجوزي ٤/ ٥٠٢، بنحوه عن ابن الأنباري.

الكذب : أحدهما : أن نصبه على نفي الخافض[١] ، على تأويل لِمَا تصف ألسنتكم كذباً على جهة التفسير[٢] أو الحال ، ثم ألحق به الألف واللام ، كما قال الشاعر[٣] :

وما قومي بِثَعْلَبَةَ بنِ بَكْرٍ ولا بفَزَارةِ الشُّعْرِ الرِّقابَا[٤]

انتصب الرقاب على معنى التفسير ، هذا كلامه[٥] ، والقول قول الأخفش والكسائي ، والإشارة بقوله : ﴿هَٰذَا﴾ و﴿وَهَٰذَا﴾ إلى ما كانوا يحلونه ويحرمونه .

وقوله تعالى : ﴿لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ ، وذلك أنهم كانوا ينسبون ذلك التحريم إلى الله تعالى ، ويقولون : إنه أمَرَنا بذلك ، وقوله : ﴿لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ بدل من قوله : ﴿لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ﴾؛ لأن وصفهم الكذب هو افتراء على الله ، ففسر ذلك الوصف والكذب بالافتراء على الله ، ثم أوعد المفترين ، وقال : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ .

١١٧. ثم بين أن ما هم فيه من نعيم الدنيا يزول عنهم عن قريب ، فقال : ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ ، قال الزَّجَّاج : المعنى : متاعهم متاع قليل؛ أي

---

(١) أي لما تصف ألسنتكم من الكذب . تفسير القرطبي ١٠/ ١٩٦ .

(٢) أي التمييز . انظر : المعجم المفصل في النحو العربي ١/ ٣٦٥ .

(٣) هو الحارث بن ظالم (جاهلي) .

(٤) ورد في الكتاب ١/ ٢٠١ ، والبيان والتبيين ٤/ ١٠٠٨ ، والمقتضب ٤/ ١٦١ ، والأغاني ١١/ ١٢٣ ، والإنصاف ١٠٩ ، ١١٠ ، وأمالي ابن الشجري ٢/ ٣٩٨ ، وشرح المفصل ٦/ ٨٩ ، وفي بعض المصادر برواية : «الشُّعْرى رِقاباً» ، وفي المصادر جميعها ما عدا الإنصاف : (سعد) بدل (بكر) ، قال في الانتصاف من الإنصاف : والمحفوظ (بثعلبة ابن سعد) ، وكذلك هو في نسب ثعلبة؛ فإنه ثعلبة بن سعد بن ذبيان ، وفزارة هو ابن ذبيان أخو سعد بن ذبيان أبي ثعلبة ، والشاعر في هذا البيت ينتفي من بني سعد بن ذبيان . (الشُّعْر) : جمع أشعر ، والشعرى مؤنث الأشعر ، والأشعر : الكثير شعر القفا ومقدم الرأس ، فهذا عندهم مما يتشاءم به ، ويحمدون النَّزع ، وهو انحسار الشعر عن مقدم الرأس . والشاهد : أنه نصب الرقابا بقوله : (الشُّعْر) جمع أشعر ، وهو هنا صفة مشبهة .

(٥) ذكر الواحدي أن صاحب النظم ذكر وجهين آخرين للنصب ، ولم يذكر إلا وجهاً واحداً ، وذكر السمين أربعة أوجه للنصب . انظر : الدر المصون ٧/ ٢٩٧ .

يَتَمتَّعون[١] ، وقال ابن عباس : يريد متاع الدنيا قليل[٢] ، وقيل : لهم متاع قليل ثم يردون إلى عذاب أليم[٣] ، وهو قوله : ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٤] .

١١٨. قوله تعالى : ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ . قال السدي وقتادة : يعني ما ذَكر في سورة الأنعام : ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾[٥] [الآية :١٤٦] .

وقوله : ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾؛ أي بتحريم ما حرمنا عليهم ، ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ، ثم عطف على هذا بالمغفرة لمن تاب منهم ومن غيرهم بعد المعصية ، فقال :

١١٩. ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ ، قال ابن عباس في [هذه الآية : يريد بـ ﴿ٱلسُّوٓءَ﴾ : الشرك[٦] ، ﴿ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ :

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٢٢ ، بتصرف يسير .

(٢) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١٣٢ ، ورد بنحوه غير منسوب في تفسير الطبري ٧/ ٦٥٨ ، وهود الهواري ٢/ ٣٩٣ ، والثعلبي ٢/ ١٦٥ب ، والبغوي ٥/ ٥٠ .

(٣) ورد في تفسير الطبري ١٤/ ١٨٩ ، بنحوه ، والثعلبي ٢/ ١٦٥ب ، بنحوه ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٥٠ ، والقرطبي ١٠/ ١٩٦ .

(٤) نقل الفخر الرازي هذا المقطع بنصه تقريباً مع العزو للواحدي . انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١٣٢ .

(٥) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٢/ ٣٦٠ ، بنحوه عن قتادة ، والطبري ١٤/ ١٨٩ ، بنحوه عن قتادة ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١١٠ ، بنحوه عن قتادة ، وتفسير الطوسي ٦/ ٤٣٦ ، بنصه عن قتادة ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٥٢ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم ، وورد بنحوه غير منسوب في تفسير هود الهواري ٢/ ٣٩٣ ، والثعلبي ٢/ ١٦٦أ ، والبغوي ٥/ ٥٠ ، وابن الجوزي ٤/ ٥٠٣ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٩٧ ، والخازن ٣/ ١٤٠ ، وابن كثير ٢/ ٦٥١ .

(٦) انظر : تفسير القرطبي ١٠/ ١٩٧ ، وأبي حيان ٥/ ٥٤٦ ، وتفسير الألوسي ١٤/ ٢٤٩ ، والتعميم أولى من هذا التخصيص .

السـوء ، ﴿وَأَصْلَحُوٓاْ﴾ ، قال ابن عبـاس][1] : يريد آمنـوا وصدقوا وقاموا لله بفرائضه وانتهوا عن معاصيه[2] .

وقال أهل المعاني : شَرَطَ مع التوبة الإصلاح؛ للاستدعاء إلى الصلاح وترك الاغترار بما سلف من التوبة[3] .

وقوله تعـالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا﴾؛ أي من بعد تلـك الجهالة[4]﴿لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ .

١٢٠. قوله تعالى : ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ . قال ابن مسعود وابن عباس في رواية الكلبي : مُعَلِّماً للخير ، وهو قول أكثر أهل التفسير[5] .

قال ابن الأعرابي : يقال للرجل العالم : أُمَّة ، والأُمَّةُ : الرجل الجامع للخير[6] .

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (د) .

(٢) انظر : تفسير أبي حيان ٥/ ٥٤٦ ، بنحوه بلا نسبة .

(٣) ورد في تفسير الطوسي ٦/ ٤٣٧ ، بنصه تقريباً .

(٤) ورد بلفظه في تفسـير هود الهواري ٢/ ٣٩٣ ، والثعلبي ٢/ ١٦٦أ ، وانظر : تفسـير البغوي ٥/ ٥٠ ، وبمعناه قال السمرقندي ٢/ ٢٥٤ ، قال : من بعد السيئة ، وفي هذا التفسير نظر؛ لأن المغفرة لا تحصل بعد تلك الجهالة أو السـيئة ، بل بعد التوبة من الجهالة والسيئة ، لذلك قال الطبري وغيره ١٤/ ١٩٠ أي من بعد توبتهم .

(٥) أخرجه الطبري ١٤/ ١٩١ ، بنحوه من طرق عن ابن مسـعود ، وورد بنحوه عن ابن مسعود في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١١٠ ، وتفسـير السـمرقندي ٢/ ٢٥٤ ، وتفسير الماوردي ٣/ ٢١٨ ، والطوسي ٦/ ٤٣٧ ، كذلك ورد في تفسـير مقاتـل ١/ ٢٠٩أ ، بنحوه ، والثعلبـي ٢/ ١٦٦أ ، بلفظه ، وانظر بنحوه عن ابن مسـعود في : تفسـير البغوي ٥/ ٥٠ ، والزمخشري ٢/ ٣٤٨ ، وابن عطية ٨/ ٥٤٠ ، وابن الجوزي ٤/ ٥٠٣ ، وتفسـير القرطبي ١٠/ ١٩٨ ، والخـازن ٣/ ١٤١ ، وأبي حيان ٥/ ٥٤٧ ، عنهما ، وتفسير الألوسي ١٤/ ٢٤٩ ، بنحوه عن ابن عباس .

(٦) ورد في تهذيب اللغة (أم) ١/ ٢٠٣ ، بنصه .

وقال ابن عباس في رواية[١] الضحاك في قوله : ﴿كَانَ أُمَّةً﴾ قال : كان على الإسلام ولم يكن في زمانه أحدٌ على الإسلام غيرُه[٢] ، فلذلك قال الله تعالى : ﴿كَانَ أُمَّةً﴾ .

وقال مجاهد : كان مؤمناً وحده والناس كفار كلهم ، وهو قول إبراهيم[٣] ، وقال ابن قتيبة : أي إماماً يَقْتَدِى به الناس؛ لأنه ومن اتبعه أُمَّة ، فَسُمِّي أُمَّة؛ لأنه سبب الاجتماع[٤] ، هذا وجه قول من قال : أُمَّةً : معلماً للخير .

ومن قال : أُمَّةً؛ أي مؤمناً وحده؛ فلأنه اجتمع عنده من خلال الخير ما يكون مِثْلُه في أُمَّة ، ومن هذا يقال : فلان أُمَّةٌ وحْدَه؛ أي هو يقوم مقام أمة[٥] ، والكلام في وجوه الأمة ومعانيها قد تقدم[٦] .

---

(١) ساقطة من (أ) و(د) .

(٢) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٥٠٣ ، والدر المنثور ٤/ ٢٥٣ ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم ، وورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٥٤ ، بنحوه بلا نسبة .

(٣) لم أجده في تفسير مجاهد ، وورد عنه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١١١ ، بنصه ، وتفسير الثعلبي ٢/ ١٦٦أ ، بنصه ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٥٠ ، والفخر الرازي ٢٠/ ١٣٤ ، والخازن ٣/ ١٤١ ، وأبي حيان ٥/ ٥٤٧ ، وابن كثير ٢/ ٦٥٢ ، والدر المنثور ٤/ ٢٥٣ ، وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم ، ولم أقف عليه منسوباً إلى إبراهيم .

(٤) تأويل مشكل القرآن ٤٤٥ ، بنصه .

(٥) المصدر السابق بنصه .

(٦) سورة البقرة [١٢٨] .

وقوله تعالى : ﴿قَانِتًا لِلَّهِ﴾ . قال ابن عباس والجميع : مطيعاً لله[١] .

وقوله تعالى : ﴿حَنِيفًا﴾ . قال ابن عباس : يريد أنه أول من اختتن وأقام مناسك الحج وضَحَّى ، هذه صفة الحنيفية[٢] ، والقنوت والحنيفية مما تقدم القول فيه[٣] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ . قال ابن عباس : يريد أخلص لله التوحيد صبياً وكبيراً[٤] ، وذكرنا وجه حذف النون مِنْ يكن عند قوله : ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ﴾[٥] في سورة هود [١٠٩] .

١٢٢ . قوله تعالى : ﴿وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ . قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : يقول : الذكر الحسن[٦] ، وقال في رواية عطاء : يريد الصدق والوفاء والعبادة[٧] .

---

(١) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١٣٥ ، وتنوير المقباس ٢٩٥ ، والدر المنثور ٤/ ٢٥٣ ، وعزاه إلى ابن المنذر ، وأخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٢/ ٣٦٠ ، بنحوه عن قتادة ، وورد بلفظه في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٩أ ، وتأويل مشكل القرآن ٤٥٢ ، وتفسير الطبري ١٤/ ١٩٢ ، عن مجاهد ، وهود الهواري ٢/ ٣٩٤ ، والماوردي ٣/ ٢١٩ ، عن ابن مسعود ، والطوسي ٦/ ٤٣٧ ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٥٠ ، والخازن ٣/ ١٤١ .

(٢) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١٣٥ ، بنصه ، والخازن ٣/ ١٤١ ، بلا نسبة .

(٣) سورة البقرة آية : [١٣٥ ، ٢٣٨] .

(٤) انظر : تفسير الخازن ٣/ ١٤١ ، بنحوه بلا نسبة .

(٥) منها أنها حذفت لكثرة استعمال هذا الحرف ، وهو قول سيبويه وجُلِّ البصريين .

(٦) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٥٠٤ ، وأبي حيان ٥/ ٥٤٧ .

(٧) انظر : تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١٣٦ ، بنصه بلا نسبة .

وقال الحسن : النبوة[١] . وقال مجاهد : لسان صدق في الآخرين[٢] .

وقال الكلبي : الثناء الحسن من بعده[٣] .

وقال مقاتل : يعني الصلوات عليه مقروناً بالصلاة على محمد ﷺ ، وهو قول المتشهد : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم[٤] ، وهذه الأقوال متقاربة وجملتها تعود إلى تنويه الله بِذِكْره في الدنيا بطاعته لربه ، ومسارعته إلى مرضاته ، وإخلاصه في عبادته ، حتى صار إماماً يُقْتَدَى به ، قال قتادة : فليس من أهل دين إلا يتولونه ويرضون به[٥] .

وقوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ وهو أيضاً كان في الدنيا من الصالحين ، فلذلك قال : إن [من][٦] بمعنى (مع) ، وقال أهل المعاني : إنما قال : ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ، ولم يقل : في أعلى منازل الصالحين بحسب ما

---

(١) ورد في تفسير الماوردي ٣/ ٢١٩ ، بلفظه ، والطوسي ٦/ ٤٣٨ ، بلفظه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٥٠٤ ، وأبي حيان ٥/ ٥٤٧ ، والقرطبي ١٠/ ١٩٨ ، بلا نسبة .

(٢) تفسير مجاهد ٣٥٤ ، بنحوه ، أخرجه الطبري ١٤/ ١٩٣ ، بنحوه من طريقين ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١١١ ، بنحوه ، وتفسير الماوردي ٣/ ٢١٩ ، بنحوه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٥٠٤ ، وأبي حيان ٥/ ٥٤٧ ، وابن كثير ٢/ ٦٥١ ، والدر المنثور ٤/ ٢٥٣ وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) ورد بنحوه غير منسوب في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٥٥ ، وهود الهواري ٢/ ٣٩٤ ، والثعلبي ٢/ ١٦٦أ ، والبغوي ٥/ ٥١ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ١٩٨ ، والخازن ٣/ ١٤١ ، وتنوير المقباس ٢٩٥ .

(٤) الخبر عن مقاتل بن حيان كما صرَّح البغوي وابن الجوزي؛ لذلك لم أجده في تفسير مقاتل بن سليمان ، وقد ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٦٦أ ، بنحوه ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٥١ ، وابن الجوزي ٤/ ٥٠٤ ، والفخر الرازي ٢٠/ ١٣٦ ، بلا نسبة ، والخازن ٣/ ١٤١ بلا نسبة .

(٥) أخرجه الطبري ١٤/ ١٩٣ ، بنحوه ، ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٦٦أ ، بنصه تقريباً ، وتفسير الماوردي ٣/ ٢١٩ ، بنحوه ، والطوسي ٦/ ٤٣٨ ، بنحوه ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٥١ ، والزمخشري ٢/ ٣٤٨ ، وابن الجوزي ٤/ ٥٠٤ ، والخازن ٣/ ١٤١ ، والدر المنثور ٤/ ٢٥٣ ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٦) إضافة يقتضيها السياق ليستقيم المعنى ، ولعلها سقطت .

تقتضيه حاله من الفضل؛ لمدح من هو منهم ، والترغيب في الصلاح ليكون صاحبُه في جَنْبِه إبراهيم ، وناهيك بهذا الترغيب في الصلاح ، وبهذا المدح لإبراهيم أن يُشَرِّفَ جُمْلة هو فيها ، حتى يصير الاستدعاء إليه بأنه فيها[١] .

١٢٣. قوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ الآية . هذا يدل على أن دين محمدﷺ دين إبراهيم ، وشريعته كشريعته؛ حيث أُمر باتباعه وأُمرنا باتباعه ، وهو الأفضل بسبقه إلى القول بالحق والعمل به من غير تقصير ، وفيه قال عبدالله بن عمرو : أُمر باتباعه في مناسك الحج كما علَّم جبريلُ إبراهيمَ عليهما السلام[٢] .

١٢٤. قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ الآية . قال مجاهد : اختلفوا فيه واتبعوه وتركوا الجمعة[٣] .

وقال السدي : إن الله فرض على اليهود الجمعة فأبوا ، وقالوا : يا موسى ، إن الله لم يخلق يوماً أثقل علينا ولا أبغض إلينا من يوم الجمعة ، فاجعل لنا يوم السبت ، فلما جعل لهم السبت استحلوا منه ما حرم عليهم[٤] .

وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس : أمرهم موسى بالجمعة ، فقال : تفرغوا لله في كل سبعة أيام يوماً واحداً فاعبدوه في يوم الجمعة ولا تعملوا فيه شيئاً

---

(١) ورد في تفسير الطوسي ٦/ ٤٣٨ ، بنصه تقريباً .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٣/ ٣١٧ ، مفصلاً عن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ ، والثعلبي ٢/ ١٦٦أ ، مفصلاً عنه عن النبي ﷺ ، وانظر : تفسير القرطبي ١٠/ ١٩٨ ، بنصه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٥٤ ، مفصلاً ، وزاد نسبته إلى عبدالرزاق في المصنف وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الشعب موقوفاً .

(٣) تفسير مجاهد ٣٥٥ ، بنصه ، أخرجه الطبري ١٤/ ١٩٣ ، بنصه من طريقين ، وورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٥٥ ، بنصه ، وانظر : تفسير ابن كثير ٢/ ٦٥٢ .

(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٥٤ ، بنحوه وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

مــن صنعتكم ، فأبوا أن يقبلوا ذلك ، وقالوا : لا نبغي إلا اليوم الذي فُرغ فيه من الخلق؛ يوم الســبت ، فجُعل عليهم السبت وشُدِّدَ عليهم فيه ، ثم جاءهم عيسى بالجمعة ، فقال النصارى : لا نريد أن يكــون عِيدُهم بعد عيدنا فاتخذوا الأحد ، هذا الذي ذكرنا هو قول أكثر المفسريــن في هذه الآية[١] ، وهو معنى ما روى أبو هريــرة أن النبي ﷺ قال : «إن الله كتب الجمعة على من كان قبلنا ، فاختلفوا فيه ، وهدانا الله له ، فالناس لنا فيه تبع اليهود غداً والنصارى بعد غد»[٢][٣] .

وعلى هذا القــول معنى قولــه : ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾؛ أي اختلفوا فيه على نبيهم موســى؛ حيــث أمرهم بالجمعــة فاختاروا الســبت ، فاختلافهم في الســبت كان اختلافاً على نبيهم في ذلك اليوم[٤]؛ أي لأجلــه لأنهم اختاروه ولم يختلفوا في اختياره ، وهذا مما أشــكل على كثير مــن المفسرين حتى قال بعضهم : معنى الاختلاف في الســبت أن بعضهم قال هو أعظم الأيام حرمة؛ لأن الله فرغ فيه من خلق الأشــياء ، وقال آخرون : لا بل الأحد؛ لأن الله ابتدأ خلق الأشــياء

---

(١) ورد بنحوه منســوباً إلى الكلبي في تفســير هود الهــواري ٢/ ٣٩٥ وليس فيه الخبر عن عيســى عليه الســلام ، والثعلبي ٢/ ١٦٦أ ، وانظر : تفســير البغوي ٥/ ٥٢ ، وابن الجــوزي ٤/ ٥٠٥ ، والفخر الرازي ٢٠/ ١٣٧ ، والخازن ٣/ ١٤١ ، وورد في تفســير مقاتــل ١/ ٢٠٩أ ، بنحوه ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١١٤ ، بنحوه ، والسمرقندي ٢/ ٢٥٥ ، بنحوه .

(٢) في النسخ جميعها : (غداً) ، وهو خطأ نحوي ظاهر .

(٣) ورد في جميع المصادر بزيادة ، وطرفه : «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة» . أخرجه أحمد ٢/ ٢٤١ ، ٢٤٩ ، ٢٧٤ ، والبخــاري ٨٧٦ ، كتــاب : الجمعة ، باب : فرض الجمعة ، ومســلم ٨٥٥ ، كتاب : الجمعة ، بــاب : هداية هذه الأمة ، والدار قطني ٢/ ٣ ، والثعلبــي ٢/ ١٦٦ب ، والبيهقي ، كتاب : الطهارة ، باب : الغســل على من أراد الجمعة ١/ ٢٩٧ ، والبيهقــي في الدلائل ٥/ ٤٧٥ ، والبغوي ٥/ ٥٢ ، والبغوي في شرح الســنة ، كتاب : الجمعة ، باب : فرض الجمعة ٤/ ٢٠٠ ، وورد في تفسير السمرقندي ٢/ ٢٥٥ ، وهود الهواري ٢/ ٣٩٥ ، والخازن ٣/ ١٤١ ، وابن كثير ٢/ ٦٥٢ .

(٤) ورد بنحوه في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٩أ ، وهود الهواري ٢/ ٣٩٥ .

فيه[١] ، وهذا غلط؛ لأن اليهود لم يكونوا فريقين في يوم السبت ، وإنما اختار الأحد النصارى بعدهم بزمان طويل .

وقال بعض المفسرين أيضاً : أكثر اليهود قالوا : نريد اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق الأشياء ، وكان شرذمة منهم يرغبون في الجمعة ، فهذا اختلافهم[٢] ، وهذا القول أيضاً في الفساد كالأول ، ولم يرو[٣] أحدٌ أن اليهود اختلفوا في اختيار السبت حتى مال بعضهم إلى الجمعة ، ولكن لمَّا أشكل على هؤلاء وجه اختلافهم في السبت تخبطوا واضطربوا حتى أتوا بما لا وجه له .

وفي الآية قولٌ ثانٍ؛ وهو ما رواه عطاء عن ابن عباس قال : ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ ، يريد تهاونوا وصادوا فيه وتعدوا[٤] .

وقال قتادة : استحله بعضهم ، وحرمه بعضهم[٥] .

وهذا قول سعيد بن جبير ، وعلى هذا معنى اختلافهم في السبت : اختلافهم في استحلاله بالصيد فيه ، وتحريمُه : ما ذكر الله تعالى قصتهم في سورة الأعراف [١٦٣] زمن داود ، والوجه هو القول الأول؛ لأن السبت جعل عليهم من أول ما اختاروه لا من زمن داود عليه السلام ، ومعنى فجعل عليهم؛ أي جعل ذلك

---

(١) ورد في تفسير الطبري ١٤/ ١٩٣ ، بنصه ، والثعلبي ٢/ ١٦٦أ ، بنصه ، وتفسير الماوردي ٣/ ٢٢٠ ، بنصه ، والطوسي ٦/ ٤٣٨ ، بنصه .

(٢) انظر : تفسير الزمخشري ٢/ ٣٤٨ ، وتفسير ابن عطية ٨/ ٥٤٤ ، وتفسير أبي حيان ٥/ ٥٤٨ ، وتفسير الألوسي ١٤/ ٢٥٣ .

(٣) في (ش) و(ع) : (يروا) من الرؤية ، والمثبت أصح من الرواية ، كما هو السياق .

(٤) ورد غير منسوب في تفسير الطوسي ٦/ ٤٣٨ ، بمعناه .

(٥) أخرجه الطبري ١٤/ ١٩٤ ، بنصه ، عن سعيد عن قتادة ، ورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١١٢ ، بنصه ، عن سعيد عن قتادة ، وتفسير الثعلبي ٢/ ١٦٦ب ، بنصه عن قتادة ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٥٢ ، عن قتادة ، وابن الجوزي ٤/ ٥٠٥ ، عن قتادة ، والخازن ٣/ ١٤٢ ، عن قتادة ، وورد غير منسوب في تفسير هود الهواري ٢/ ٣٩٥ ، بنصه .

اليوم عقوبة وتشديداً عليهم ، ولم يجعل لهم ذلك اليوم كما ذكر الكلبي : أنهم لما تركوا الجمعة وأرادوا السبت بَدَلَها ، جعل عليهم السبت وشدِّد عليهم فيه ، والآية تدل على نسخ ما سبق من الشريعة في السبت بشريعة محمد ﷺ ، حيث أخبر أن السبت جعل عليهم ولم يجعل علينا .

وذكر بعض أهل المعاني أن وجه اتصال معنى هذه الآية بمعنى الآية السابقة هو : أنه لما أُمر النبي ﷺ باتباع الحق ، حذر من الاختلاف عليه فيه بما ذكر من حال الذين اختلفوا على نبيهم في السبت بما ليس لهم أن يختلفوا فيه ، فشدد عليهم أمره وضيق[١] .

وذكر أبو إسحاق القولين في هذه الآية ، فقال : جاء في التفسير أنهم أُمروا بأن يتخذوا الجمعة عيداً ، فخالفوا وقالوا : نريد يوم السبت ، واختار القول الأول ، فقال : هو أدل على ما جاء في الاختلاف في السبت[٢] .

١٢٥. قوله تعالى : ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ . قال ابن عباس : دين ربك[٣] .

﴿بِٱلْحِكْمَةِ﴾ قال أهل التفسير : بالنبوة[٤] ، ﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ يعني مواعظ القرآن ، ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾؛ أي افتلهم عما هم عليه ، غير فظ

(١) ورد في تفسير الطوسي ٦/ ٤٣٨ ، بنصه تقريباً ، وانظر : تفسير القرطبي ١٠/ ٢٠٠ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٢٣ ، بنصه .

(٣) انظر : تنوير المقباس ٢٩٥ ، وورد بلفظه غير منسوب في تفسير مقاتل ١/ ٢٠٩أ ، والسمرقندي ٢/ ٢٥٥ ، والثعلبي ٢/ ١٦٦ب ، والخازن ٣/ ١٤٢ .

(٤) ورد بلفظه في معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٢٣ ، وتفسير السمرقندي ٢/ ٢٥٥ ، وتفسير الماوردي ٣/ ٢٢٠ ، والطوسي ٦/ ٤٤٠ ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٥٠٦ ، والخازن ٣/ ١٤٣ ، وأبي حيان ٥/ ٥٤٩ .

ولا غليظ القلب في ذلك؛ أي ألن لهم جانبك[١] ، ومعنى : ﴿بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ بالكلمة التي هي أحسن .

قال مجاهد أي أعرض عن أذاهم إياك كله[٢] ، قال : لا تقابلهم بسوء ، وهذا قبل الأمر بالقتال .

وقال عطاء عن ابن عباس : ﴿بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ بلا إله إلا الله[٣] ، كأنه قال : جادلهم بهذه الكلمة ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ إلى آخرها ، معناه : هو أعلم بالفريقين ، فهو يأمرك فيهما بما فيه الصلاح .

١٢٦. قوله تعالى : ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟﴾ الآية . هذه الآية فيها ثلاثة أقوال للمفسرين :

أحدها : وهو الذي عليه العامة ، أنها نزلت لما قال النبي ﷺ حين نظر إلى حمزة وقد مُثِّلَ به : «والله لأمثلن بسبعين منهم مكانك» ، فنزل جبريل ، والنبي ﷺ واقف بعد ، بخواتيم سورة النحل ، فصبر رسول الله ﷺ وكفَّر عن يمينه وأمسك عما أراد ، هذا قول ابن عباس في رواية عطاء وأبي بن كعب والشعبي[٤] ،

---

(١) ورد في معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٢٣ ، بنصه تقريباً ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٥٠٦ .

(٢) تفسير مجاهد ٣٥٥ ، بنصه ، أخرجه الطبري ١٤/ ١٩٤ ، بنصه من طريقين ، والدر المنثور ٤/ ٢٥٥ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) انظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٥٠٦ ، بنصه ، وتنوير المقباس ٢٩٥ ، بنصه .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ٣٦٦ ، بمعناه عن الشعبي ، وأحمد ٥/ ١٣٥ ، بنحوه من طريقين عن أُبي ، والترمذي ، كتاب : التفسير ، باب : النحل ، بمعناه عن أُبي وحسَّنه ، والنسائي في التفسير ١/ ٦٤١ ، بمعناه عن أُبي ، والطبري ١٤/ ١٩٥ ، بنحوه عن عطاء بن يسار ، إلا أن فيها : «لنُمثلنَّ بثلاثين رجلاً منهم» ، والطبراني في الكبير ١١/ ٦٢ ، بنحوه عن ابن عباس ، وفيه : «لأمثلن بثلاثين» ، والحاكم : التفسير ، النحل ٢/ ٣٥٩ بمعناه عن أُبي ، وقال : صحيح الاسناد ، والبيهقي في الدلائل ٣/ ٢٨٨_٢٨٩ ، بنحوه عن ابن عباس ، وبمعناه عن أُبي ، والواحدي في أسباب النزول ٢٩١ ، بنحوه عن أبي هريرة وابن عباس ، وورد بنحوه في سيرة ابن هشام ٣/ ٤٧ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤/ ١١٣ =

وعلى هذا قالوا : سورة النحل كلها مكية إلا هذه الآيات الثلاث ، فإنها نزلت بالمدينة[١] .

القول الثاني : أن هذا كان قبل الأمر بالسيف والجهاد حين كان المسلمون قد أمروا بقتال من يقاتلهم ولا يبدؤوا بالقتال ، وهو قوله : ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾ [البقرة : ١٩٠] ، وفي هذه الآية أُمروا أن يعاقبوا بمثل ما أصابهم من العقوبة ولا يزيدوا ، فلما نزلت سورة براءة نُسخت هذه الآية ، كما نُسخ قولُه : ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ . وهذا قول ابن عباس والضحاك[٢] .

= وقال : فأمَّا حديث أبي هريرة وابن عباس فإسنادهما ضعيف ، وورد في تفسير الجصاص ٣/ ١٩٤ ، بنحوه عن الشعبي وعطاء ، والسمرقندي ٢/ ٢٥٦ ، بنحوه عن ابن عباس ، والطوسي ٦/ ٤٤٠ ، عن الشعبي وعطاء ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٥٠٧ ، عن ابن عباس وأُبي ، وابن كثير : ٢/ ٦٥٢ ، ٦٥٣ ، عن عطاء بن يسار ، وقال : وهذا مرسل ، وفيه رجل مبهم لم يسم ، كما ذكر أنه روي متصلاً وعزاه إلى البزار عن أبي هريرة ، وقال : وهذا إسناد فيه ضعف؛ لأن صالحاً هو ابن بشير المري ضعيف عند الأئمة ، وقال البخاري هو منكر الحديث ، وأورده كذلك بنحوه عن الشعبي وأُبي ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٢٥٥ ، بمعناه ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان وابن مردويه عن أبي بن كعب ، وأورده بنحوه ٤/ ٢٥٥ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس ، والحديث يرتقي بكثرة طرقه إلى الحسن لغيره ، وقد حسَّنه الترمذي كما صححه الحاكم ، وقال الألباني : حسن صحيح الإسناد . صحيح سنن الترمذي (٣١٢٩) .

(١) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٦٦ب ، بنصه ، وانظر : تفسير ابن الجوزي ٤/ ٤٢٥ ، والفخر الرازي ١٩/ ٢١٧ .

(٢) أخرجه الطبري ١٤/ ١٩٦ ، بمعناه عن ابن عباس من طريق العوفي ضعيفة ، وورد بنحوه في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١١٢ ، عن الضحاك ، وتفسير الثعلبي ٢/ ١٦٧أ ، عنهما ، وورد بنحوه غير منسوب في تفسير الطوسي ٦/ ٤٤١ ، وانظر : تفسير البغوي ٥/ ٥٣ ، عنهما ، وابن الجوزي ٤/ ٥٠٨ ، عنهما ، والخازن ٣/ ١٤٣ ، عنهما ، والدر المنثور ٤/ ٢٥٦ ، وزاد نسبته إلى ابن مردويه عن ابن عباس ، وقد مضى الرد على المبالغة في دعوى نسخ بعض الآيات بآية السيف عند آية [٨٥] من الحجر ١/ ٣٥٩ .

القول الثالث : أن هذه الآيــة نزلت في نهي المظلوم أن ينال من ظالمه أكثر مما نال منه ، وهذا قول مجاهد وإبراهيم وابن ســيرين وسفيان[١]؛ قال مجاهد في هذه الآية : لا تعتدوا[٢] .

وقال ابن ســيرين : يقول : إنْ أَخذَ رجلٌ منك شيئاً فخذ منه مثله[٣] ، ونحوه لفظ إبراهيم .

وقــال ســفيان : لا تأخذ ديناراً مــكان درهم[٤] ، وعلى هــذا القول : الآية محكمة[٥] .

غير أن علي بن أبي طلحة روى عن ابن عباس أنه قال : نزلت هذه الآية وقوله : ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة :١٩٤] وقوله : ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ﴾ [الشــورى :٤١] ، وقوله : ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ الآية [الشــورى :٤٠] بمكة ، والمســلمون يومئذ قليل ، ليس لهم ســلطان يقهر المشركين ، فأمر الله المسلمين أن يجازوا بمثل ما أتى إليهم أو يصبروا فهو أمثل ، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ، وأعز الإسلام ، أَمرَ المسلمين أن ينتهوا في مظالمهم إلى[٦] سلطانهم ، وأن لا يعدوَ بعضهم على بعض كأهل الجاهلية ، فقــال :﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ [الإسراء :٣٣]

---

(١) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٦٧أ ، بنحوه عنهم ، والطوسي ٦/ ٤٤١ ، بنحوه عنهم عدا سفيان .

(٢) تفســير مجاهد ٣٥٥ ، بلفظه ، أخرجــه الطــبري ١٤/ ١٩٧ ، بلفظه من طريقين ، وورد في تفســير الجصاص ٣/ ١٩٤ ، بمعناه ، وتفسير الماوردي ٣/ ٢٢١ ، بمعناه ، وانظر : تفسير ابن كثير ٢/ ٦٥٢ ، والدر المنثور ٤/ ٢٥٦ ، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر .

(٣) أخرجــه عبدالرزاق في مصنفه ٢/ ٣٦١ ، بنصه عنهــما ، والطبري ١٤/ ١٩٧ ، بنصه عنهما ، وورد في تفســير الجصاص ٣/ ١٩٤ ، بمعناه ، وتفســير الماوردي ٣/ ٢٢١ ، بمعناه ، وانظر : تفسير ابن كثير ٢/ ٦٥٢ ، عنهما ، والدر المنثور ٤/ ٢٥٦ ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٢/ ٣٦١ ، بمعناه ، والطبري ١٤/ ١٩٧ ، بمعناه .

(٥) وهو ما رجحه الطبري ١٤/ ١٩٧ ، والفخر الرازي ٢٠/ ١٤٣ .

(٦) في (أ) و(د) : (أي) ، والمثبت هو الصحيح وموافق للمصادر .

يقول : ينصره السلطان حتى ينصفه من ظالمه ، فمن انتصر لنفسه دون السلطان فهو عاص مسرف قد عمل بحمية الجاهلية ولم يرض بحكم الله[١] ، فعلى هذا نُسخ من الآية أن يتولى المظلوم أخذَ القصاص ، بل يجب أن يرفع ذلك إلى السلطان حتى يعاقب خصمه بمثل ما عاقبه ، ثم أخبر أن الصبر خير وأفضل ، فقال : ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ﴾؛ أي عن المجازاة بالمُثْلَة ، أو على ما يصيبكم من أذى المشركين ، أو على ظلم من ظلمكم ، ﴿لَهُوَ﴾؛ أي الصبر ﴿خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ .

١٢٧. ثم أمر نبيه -عليه السلام- بالصبر عزماً ، فقال : ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾؛ أي بتوفيقه ومعونته ، ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي على المشركين بإعراضهم عنك ، وقيل : على قتلى[٢] أُحد؛ فإنهم أفضوا إلى رحمة الله وكرامته[٣] .

وقوله : ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ ، قراءة العامة بفتح الضاد[٤] ، واختاره أبو عبيد ، وقال : لأن الضِّيق بالكسر في قلة المعاش والمساكن ، وما كان في القلب فإنه الضَّيْق[٥] .

---

(١) أخرجه الطبري ٢/ ١٩٩ ، بنحوه من طريق ابن أبي طلحة صحيحة ، والبيهقي في السنن ، كتاب : الجنايات ، باب : الولي لا يستبد بالقصاص دون الإمام (٨/ ٦١) ، بنصه ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ١/ ٣٧٣ ، بنصه ، وزاد نسبته إلى أبي داود في ناسخه وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) في النسخ جميعها : (قتل) ، والصحيح المثبت .

(٣) انظر : تفسير ابن عطية ٨/ ٥٥٠ ، وصوب الأول ، وعليه يكون عود الضمائر على جهة واحدة ، وذكر كذلك ابن الجوزي ٤/ ٥٠٨ ، الوجهين ، ونسب الأول إلى ابن عباس ، وعزا الثاني إلى الواحدي .

(٤) انظر : السبعة ٣٧٦ ، وعلل القراءات ١/ ٣١٠ ، والحجة للقراء ٥/ ٨٠ ، والمبسوط في القراءات ٢٢٦ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٤١ ، والتيسير ١٣٩ ، وتلخيص العبارات ١١١ ، والمُوضح في وجوه القراءات ٢/ ٧٤٦ .

(٥) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٦٧أ ، بنصه تقريباً ، وانظر : تفسير الخازن ٣/ ١٤٤ .

وقال أبو عمرو : الضَّيْق بفتح الضاد : الغَمُّ ، والضِّيق بالكسر : الشدة[١] ، ونحو هذا قال الفرَّاء : الضَّيْق : ما ضاق عنه صدرك ، والضِّيق : ما يكون في الذي يتسع ، مثل الدار والثوب وأشباه ذلك[٢] .

وقال أبو عبيدة : ضَيْق تخفيف ضَيِّق ، مثل مَيِّت ، يقال : أمر ضَيْق وضَيِّق[٣] .

وقال أبو الحسن الأخفش : الضيق : مصدر ضاق يضيق ضَيْقاً ، وضِيْقاً ، لغتان في المصدر[٤] .

قال أبو علي : وينبغي أن يحمل ضيق هاهنا على أنه مصدر لا على ما قال أبو عبيدة؛ لأن فيه[٥] إقامة الصفة مقام الموصوف من غير ضرورة[٦] ، ولأن المعنى : لا تكن في ضيق؛ أي لا يضق[٧] صدرك من مكرهم ، كما قال : ﴿وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾ [هود :١٢] ، وليس المعنى : ولا تَكُ في أمرٍ ضَيِّق[٨] ، وقرأ ابن كثير : (ضِيق) بكسر

---

(١) ورد في تفسير الثعلبي ٢/ ١٦٧أ ، بنصه ، وفي علل القراءات ١/ ٣١١ ، عن أبي عمرو : والضَّيق : الشيء الضَّيِّق ، والضِّيق المصدر .

(٢) معاني القرآن ٢/ ١١٥ ، بنصه ، وانظر : تهذيب اللغة (ضيق) ٣/ ٢٠٨٢ ، بنصه .

(٣) مجاز القرآن ١/ ٣٦٩ ، بنحوه ، وهو قول ابن قتيبة كذلك . انظر : الغريب لابن قتيبة ٢٤٩ .

(٤) لم أجده في معانيه ، وورد في الحجة للقراء ٥/ ٨٠ ، بنحوه ، وفي تفسيره الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٤٦١ ، بنصه ، وانظر : تفسير القرطبي ١٠/ ٢٠٣ .

(٥) أي في حمله على أنه مخفف من ضَيِّق .

(٦) ودعواه هذه بيَّنها ابن عطية ، فقال : إن الصفة إنما تقوم مقام الموصوف إذا تخصص الموصوف من الصفة نفسها ، كما تقول : رأيت ضاحكاً فإنما تخصص الإنسان ، ولو قلت : رأيت بارداً لم يحسن ، كما قال سيبويه : وضيق لا يخصص الموصوف ، وقد أجاز الفخر الرازي إقامة الموصوف مقام الصفة في هذه الآية لفائدة ، وهي أن الضيق إذا عظم وقوي صار كالشيء المحيط بالإنسان من الجوانب كلها ، وصار كالقميص المحيط به ، فكانت الفائدة في ذكر هذا اللفظ هذا المعنى . انظر : تفسير ابن عطية ٨/ ٥٥١ ، والفخر الرازي ٢٠/ ١٤٣ ، وأبي حيان ٥/ ٥٥٠ .

(٧) في النسخ جميعها : (لا يضيق) ، وهو خطأ نحوي ، والتصويب من المصدر .

(٨) الحجة للقراء ٥/ ٨٠ ، بتصرف يسير .

الضاد[١] ، وهما لغتان كما قال أبو الحسن ، فمن كسر في معنى من فتح[٢] ، وذكرنا أبلغ وأتم من هذا في سورة [النمل :٧٠] .

١٢٨. قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ . قال ابن عباس : يريد خَافَوْني ولم يشركوا بي شيئاً ، ﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ يريد : موحدون ، وقال الحسن : اتقوا الله في ما حرم عليهم ، وأحسنوا في ما افترض عليهم[٣] ، ونحوه قال الكلبي : اتقوا الفواحش والكبائر[٤] .

﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ : في العمل . وقال الزَّجَّاج في هذه الآية : قد وعدوا النصر[٥]؛ أي أن الله ناصرهم كما قال : ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة :٤٠] .

* * *

(١) انظر : السبعة ٣٧٦ ، وعلل القراءات ١/ ٣١٠ ، والحجة للقراء ٥/ ٧٩ ، والمبسوط في القراءات ٢٢٦ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٤١ ، والتيسير ١٣٩ ، وتلخيص العبارات ١١١ ، والمُوضح في وجوه القراءات ٢/ ٧٤٦ .

(٢) ورد في الحجة للقراء ٥/ ٨٠ ، بنصه تقريباً ، وإليه ذهب ابن السِّكِّيت في الإصلاح ٣٢ ، فقال : ويقال في صدر فلان ضِيقٌ وضَيْقٌ ، ومكانٌ ضَيِّقٌ وضَيْقٌ ، وكذلك ابن قتيبة في أدب الكاتب ٥٢٨ ، وقال السمرقندي ٢/ ٢٥٦ : ومعناهما واحد؛ أي لا يضق صدرك مما يقولون لك ويصنعون بك .

(٣) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٢/ ٣٦٤ ، بنصه ، وأخرجه الطبري ١٤/ ١٩٨ ، بنصه من طريقين ، وورد في معاني القرآن للنحاس ٤/ ١١٤ ، بنحوه ، وانظر : الدر المنثور ٤/ ٢٥٦ ، وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤) ورد بنصه غير منسوب في تفسير الوسيط ، تحقيق سيسي ٢/ ٤٦١ ، وتفسير القرطبي ١٠/ ٢٠٣ ، وتنوير المقباس ٢٩٥ .

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٢٢٤ ، بنحوه .